السبت 10 حزيران 2023
العدد 4935 السنة السابعة عشرة
Samedi 10 Juin 2023 no 4935 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

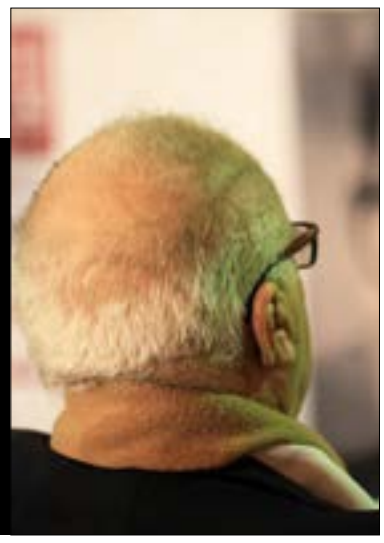

هشام جعيط
مؤرخاً للإسلام المبكّر

مزارع شبعا: معركة معادلات ميدانية بين العدو والجيش والمقاومة [2]

الرئاسة: معركة أصوات الدورة الأولى [3]

سوريا معركة طرد الاحتلال بدأت

[8 ـ 9]

لا يبدو خافياً على احد ان دمشق تدعم مجموعات «المقاومة الشعبية» ضد الاحتلال الاميركي في الشرف السوري (أ ف ب)

تقرير

المستقبل يثأر... ويستعيد «العائلات البيروتية»

4

تقرير

مدير معهد فني يدير أموال الدول المانحة

4

محمد صلاح
البطل في طليعة الوعي

[13]

مقابلة

سناء سلامة
وليد دقة سينتصر

[14]

قضية اليوم

منسوب التوتر الإسرائيلي يرتفع: أكبر من سياج وأبعد من كفرشوبا

حمزة الخنسا

يرتفع منسوب التوتّر الإسرائيلي مع مواصلة أهالي كفرشوبا مواجهتهم لمحاولاته تغيير معالم المنطقة الواقعة في خراج بلدتهم. أمس عبّرت القوات الإسرائيلية عن هذا التوتّر من خلال استقدام تعزيزات بشرية وآلية تتقدّمها دبابات «الميركافا» إلى النقطة الفاصلة بين «خطّ الانسحاب» ونقاط تمركزها على التلال المطلّة عليه. ولأول مرّة، أعطت القيادة العسكرية الأوامر لعناصرها بإطلاق قنابل الغاز المسيّل للدموع والقنابل الدخانية لمنع الأهالي من تنفيذ وقفة تضامنية، سرعان ما تحوّلت إلى مواجهات مع قوات الاحتلال، التي كانت تواصل أعمالها في المنطقة الممتدة بين

الجيش اللبناني دخل نقطة متقدّمة للمرة الاولى منذ التحرير عام 2000

موقع السمّاقة وبوابة حسن المحاذية لبركة بعثائيل في تلال كفرشوبا.

بالنسبة إلى إسرائيل، لا يتعلّق الأمر بمجرّد تمديد سياج حديدي جديد بعرض كيلومترين في المنطقة المذكورة، إنما بما تقرّ به من تزايد القلق من المسار التصاعدي لبرامج المقاومة، ما يفتح الباب أمام مزيد من الإجراءات الإسرائيلية في نقاط تعتبرها «خاصرة رخوة» يمكن للمقاومة استغلالها لتنفيذ «اجتياح برّي» في أي حرب محتملة.

ومنذ الصباح، حاولت القوات الدولية في لبنان، وعدة جهات دولية أخرى، الضغط لإزالة «خيمة» ثبّتها المقاومون في نقطة تتجاوز خط الانسحاب، باتجاه الأراضي المحتلة. وألمح المتّصلون والمتوسّطون، إلى أن الجيش الإسرائيلي يلحّ في طلب إزالة الخيمة أو تغيير موقعها، ويلوّح باللجوء إلى القوة لإزالتها. في المقابل، أبلغت قيادة المقاومة كل المعنيين بأن موقع الخيمة في أراضٍ لبنانية محتلة، بحسب الموقف الرسمي اللبناني، ووجودها هناك يهدف إلى ردع العدو، ضمن الحق الذي يكفله القانون الدولي لشعب أرضه محتلّة. وفي سياق الاتصالات، طلب الوسطاء إرجاع الخيمة أمتاراً قليلة إلى الوراء فقط، إلا أن الطلب قوبل بالرفض من قبل المقاومة التي أكّدت جاهزيتها للردّ على أي اعتداء إسرائيلي في المنطقة، محذّرة الوسطاء من مغبّة أي تصعيد يدفع إليه العدو، ومؤكدة أنها لن تمرّر أي اعتداء.

(علي حشيشو)

قوات الاحتلال لم تختبر أمس قوة المقاومة فقط، بل واجهت وضعاً جديداً غير مسبوق بالنسبة إلى تحرّكات الجيش اللبناني وعناصره ونقاط تمركزهم. تحت موقع السمّاقة تحديداً، في نقطة تتجاوز السياج الحديدي القديم الذي كان يُعتبر حدّاً يُمنع تجاوزه، في تلك النقطة، تمركز جنود الجيش اللبناني بأسلحتهم خلف شريط شائك مُستحدث بين السياج الحديدي القديم داخل المساحة المحتلة، والتلّة التي تتمركز أعلاها قوات الاحتلال الإسرائيلي في موقع السمّاقة، ما يعني أن الجيش اللبناني دخل نقطة متقدّمة للمرة الأولى منذ التحرير عام 2000، بعدما كان يكتفي بالتمركز خلف «خطّ الانسحاب» من جهة الأراضي المحرّرة من كفرشوبا. وتوقّف المراسلون الإسرائيليون، ملياً عند ما اعتبروه «تطوّراً خطيراً» تمثّل بتصويب عنصرين من الجيش اللبناني سلاحَ «آر بي جي» نحو القوات الإسرائيلية بعد اتخاذهما وضعيات الاستعداد القتالي.

المقاومة تراقب من جهتها المجريات، وهي تعرف أن العدو يحاول خلق أمر واقع جديد انطلاقاً من كفرشوبا، مروراً بمزارع شبعا وصولاً إلى الجولان، قد تكون متصلة بالمشروع الإسرائيلي المتعلّق بضم المزارع اللبنانية المحتلة بالاستفادة من الاعتراف الأميركي، إبّان رئاسة دونالد ترامب، بـ«سيادة إسرائيل الكاملة» على مرتفعات الجولان. وهذا ما حتّم على المقاومة إظهار الاستعداد لمنع تغيير قواعد الاشتباك القائمة هناك، بل إنّ حالة «الستاتيكو» التي ظلّت قائمة منذ التحرير عام 2000، قد تتغيّر انطلاقاً من إسقاط التقيّد بحدود «خطّ الانسحاب»، عملاً بمقتضيات الالتزام الرسمي اللبناني باسترجاع الأرض من جهة، ومواجهة للتصعيد الإسرائيلي الحالي من جهة أخرى.

العدو يحذّر مجلس الأمن: لن نتفرّج على انتشار المقاومة على الحدود

اليونيفل تستغرب اتهام حزب الله بحادثة العاقبية

فراس الشوفي

بعد حادثة العاقبية، في 14 كانون الأول 2022، ومقتل الجندي شون رونان من الكتيبة الإيرلندية العاملة في اليونيفل، تصرّفت القوات الدولية على قاعدة أن لا علاقة لحزب الله بالحادثة، وعقدت لقاءات مشتركة بين الحزب وممثلي دول مشاركة في هذه القوات، نفى خلالها الحزب أي ارتباط له بالحادثة، واضعاً الأمر في عهدة القضاء والجيش اللبناني. كما عبّر ممثلو اليونيفل والدول المشاركة فيها عن اقتناعهم بأن لا علاقة لحزب الله بالحادثة.

مع ذلك، واصلت جهات سياسية وإعلامية الاستثمار في القضيّة والتصويب على الحزب، وآخرها «المصادر القضائية» التي تعمّدت تسريب خبر صدور القرار الاتهامي بحقّ متهمين (أحدهم موقوف لدى الأجهزة الأمنية)، وربط ما أسمته «عصابة الأشرار» بحزب الله.

وقد استغربت قيادة اليونيفل هذه الأنباء، خصوصاً أنها اطّلعت في الأول من هذا الشهر على مضمون القرار الاتهامي الذي لم يوجّه الاتهام إلى الحزب بالوقوف خلف الحادث. وقد عمدت قيادة اليونيفل إلى الاتصال بوكالة الصحافة الفرنسية التي نقلت الخبر المضلّل أول الأمر، وتمّ الإيضاح للوكالة بأن ما جرى نقله ليس صحيحاً.

وبحسب المعلومات، فقد أثار قائد القوات الدولية الجنرال الإسباني أرولدو لاثارو مسألة طلب الإعدام للمتهمين مع الجانب اللبناني، معتبراً أن اليونيفل بالطبع تريد محاسبة المسؤول عن مقتل الجندي الإيرلندي، لكنها لا تريد توتير الأجواء بما لا يخدم مهمتها في الجنوب، كما أن القوانين الأوروبية تحظّر عقوبة الإعدام. فكان الجواب اللبناني أن قرارات الإعدام تحتاج إلى موافقة من رئيس الحكومة، وأن المسألة ليست محصورة في الجسم القضائي.

وفي سياق موازٍ، لم تهدأ محاولات العدوّ الإسرائيلي منذ أشهر، خصوصاً بعد مناورة حزب الله الشهر الماضي في عرمتى، في ممارسة ضغوط على القوات الدولية في الجنوب وعلى مجلس الأمن الدولي، لاستباق قرار التمديد لمهمة القوة الدولية، طمعاً بتعديل مهامها لتصبح عدائية تجاه المقاومة.

وآخر هذه المحاولات هي الإحاطة التي قدّمتها بعثة العدو الدائمة لدى الأمم المتحدة في جلسة خاصة نظّمتها للعدد من الملحقين العسكريين التابعين للبعثات الدولية في نيويورك حول القرار 1701، في 18 أيار الماضي. وقد قدّم الإحاطة العميد إفي ديفرين مدير إدارة العلاقات الخارجية في جيش العدوّ وأور هوريتز، المحلل السياسي للاستخبارات العسكرية الإسرائيلية. وبحسب المعلومات، استعرض وفد العدوّ ما سمّاه «النشاط العدائي لحزب الله على الحدود»، مهدّداً بأن إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي حيال هذه التهديدات والسلوك الجديد لرجال المقاومة الذين لم يعودوا يخشون الظهور بشكل علني في مواقعهم وعلى طول خط التماس مع فلسطين المحتلة. وهدّد الوفد الإسرائيلي بشن حرب على لبنان، قائلاً للحاضرين: «لا تقولوا لم نحذّركم».

وقال ديفرين أمام الحاضرين إن ما يحصل اليوم هو «تحقق رؤية قائد فيلق قاسم سليماني الذي أراد تطويق إسرائيل من كل الجهات»، وأن «الولايات المتحدة منشغلة بالتركيز على صراعها مع الصين والأزمة الأوكرانية وإسرائيل منشغلة بأزمتها الداخلية». وفي حين أكّد أن «إسرائيل ستدافع عن نفسها»، قال إن «إسرائيل لا ترغب بالحرب مع حزب الله» وأنه كان متواجداً على الحدود مع لبنان في عام 2006، ويدرك معنى هذه الحرب.

واعترض العميد الإسرائيلي على ما أسماه «عدائية ضباط الجيش اللبناني تجاهه وتجاه زملائه خلال الاجتماعات الثلاثية في الناقورة»، حيث يصفون الجيش الإسرائيلي بجيش العدو، محذّراً من أن المؤسسات في لبنان «تضعف إلى حدّ كبير ويقوم حزب الله بالسيطرة على البلد».

من جهتها، استبعدت مصادر دبلوماسية دولية أي تعديل في مهمة القوات الدولية رغم الضغوط الإسرائيلية المستمرة، لأن «الانقسام حول الموقف مع روسيا وتمسّك الصين بعرقلة الخطط الأميركية يمنعان أي تعديل في مجلس الأمن، فضلاً عن أن الدول الأوروبية تخشى على حياة جنودها من المواجهة مع المقاومة اللبنانية والأهالي في حال حصول تعديل عدائي، رغم أن ذلك لن يمنع إسرائيل من الاستمرار في ممارسة الضغوط».

المشهد السياسي

بكركي تقود جمع الناخبين لأزعور: نريد 65 صوتاً من الدورة الأولى

تبيّن أن الحوار الذي كان مفترضاً أن تقوده بكركي حول الملف الرئاسي، لا يعدو كونه جولة علاقات عامة، عنوانها تثبيت ترشيح الوزير السابق جهاد أزعور، ولا تقتصر على كلام عام حول غالبية مسيحية تريده رئيساً، بل تترافق مع نشاط محموم من جانب القوى التي رشّحته، وفي مقدّمها بكركي نفسها، لتوفير 65 صوتاً له من الدورة الأولى، من منطلق أن مع توافر النصف زائداً واحداً له، لن تعود هناك أهمية لتعطيل النصاب في الدورة الثانية، وتنطلق معركة تثبيته رئيساً. وبعدما ثبّت الرئيس نبيه بري الجلسة في موعدها المقرر، لم تصل إلى بيروت إشارات خارجية جديدة، باستثناء وساطات تتولاها دولة عربية تحت عنوان «فتح كوة في جدار الصمت» بين الأطراف الرئيسية. فيما يعوّل فريق أزعور على أن حصوله على 65 صوتاً من الجولة الأولى، أو على فارق كبير لمصلحته بينه وبين فرنجية، سيكون كافياً لتعديل مواقف الدول الخارجية المعنية بالملف الرئاسي تحت وطأة التوافق المسيحي.

في غضون ذلك، يُفترض أن تعود إلى بيروت خلال ساعات السفيرة الفرنسية آن غريو التي طلب مكتبها مواعيد مع عدد من المسؤولين، لإطلاعهم على خلفية قرار الرئيس إيمانويل ماكرون تعيين الوزير السابق جان إيف لودريان موفداً خاصاً إلى لبنان، فيما لم يُعرف ما إذا كان الأخير سيزور بيروت قريباً.

وحتى مساء أمس، كان البطريرك بشارة الراعي قد تواصل شخصياً مع عدد من النواب المسيحيين المتردّدين لإقناعهم بأن التصويت لأزعور هو تصويت لبيكركي. فيما واصلت قيادة التيار الوطني الحر العمل مع النواب المعترضين لإقناعهم بتغيير رأيهم، وكذلك مع كتلة حزب الطاشناق الذي لم يعلن موقفاً نهائياً بعد.

وعُلم أن الاتصالات والضغوط التي يقوم بها داعمو أزعور والوزير السابق سليمان فرنجية، تتركز على النواب الذين يقفون في الوسط، بغية جمع أصوات الدورة

الراعي تواصل شخصياً مع نواب متردّدين لإقناعهم بأن التصويت لأزعور تصويت لبكركي

الأولى، كون الجميع يتصرف وفق احتمال كبير بأن يتم تعطيل نصاب الدورة الثانية. وبالتالي تأجيل الانتخابات إلى موعد آخر، قد لا يتم تحديده في ختام الجلسة نفسها.

وفيما تقول مصادر الثنائي الداعم لفرنجية إن «الجلسة قائمة»، أكدت أن لها الحق في استخدام حق تعطيل الجلسة وفرط النصاب لمنع وصول أزعور، مشيرة إلى أن «المعركة معركة نقاط لا معركة انتخاب». ونقل زوار بري عنه أمس أنه أبدى «أسفاً كبيراً لتحويل الأزمة الرئاسية إلى أزمة طائفية وهي ليست كذلك». وعن اللقاء الذي جمعه ورئيس أساقفة بيروت للموارنة المطران بولس عبد الساتر وراعي أبرشية صيدا ودير القمر للموارنة المطران مارون العمار، موفدَين من البطريرك الراعي، قالت مصادر عين التينة إن «المطرانين نقلا رسالة من الراعي تؤكد ضرورة الحوار بين الجميع مع التشديد على عدم الاصطدام بالتوافق المسيحي»، وأن بري أكّد أن «الثنائي سيصوّت لفرنجية في الجلسة المقبلة، ولتأخذ اللعبة الديمقراطية مداها، وعبّر عن استياء كبير من اللغة الطائفية التي يستخدمها البعض لمآرب شخصية سياسية».

أما في ما يتعلق بنواب «التغيير»، فيبدو حتى الآن أن ثلاثة منهم حسموا خيار التصويت لأزعور، وكانوا جزءاً من التقاطع المسيحي بين القوات والكتائب والتيار الوطني الحر مع آخرين، وهم مارك ضو وميشال دويهي ووضاح الصادق. فيما أكدت النائبة حليمة قعقور رفض الدخول في أيّ من التسويات.

وفي موازاة مساعي بعض النواب المستقلين لإقامة تحالف يصوّت للوزير السابق زياد بارود خيار ثالث، وقد عُقد اجتماع بين بعض هؤلاء وبارود، فيما هاتف آخرون أزعور الموجود في الولايات المتحدة والذي يتردد أنه سيحضر إلى بيروت قريباً. وفُهم أن «جهات نافذة» تسعى مع النائبة بولا يعقوبيان لإقناعها بالعمل على جذب ثلاثة نواب على الأقل من المترددين للتصويت لمصلحة أزعور، خصوصاً النائب فراس حمدان، تحت عنوان أن كل النواب الدروز يقفون مع أزعور في مواجهة الثنائي أمل وحزب الله. ولم يتسنّ الوقوف على رأي حمدان نفسه. فيما قرّر النواب إبراهيم منيمنة وملحم خلف ونجاة صليبا إجراء مزيد من المشاورات قبل حسم موقفهم النهائي.

(الأخبار)

(أرشيف - الأخبار)

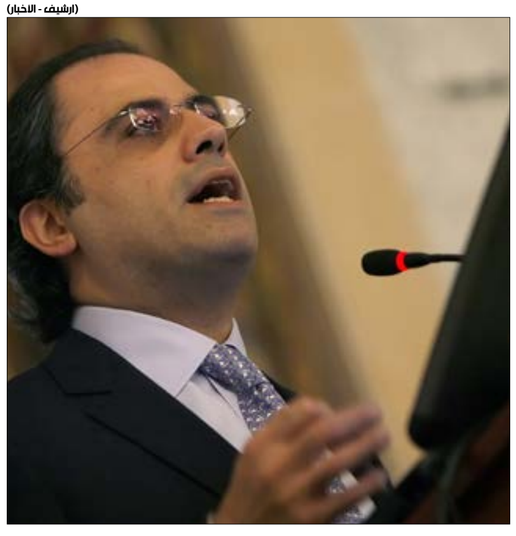

ابراهيم الأمين

ملك!

لا يملك الخصوم، من سياسيين وإعلاميين، إلا ما تملكه أجهزة استخبارات العالم، وهو أن كل نقد يصدر عنّا لمواقفهم أو سلوك أشخاصهم، هو تهديد لهؤلاء بالقتل. وهم، جميعاً، أصبحوا خبراء في الحرب النفسية، معتقدين بأن صراخهم ونحيبهم يسكتاننا أو يجعلان الصمت سيد موقفنا!

مرة جديدة، تنطلق الماكينة نفسها، على خلفية صورة هنا أو نص هناك، في حملة اتهام جديدة. وكل ما يطلبونه، في الجلسات السرية، وحتى العلنية، مع السفارات الأجنبية أو مع أجهزة الاستخبارات العالمية، هو ممارسة التهويل والحرم وحتى أمور أخرى فيها من الأذى الذي نقبله كثمن «متل السمن ع العسل»!

السياسيون فيكم لم يرتفع تصنيفهم بعد من خانة الرداءة. مع ذلك، ليس أمامنا سوى الإقرار بأنهم يمثّلون رأياً عاماً يصوّت لهم دورةً بعد دورة. أما جيش «الخبراء» منكم، فنعرف أن الحصول على بطاقة دخولهم نادي المرضيّ عنهم، في مؤسسات الغرب الأكاديمية وصناديق التمويل، يفرض عليهم الوقوف عملياً، لا لفظياً، في وجه المقاومة وجمهورها وإعلاميّيها. حتى الحشد المستجدّ من الناطقين، الذين يُطلق عليهم صفات المحلل والكاتب والخبير والمحلّف... تراهم يستمتعون في عالم الصراخ الذي يرفع نسب المشاهدة!

لكن مهلاً. أليس بينكم مَن احترف الإعلام، ومَن عمل في مؤسسات إعلامية كانت تحمل موقفاً ووجهة ولم تكن يوماً على الحياد؟ أليس بينكم صحافيون انتقلوا من هذه المؤسسة إلى تلك بحثاً عن مستقبل مهني أفضل أو دخل أكبر؟ فما الذي يجعلكم في حال من الكسل، بلا إبداع ولا حتى خيال، بل تكرار مملّ لمن منح نفسه مكانة أعلى قدراً وأكثر منعة من كل الآخرين.

في كل مرة، تلجأ الغرف السوداء إلى الطريقة نفسها: حملات منظّمة عبر محترفين لتعطيل الموقع الإلكتروني، قرصنة حسابات بعض الزملاء، محاولة الولوج إلى الداتا، وتعقّب تقني بحثاً عن مصدر خبر هنا، أو وثيقة هناك، ومنع للسفر إلى هذا البلد أو ذاك، وتدقيق مالي دوري حتى في ظل انهيار الدولة، وبرمجة، ولو غير منظّمة، لحملات ذبابكم الإلكتروني كيفما اتّفق، وتخصيص شتّامين بساعات من الهواء الأصفر الخارج من قنواتكم، وحبر أسود من قلويكم يُسال من دون توقف... ومع ذلك، تدورون حول أنفسكم بحثاً عن خلاص!

لا بأس من تذكيركم بأنكم ستبقون تحت العين، نلاحق كل هفواتكم مهما صغُرت أو كبُرت، رافعين لواء المقاومة التي تكرهون فيها كل شيء، حتى الأحرف المشكّلة لمفرداتها، وسنتمسّك بها يوماً بعد يوم، ونرى فيها خلاصاً من احتلال عسكري، كما سنداً في معركة أقسى بوجه تبعية عمياء، تمارسونها باسم الثقافة والترقّي والتقدّم. ورغم أنكم مصدر للملل كما أنتم عنوان للكسل، ليس عندنا ما نقوله لكم إلا: موتوا بغيظكم!

هل تريدون لبنانَ؟

جمال غصن

قبل قرابة عقدين من الزمن وقعت إحدى الأزمات الوجودية العديدة للكيان اللبناني الهشّ، وانشطر الشعب ثمانيةً وأربعة عشر. حينها، هرع زعماء الكيان إلى طاولات حوار حرصاً على ألّا ينقلب الانشطار احتراباً أهلياً. للأسف لم تنجح الحوارات في ضبط الأنفاس، وحصلت «ميني» حرب أهلية لاحقاً.

لكن، دعونا من الماضي، ولنركّز على الحاضر. الأزمة الوجودية اليوم للبنان، الوطن الذي اخترناه حبّاً وطواعيّة، أكبر من أي وقت مضى، ورغم ذلك لا يهرع أحدٌ إلى أي طاولة أو حوار. هو فعلاً مهدّد بالزوال، ورغم ذلك لا يبدو أن من لهم أكبر مصلحة في بقائه لأن مصالحهم ووجودهم متشابكان مع أن يكون هناك لبنان، واعون لما قد يخسرونه.

بأي زعيم حرب نبدأ؟ طبعاً لن نورّع نصائح مجانية على الفاشلين الدائمين في السياسة اللبنانية الذين انعزلوا عن الشعب وتنوّعه في ماضٍ ما. لكن لنتوقف عند تغريدة بلهاء لسمير جعجع يقارن فيها لبنان بكوريا الشمالية لمنع الأمن العام دخول إعلامية صهيونية إلى لبنان. انتفض أيضاً الإعلام المنتفخ بالتمويل الاستعماري الغربي والبترودولاري المنهوب ليردّد العبارات نفسها.

أولاً، تصوّروا لبنان بطبابة وتعليم مجاني، وشقق سكنية مجانية على مدّ النظر «ما بينشبع منها نظر» كما غنّى وديع الصافي. قد يبدو هذا سيناريو أقرب إلى الهلوسة، لكن هذه هي جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية. والمساكن الشعبية ليست ببعد كوريا الشمالية بل متواجدة في القرب، على مسافة أقل من مئة كيلومتر من بيروت، مشوار فان من الكولا إلى شتورا ثم سرفيس لعبور الحدود. وبالمناسبة اسم البلد على قافية كوريا. ما قد يخسره لبنان، وبالأخصّ أكبر المستفيدين منه، هو أنه قد يصبح على قافية كوريا. وهنا لا بد من استعمال بعض الكلام البذيء: يا حمير، يا جحاش، يا هبل، إنكم تخسرون لبنان.

ثانياً، لبنان ليس أولوية أحد من حلفائكم. لبنان أولوية أهله الذين لن تجرفهم الجرّافات. لبنان لن يقوم إلّا بمن لن ينجرف من أرضه. وقد يكونون متنوّعين ومختلفين، لكنّهم ولكنهنّ لم يجترفوا من أرضهنّ وأرضهم... كما إسماعيل ناصر ابن كفرشوبا. «إسرائيل» كانت تعبث في رأس بيروت في زمانٍ مضى، اليوم لا تستطيع جرفاً في تلالنا المتلاصقة معَ «جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية» بسبب الحاج إسماعيل؟ كيف نشرح للبلهاء أنّ ذات الزمان ولّى؟ لن نتحدّث عن اليسار لأنه في حال ميؤوس منه، ولبنان بطبيعته يمينيّ الهوى. لكن، رغم ذلك يخرج من هو مهووس بغوغائية اليسار الذي «يسيطر على لبنان». يا حبيبي وأخي اللبناني الذي سوف نتشارك، ونحن محكومون أن نتشارك الوطن، لنتحدّث عن اليمين واليسار في لبنان. ولبنان أصلاً اختراع استعماري، وأحبابنه بسبب دوره الوسطي ولكن ليس بسبب مستغلّيه من عملاء الاستعمار.

ثالثاً، لبنان أفلس، والسّؤال الأول هو من أفلسه؟ وهنا قد ارتُكبت الخطيئة الكبرى.

الإفلاس حصل ولا مكان للمحاسبة، طبعاً لمن له خليّتان دماغيّتان أن يفهم أنّ الحياة في مكان آخر. الحياة حتماً في مكان آخر، كما قال الروائي التشيكي ميلان كونديرا... من أفلَسَ لبنان هو اليمين. هم البنكرجيّة. ولبنان أفلس بكلّ أوجهه الرأسمالية وليس باشتراكيته الغوغائيّة، ولذلك وجهٌ آخر. أفلَسَ بيمينه المتوحّش، وهنا يقف لبنان اليوم. سياسات ماليّة نهبت أموالَ آبائكم وأمّهاتكم كما سرقت أموال أمّي وأبي.

هل تريدون أن يسرق لبنان أموال أمّهاتكم وآبائكم؟ هنا يبدأ النقاش معك يا يمين رجعي. هل أنت مستعد إيديولوجياً أن تناقش؟ هنا تبدأ طاولة الحوار إن أردنا لبنانَ.

تقرير

المستقبل يثأر... ويستعيد «العائلات البيروتية»

منذ تأسيسه عام 1998، لم يشهد «اتّحاد جمعيّات العائلات البيروتيّة» انتخابات للهيئة الإداريّة كالتي شهدها أمس. خلايا نحل في «مار الياس»، ماكينات انتخابيّة تُدقّق في أسماء من تأخّر عن صناديق الاقتراع من الهيئة الناخبة، وتدافع لاستقبال الناخبين وزحمة ناخبين تعدّت الـ210 من أصل 239 ناخباً... يوم انتخابي طويل أعاد اتحاد العائلات البيروتية إلى «بيت طاعة المستقبل» وأسقط أُحادية المستقبل على امتداد «الاتحاد»

لينا فخر الدين

هي واحدة من المعارك الذكية التي خاضها تيار المستقبل على قاعدة «اضرب الظالمين بالظالمين»، ليستعيد نفوذه داخل «اتحاد جمعيات العائلات البيروتية»، أبرز المؤسسات في العاصمة. وصار بإمكانه الانتقال بسلاسة لـ«يكمش الأرض» عبر فرض معادلة المشاركة في الاستحقاقات البيروتية والسنيّة المقبلة، وأبرزها انتخابات المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى والانتخابات البلدية والاختيارية المقبلة.

إذاً، نجح الحريريون في اختبار شعبيّتهم، ووصلت الرسالة بوضوح إلى خارج العاصمة بأن الرئيس سعد الحريري، من قلب منفاه الإماراتي، ما زال مُمسكاً بالأرض البيروتيّة وما زال قادراً على التحكّم في زواريبها.

ولم يعد ينفع كثيراً ما إذا كان الرجل مُعتكفاً عن عمله السياسي، طالما أن اللائحة التي يرأسها محي الدين كشلي وتضمّ أسماء «فاقعة» ولصيقة بالتيار وتحظى بدعم واضح منه، تفكّكت من اكتساح الأنتخابات أمس، عبر إيصال 14 عضواً من أصل 18.

ولم تُجد نفعاً الحملة السياسية التي خيضت في وجه كشلي لـ«صفّع» المستقبل عبر تشطيبه، بذريعة أنه فُرض عليهم من قبل المسؤول عن ملف الاتحاد داخل المستقبل جلال كبريت، خصوصاً أن كشلي ليس من الناشطين فيه ولم يكن يوماً ضمن هيئته الإداريّة.

هكذا، التفّ «الزرق» على خصومهم الذين اجتمعوا من أجل كسرهم عبر لائحة يدعمها «اللقاء التشاوري» ويرأسها عبدالله شاهين وتضم شخصيات محسوبة على النائب فؤاد مخزومي و«مجموعة النهوض ببيروت» التي تحظى بتأييد واضح من الرئيس فؤاد السنيورة، إضافةً إلى ما يتردد عن دعم من بهاء الحريري. علماً أن المحسوبين على السنيورة ومخزومي نالوا أصواتاً هزيلة مقارنةً مع زملائهم. وإذا كان المستقبل حجّم خصومه بضربة قاضية داخل الصناديق، فإن الرؤساء السابقين لـ«الاتحاد» لم يسلموا أيضاً من «الحيل الزرقاء»، إذ يروي بعض المتابعين لعمليات الفرز التي بقيت حتى ساعات الفجر الأولى أنّ المستقبليين لم «يحلبوا صافي»، بل كانت عمليات التشطيب ظاهرة لدى الذين صوّتوا للائحة «المستقبل» على عكس «لائحة التشاوري». وهو ما أدى إلى نيْل المحسوبين على التيار كالزميلين منير الحافي ولينا دوغان ومنسق بيروت السابق وليد دمشقية أصواتاً عالية، مقابل هزيمة مني بها المرشحون المحسوبون على الرؤساء السابقين وخصوصاً محمد عفيف يموت ومحمد الأمين عيتاني.

ويفسّر هؤلاء هذا الأمر بأنه «مكيدة» قادها بعض «الزرق» الذين تحالفوا مع الرؤساء من فوق الطاولة ووقفوا خلفهم في معركة «على المنخار» في وجه «التشاوري» قبل أن يتم تشطيب مرشحيهم من تحت الطاولة.

> **أثبت الحريري، من منفاه الإماراتي، أنه لا يزال مُمسكاً بالأرض البيروتيّة**

(هيثم الموسوي)

وبالتالي، فإن المستقبل يبدو أنه «لم ينَم على ثاره» وسريعاً ما استرد اعتباره، بعدما اصطف هؤلاء إلى جانب السنيورة خلال الانتخابات النيابية الأخيرة ودعموا لائحته بكل ما أوتوا من قوة بعدما حوّلوا مقر الاتحاد إلى ماكينة انتخابية تعمل لصالح لائحة خالد قباني.

في المقابل، يؤكد مستقبليون أن هذا الأمر لم يحصل وأن عمليّات التشطيب طاولت معظم المرشّحين، على قاعدة أن كثيرين أخذوا في الاعتبار الصداقات الاجتماعية والقرابة العائليّة، إلا أنّ «الحملة السياسيّة» ركّزت على «طمس» اسم كشلي، لتوجيه رسالة واضحة إلى «المستقبل» بأنّه لم يعد «يمون» داخل «الاتّحاد»، وهو ما لم يحدث.

في المقابل، نال مرشّح الرئاسة على لائحة «التشاوري» عبدالله شاهين أعلى نسبة تصويت، خصوصاً أن الأخير يعد من الناشطين البارزين داخله وكان نائباً للرئيس لأكثر من دورة ويحظى بعلاقات متينة مع جميع القوى، بالإضافة إلى أن شاهين بقي حتى اللحظات الأخيرة قبل إعلان اللائحة يعرض انسحابه على طاولة المفاوضات مقابل التوصل إلى تسوية وفاقية.

تقرير

مدير معهد فني يدير أموال الدول المانحة

فاتن الحاج

لا يختلف «معهد الأمل الفني» في الصرفند، وهو مشروع مشترك بين المديرية العامة للتعليم المهني والتقني والجمعية اللبنانية لرعاية المعوّقين (ترأسها رندة بري)، عن بقية المشاريع المشتركة في التعليم المهني. الحكاية هي نفسها: معاهد أو مدارس مهنية أسست لأهداف تنفيعية شخصية وتوظيفية للقوى السياسية من دون استثناء، إذ لكل طرف حصة في كل منطقة. وهذه، في العادة، مشاريع تموّلها الدولة، وتديرها لجنة تنفيذية مؤلفة من ممثلين عن مديرية التعليم المهني وعن مؤسسة خاصة. وتعتمد، للتعاقد مع الأشخاص الذين يتقاضون تعويضاتهم، الشروط والأصول المحددة للمتعاقدين مع الإدارات العامة.

الفرق بين هذا المعهد وغيره من المشاريع المشتركة أن مديره نبيه مراد أصبح اليد اليمنى للمديرة العامة للتعليم المهني بالتكليف، هنادي بري، في كل قرارات المديرية، منذ توليها مهماتها. فهو المسؤول عن إدارة الحوافز بالدولار الأميركي الممولة من جهات دولية مانحة لكل أساتذة التعليم المهني الرسمي والموظفين الإداريين، وهو من يقرر الأسماء المستوفية لها. وقد جُهّز له، لهذه الغاية، مكتب في الطبقة الثانية عشرة في مبنى وزارة التربية في الأونيسكو، ومكتب آخر في الدكوانة في غرفة المديرة العامة، بعدما أوكلت إليه إدارة البرنامج الإلكتروني الذي يستقبل لوائح الطلاب من المعاهد والمدارس المهنية الخاصة. وهو وحده يملك فتح البرنامج وإقفاله في أي وقت لاستقبال اللوائح خارج المهلة القانونية لتسجيل الطلاب وترشيحهم للامتحانات الرسمية، بكل ما يحتمل ذلك من صفقات بين المديرية و«ذكاكين التعليم الخاص» المهنية، من تسجيل طلاب وهميين وتزوير إفادات وترفيع راسبين، تماماً كما يحصل في مصلحة التعليم الخاص في وزارة التربية مع ذكاكين المدارس الخاصة، علماً أن استقبال لوائح الطلاب في المعاهد الخاصة والتدقيق فيها هما من صلاحية دائرة الإرشاد التربوي في المديرية.

وتؤكد مصادر إدارية في معهد الأمل (كان يسمى معهد الصرفند الفني) أن العقد بين المديرية والجمعية اللبنانية لرعاية المعوّقين، تضمّن تخصيص مبنى للمعهد في «مجمع نبيه بري لذوي الاحتياجات الخاصة». لكن، مع الوقت لم يبقَ سوى عدد من الغرف مخصص للإدارة الرئيسية ومركز الخياطة وقسم الفندقية. فيما نُقلت بقية الاختصاصات إلى مبنى في بلدة البابلية وهبه أحد المتموّلين للجامعة الإسلامية لفتح فرع لها هناك. وليس معروفاً ما هي طبيعة العقد بين الجمعية والجامعة وصيغة استخدامه بالضبط: هل يستأجر المشروع المشترك المبنى من الجامعة الإسلامية؟ ومن يدفع الإيجار: المديرية العامة أم الجمعية؟ وهل نُقل المعهد من الصرفند إلى البابلية بقرار جديد أو وفق العقد القديم؟

مدير المعهد، كغيره من مديري جدولان: الأول للمعهد والثاني مزوّر يُرسل إلى المديرية. وبحسب المصادر، فإن هذا الواقع في المعهد مستمر منذ عام 2016 بالحد الأدنى. ومن المخالفات الإدارية والمالية في المعهد التي تتحدث عنها المصادر صرف مستحقات عن السنة الدراسية الماضية 2021 -2022 لمعلمة وزوجها لم يداوما سوى شهرين قبل أن يهاجرا إلى المانيا. «كذلك يتم استغلال قسم الخياطة الذي بقي في مجمع نبيه بري في الصرفند لتلبية حاجات المجمع والمعهد على السواء كخياطة أزياء الطلاب والعاملين في المجمع والمعهد وبيعها بأسعار مرتفعة، كما يتم استغلال قسم الفندقية وتسجيل طلبات أكل وخُضر واحتياجات لتنظيم موائد خاصة بالمجمع، عدا أن المدير هو رئيس مركز في الامتحانات الرسمية المهنية ويسجل ساعات مراقبة وتصحيح لمن يهمه أمرهم». 23 سنة مضت على آخر مباراة تثبيت لأساتذة التعليم المهني الرسمي عبر مجلس الخدمة المدنية. منذ ذلك الوقت، أحكمت العقلية الزبائنية سيطرتها على مسار التعاقد السنوي مع الأساتذة. ووفق المصادر، تُرافق ذلك مع تشعيب المصانع بحسب الشهادات التعليمية، بهدف استحداث مواقع إدارية جديدة للأساتذة المعيّنين من جهة وزيادة أعداد المتعاقدين في التعليم من جهة ثانية.

> **يرفع المدير عدد ساعات بعض المتعاقدين ويقاسمهم على البدل**

التشعيب لم يطاول المصانع والمختبرات فحسب، بل القاعات الدراسية أيضاً. فالتعميم الرقم 5 بتاريخ 2010/9/16 سمح بالتجزئة إلى شعبتين إذا كان عدد الطلاب يتجاوز 24 طالباً، إلا أنّ المصادر تحدّثت عن واقع مختلف، وهو اعتماد التشعيب عندما يصبح عدد الطلاب 13 وليس 24 لمضاعفة الأساتذة المتعاقدين في الساعات النظرية والتطبيقية على السواء.

وبهدف استكمال العدد الذي يبرّر افتتاح شعبة إضافية، يجري تسجيل طلاب وهميين عن طريق ابتزاز الأساتذة، أصحاب الحاجة. وهنا تشرح المصادر أن المدير يطلب من الأساتذة المنويّ التعاقد معهم أن يدفعوا رسوم الطلاب الوهميين كشرط لافتتاح الشعبة.

وتقول المصادر إن معهد الأمل هو الوحيد الذي لم يلتزم بإضراب رابطة أساتذة التعليم المهني الرسمي، وأجبر الأساتذة على الحضور تحت طائلة الاستغناء عن خدماتهم، وأنجز الطلاب برامجهم وأجروا امتحاناتهم المدرسية، باعتبار أن المدير الذي يقبض جزءاً من المستحقات هو الخاسر الأكبر من الإضراب.

(مروان بو حيدر)

أخبار

خلافات قواتية في الحكمة

يعمل النائب جهاد بقرادوني على إنشاء لوبي داخل حزب القوات اللبنانية لإبعاد عضو بلدية بيروت المحسوب على القوات إيلي يحشوشي عن رئاسة نادي الحكمة، بعدما دفعه الأخير إلى الاستقالة من منصبه كرئيس فخري للحكمة قبل نحو أسبوعين، على خلفية خلاف بينهما حول الصلاحيات.

وكان بقرادوني عُيّن في أيلول 2022 رئيساً فخرياً بعد دعمه فريق كرة السلة بمليون و500 ألف دولار، وبدأ توسيع مروحة علاقاته داخل الحكمة وفي الاتحاد، ما أثار غضب يحشوشي الذي بدأ يفقد دوره ونفوذه عندما، واجه بقرادوني طالباً منه الالتزام بمنصبه الفخري وعدم التدخل في الأمور الإدارية والداخلية. إلا أن الأخير أكّد أنه لن يتراجع كونه هو من يدفع المال، وسائل يحشوشي عما سمّاه «هدراً»، خصوصاً أن بعض عقود اللاعبين لا تُدفع كما هي مدوّنة على الورق، وبعدما تبيّن أن كلفة مخيم التدريب نظّمه النادي في تركيا كانت عالية جداً. ومع إصرار يحشوشي على موقفه، قدّم بقرادوني استقالته ولحقه بعض اللاعبين. وتؤكد مصادر أن «العمل بدأ لإبعاد يحشوشي عن رئاسة النادي وعن عضوية البلدية، بعدما عبّر رئيس القوات سمير جعجع عن استيائه منه».

«النازحون» من بروكسل إلى سوريا

يزور وزير المهجّرين عصام شرف الدين دمشق قريباً للتحضير لزيارة رسميّة يقوم بها وفد رسمي لبناني إلى سوريا للبحث في إعادة النازحين، ويلتقي خلالها وزير الإدارة المحلية رئيس اللجنة العليا للإغاثة في سوريا حسين مخلوف. وكان يُفترض أن يتوجه شرف الدين إلى دمشق مطلع الأسبوع المقبل، إلا أنّه قرّر إرجاءها إلى ما بعد جلسة مجلس الوزراء التي قد تُعقد الثلاثاء، والتي سيكون النازحون وتمثيل لبنان أمام المحاكم الفرنسية في قضيّة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة البندين الوحيدين على جدول أعمالها.

وستبحث الحكومة في ورقة حول النازحين سيُقدّمها وزير الخارجية والمغتربين عبدالله بو حبيب إلى المؤتمر السابع لأزمة النازحين الذي دعا إليه الاتحاد الأوروبي في بروكسل الأسبوع المقبل، تحت عنوان «دعم مستقبل سوريا والمنطقة»، على أن تركز الورقة على إعادة النازحين والأعباء التي يتحمّلها لبنان جراء وجودهم. وعلى ضوء نتائج المؤتمر، ستُدخل الحكومة تعديلات على الورقة اللبنانية التي سبق أن قدّمها شرف الدين إلى الحكومة السوريّة، ليطرحها الوفد اللبناني على المسؤولين في دمشق.

حق الرد

بالاشارة الى ما وارد في «الاخبار» (7 حزيران 2023)، يهم قنصلية لبنان العامة في نيويورك التأكيد على أن طلب تأمين موقف بديل للقنصلية العامة كان بسبب تعذر استخدام الموقف المجاني للقنصلية لأسباب عديدة، من بينها أشغال عامة في شارع القنصلية وأعمال ترميم فندق ساري Surrey المحاذي، علماً أنه لم يتم تنفيذ العقد كون السفيرة القنصل العام باعت سيارتها في 14 أيلول 2022، وأعادت اللوحة الدبلوماسية الخاصة بها إلى مكتب وزارة الخارجية الأميركية في نيويورك OFM. فاقتضى التوضيح.

لماذا تخاف إسرائيل من حزب الله إلى هذه الدرجة؟

أسعد أبو خليك *

لا شك أن هناك حالة ذعر وهوس، تقترب من العُصاب المرضي، نحو حزب الله (وكلّ ما يتعلّق به) قد أصابت إسرائيل. تستطيع أن تجول في الصحف والمواقع وإنتاج تقارير مراكز الأبحاث في واشنطن (ومن خلال المواقع التي تنبت ذات اليمين وذات اليسار بتمويل من سوروس وحلف شمال الأطلسي) وأن تصدّق أنه بالفعل هناك عالم غربي وليبرالية غربية (وعربية) محبطة وكئيبة من تصدير الكبتاغون. أو تصدّق أن هؤلاء يجدّ حزينون على عدم إمكانية نجاح شيعة الولاء السعودي والإماراتي في انتخابات جنوب لبنان، أو أنهم بجدّ منزعجون لأن حزب الله هو الوحيد الفاسد في لبنان، وأن أميركا لديها موقف حازم وصارم ضد كل أنواع الفساد في لبنان. عليك أن تصدّق أن سبب انزعاج كل هؤلاء ومواقع سوروس لا يتعلّق بالسبب الحقيقي: أن إسرائيل تخاف من قوّة حزب الله.

والذي يزيد من يقين دوافع إسرائيل من خلال كل الحملات الإعلامية التي تتجلى في الإعلام العربي وفي المواقع، وحتى على صفحات شخص لديه 100 أو 200 متابع على «تويتر»، أن الحملات منسّقة بين واشنطن وتل أبيب والسعودية والإمارات وبيروت. بطلعون كل فترة بقصة ما لتأليب الرأي العام ضد هذا الحزب، ساعة هو مسؤول عن الكبتاغون وأن تجارة سوريا من خلال الكبتاغون تصل، حسب ناطقة رسمية باسم الحكومة الأميركية والبريطانية، إلى 57 مليار دولار، أي أن دخل الكبتاغون يتفوق على ميزانيّات دول في المنطقة وحتى على الإنفاق الدفاعي لعدد من دول المنطقة. وتصدّق أن تجارة المخدّرات العريقة فجأة باتت تقضّ مضاجع الخليج والغرب وشاشات الأجرة الثلاث. الأكاذيب لا تتبع لمنطق وليس لها حدود ولا سقوف، وقصة المخدرات وربطها بالحزب ليس هناك من مصدر لها إلا جريدة سعودية أو جريدة إسرائيليّة (أو «مصدر استخبارات شرق أوسطي»، وهذا هو الاسم الكودي لـ«الموساد» في صحافة الغرب). والرقم الذي استعادته به الدولة البريطانية والإمبراطورية الأميركيّة له مصدر معروف: المدعو تشارلز ليستر. ليستر هو معلّق في جريدة «الشرق الأوسط» وباحث (في الكبتاغون؟) في «مؤسّسة الشرق الأوسط» في واشنطن (المؤسّسة تحوّلت من مركز تصاد للوبي الإسرائيلي إلى مركز خليجي ينسّق مع اللوبي الإسرائيلي). ليستر كان من أنشط منسّقي البروباغندا الغربية والخليجية في الحرب السورية لصالح فرق

> **إنّ الخطر الذي يشكّله حزب الله على العقيدة الاستراتيجية لدولة إسرائيل يكمن في تضاده للنجاح الاستراتيجي لإسرائيل في هزيمة العرب في عام 1967**
>
> **هذا أكثر ما يخيف العدو لأنه يعني أن المقاومة باتت قادرة على السيطرة على ميدان المعركة وعلى وضع العدو في موقع الدفاع عن أرض فلسطين لا عن مواقعه على أرض لبنان**

المعارضة المسلحة. شارلز ليستر نفسه ثارت ثائرته لأن الجامعة العربية سمحت بتمثيل النظام السوري عن جديد فيها. ليستر وصهيانة واشنطن هم حماة عروبة أبو الغيط وعمرو موسى ويديعد بن غوريون.

إنّ الخطر الذي يشكّله حزب الله على العقيدة الاستراتيجية لدولة إسرائيل يكمن في تضاده للنجاح الاستراتيجي لإسرائيل في هزيمة العرب في عام 67. هزيمة 67 كانت تحقيقاً للحلم الاستراتيجي لإسرائيل والتي عملت نحوه منذ تاسيس الكيان. حرب 67 كانت ستشطب حتماً، ولهذا فإن النقاش عمّا فعله جمال عبد الناصر أو ما كان يجب أن يفعله يبقى من باب تحميل المسؤولية للعرب على حرب كانت إسرائيل تنوي شنّها مهما كان ومهما فعل ولم يفعل جمال عبد الناصر. يكمن النجاح الإسرائيلي في حرب 67 في عوامل: أوّلاً، إحداث صدمة عسكرية وسياسية هائلة تطيح كل فرضيات العرب عن إسرائيل بما فيها فكرة هشاشة الكيان (الفكرة التي زرعها حكام العرب في عام 1948 لتسويغ تقاعسهم). ثانياً، تحقيق نصر عسكري في غضون أيام لا بل ساعات. والمراد من النصر الساحق والسريع أن يقضي على الآمال العربية التي كانت كبرى في تلك الحقبة. وأرادت إسرائيل أن تقنعنا أن هزيمتنا لا تاخذ منها إلا ساعات معدودة فقط وأن ذلك يجعل من نصرنا عليها مستحيلاً. ثالثاً، تخويف الجندي العربي وتخويف الفرد العربي وتحويلهما إلى هدف للنكات والمزاح. رابعاً، ضخ ثقافة الاستشراق العنصري التقليدي المبتذل والربط بين هزيمة (هي محض عسكرية) وبين كل صفات الثقافة العربية الشعبية والسياسية. ولم يسهمْ في الترويج لثقافة التشكيك العنصري بالعنصر العربي أكثر من كتاب صادق جلال العظم، «النقد الذاتي بعد الهزيمة»، وفي ما كتبه بعد ذلك.

خامساً، فضح العجز العسكري والسياسي العربي والمفاضلة والمقارنة والمقارنة بين حالة الاسترخاء التي أراد العدو أن يصف جيشه بها، وحالة التأزّم والخوف والعجز التي اعترت صفوف الجيوش العربية وقادتها. ونعلم اليوم، خلافاً لتلك الصورة، أن العدو لجأ إلى الخداع لنشر فكرة الاسترخاء والخفّة التي انتصر العدو فيها علينا، ونعلم اليوم أن إسحاق رابين أصيب بأكثر من أزمة عصبية خلال تلك الحرب. سادساً، نشر ثقافة الهزيمة والإحباط وقد ساهمت فيها الصحف اليمينية العربية التي كانت تتلقّى تمويلاً من دول الخليج مثل جريدة «الحياة» وجريدة «النهار» في لبنان. كل هذه العوامل أطاحها حزب الله في مقاومته لإسرائيل وصولاً حتى الذروة في حرب تموز.

المفارقة في تجربة حزب الله في مقارعة إسرائيل أن التجربة قطعت بالكامل مع كل سابقاتها من تجارب في الحروب والمقاومات ضد إسرائيل. لأجل ذلك كان مضحكاً جداً أن ميفا الـ«ناتو» في لبنان نشرت مقالة قبل أشهر قالت فيها إن الحزب سرق انتصارات

(هيثم الموسوي)

حركة «فتح» في لبنان وجيّرها لنفسه. تقرأ ذلك وتسأل نفسك، خصوصاً إذا كنتَ قد عاصرت تلك الفترة: أين هي انتصارات حركة «فتح» في تلك الفترة؟ أين تتجلّى انتصارات «فتح» في تلك الفترة؟ لا شك أن حركة «فتح» تفوّقت في حروب الشوارع والأزقّة في لبنان ضد فصائل لبنانية وفلسطينيّة. لكن انتصارات ضد إسرائيل؟ كيف تجلّى ذلك إلا في تلك البيانات الانتصارية التي كان يعدّها ياسر عرفات بنفسه والتي كان يجيّر فيها كل العمل العسكري لغيره من فصائل فلسطينية ولأفراد إلى قوات «العاصفة»؟ ساعات من حرب تفوّز فيها من الانتصارات أكثر من سنوات لـ«فتح» في لبنان. وتجربة «جمول» والحركة الوطنية هي في سياق التجارب التي أثبتت فشلها فشلاً ذريعاً في تلك الفترة. وتجلى ذلك في غياب المواجهة مع إسرائيل في اجتياح 82 باستثناء حصار بيروت التي اضطرّت فيه الفصائل اللبنانية والفلسطينية إلى إعداد خطة تصدٍّ ودفاع أجبرت العدو على التراجع على أعتاب إعلامياً. وحزب الله قطعَ مع التجربة السابقة إعلامياً وسياسياً وعسكرياً أكثر بكثير من أي تجربة مقاومة حتى الساعة. لا نزال مثلاً نرى في بيانات «حماس» وحركة «الجهاد الإسلامي» (وحتى بيانات «عرين الأسود»، والاسم يوحي بالبطولة التقليدية والفولكلورية بالرغم من بطولة أفراد التنظيم) أثراً للخطاب الانتصاري المفرط والمبالغ فيه والذي برع فيه ياسر عرفات. هذا الخطاب كان يهدّد العدو بما لم يكن متوازياً مع القدرات. كان المفكر الباكستاني إقبال أحمد (الذي تعرّف إلى ياسر عرفات من خلال إدوار سعيد) شديد الانتقاد للنفس الانتصاري في الحركة الوطنيّة الفلسطينية. كان المناضل الأفريقي أميرال كابرال يقول: «لا تكذبوا ولا تدّعوا انتصارات سهلة».

أراد الحزب أن يبدأ من الصفر وهو بالفعل بدأ بعد اجتياح 82. بدأ أعمالاً كبيرة بصمت أو بكلام قليل جداً. على عكس انطلاق حركة «فتح» التي حتى في بياناها الأول زعمت ما لم يكن صحيحاً في الميدان. لو تعود إلى تلك الفترة وتقرأ بيانات حركة «فتح» عن انتصاراتها المدوّية لحرث في أمرك، كيف أن الكيان لا يزال جاثماً على أرض فلسطين. الحزب بدأ بالصمت ولم يعلن عن نفسه إلا بعد سنوات، بعد أن أثبت جدواه العسكرية في مواجهة أقوى جيش في المنطقة. وهناك حديث دائم عن قدرات عسكريّة هائلة للحزب لكن نستطيع أيضاً أن نتحدّث عن حرب نفسية لم يحسنْ شنّها أي فصيل لبناني أو فلسطيني أو أي نظام عربي منذ عام 1948. خطابات الأمين العام للحزب تختلف كلياً عن خطب قادة المقاومة الفلسطينية بما فيها خطب الراحل العظيم جورج حبش. عندما أعود إلى خطب جورج حبش لأتمعّن في صياغتها الأدبيّة والسياسيّة يدهشني كم أن البنية والتعبيرات كان عاطفية متدفّقة وتخلو من التعبير عن استراتيجية محددة في مواجهة إسرائيل. كان خطاب جورج حبش مثل خطاب عرفات (مع اختلاف الشخصيّتين) من ناحية التحميس والتهديد العاطفي وإن كان التبجّح ليس من شيم حبش. خطب نصرالله مثلاً تخلو من مدروسة ومتماسكة وغير انفعالية ومنطلقة من قدرات عسكريّة جبارة. إن أن الخطب العاطفية التبجّحيّة لقادة المقاومة الفلسطينية واللبنانية كانت تعبيراً عن ضعف وعجز كبيريْن لا العكس. وحركة «حماس» و«الجهاد الإسلامي» و«عرين الأسود» تقتفي أثار حركة «فتح» في تعظيم الإنجازات والمبالغة فيها والإفراط في التهديدات غير المنسجمة مع القدرات العسكرية.

لا أشكّك اليوم في حماسة وذود وتفاني الكثير من قادة المقاومة الفلسطينية وعناصرها في مرحلة لبنان. ولكن لم يكن لأي من التنظيمات استراتيجية عسكرية محدّدة في مواجهة إسرائيل. الذي يعود إلى الاستراتيجية السياسية والتنظيمية لـ«الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين»، والصادرة في عام 1969، والذي كان بمثابة كتيّب الالتحاق بالتنظيم، يصطدم بالمضمون الإنشائي الجميل بعض الأحيان. ولكن المفارقة تكمن في أن حزب الله (الذي يُصوَّر في الدعاية المستوردة ضدّه بأنه ليس إلا ذراعاً إيرانية في المنطقة) بلوز استراتيجية عسكرية محلية الصنع منطلقة من تجربة حسيّة جنوبية في التعامل مع إسرائيل عبر سنوات طويلة من المواجهة والالتحام. أمّا الاستراتيجية اليسارية لـ«الجبهة الشعبية» فإنها تعتمد بالكامل على كلاسيكيات وكليشيهات أدبيات الماركسية الثورية الفيتنامية والماوية في ذلك الحين. كيف يمكن أن تكون الاستراتيجيّة منطلقة من التجربة الفلسطينية وفيها تكرار وإصرار على إنشاء تنظيم طليعي للعمّال والفلاحين، بالحرف. أين كان الفلاحون يومها؟ كان فلاحو فلسطين قد هُجروا من أرضهم ودُفعوا بالقوّة إلى مخيّمات الشتات. هناك كلام عام في استراتيجيّة الجبهة عن شنّ حرب عصابات يمكن لها أن تتطوّر إلى حرب شعبيّة طويلة الأمد لكن هذا لم يحدث، حتى العمليات الموسميّة لم ترتقِ إلى مصاف حرب عصابات. كان أول ما واجهني يوم زرت متحف المقاومة في مليتا أنه يقف تعبيراً عن الفشل الذريع الذي أصاب التجربة السابقة في مواجهة إسرائيل في لبنان.

بإيجاز، إنّ إسرائيل تخاف من حزب الله للأسباب التالية:

أولاً، تخاف من حزب الله لأنه قضى على عقيدة التفوق والكسح العسكريّيْن السريعين اللذين حكما أداء الكيان منذ التأسيس. مجرد استمرار حرب تموز على مدى 33 يوماً بشكّل هزيمة قاطعة للعقيدة العسكرية الإسرائيلية. حتى لو أن العدوّ لم يتعرّض للإذلال (وهو تعرض للإذلال) حتى لو أن العدو تقدّم على الأرض اللبنانية (وهو لم يتقدّم على الأرض اللبنانية) حتى لو أن العدوّ الحق هزيمة عسكرية بالحزب (وهو لم يُلحق هزيمة عسكرية بالحزب)، إنّ مجرّد استمرار المعارك على مدى 33 يوماً يدفع إسرائيل للتفتيش العبثي عن عقيدة عسكرية جديدة تستبدل تلك التي بسطت نفوذ وسيطرة وهيمنة إسرائيل على المنطقة العربية قبل حرب تموز.

ثانياً، استطاع حزب الله أن يخيف عناصر الجيش الإسرائيلي على المستوى الفردي. صحيح أن الأيام الأولى لحرب تشرين شهدت انتصارات على الجبهة السورية والمصرية لكن إسرائيل (وبمساعدة أميركية هائلة فتحت أمامها كل الخزائن العسكرية الأميركية) استطاعت أن تستدرك وأن تعكس مسار الحرب لصالحها. أصيب جيش الاحتلال بهزيمة نفسيّة وإن كانت محدودة في تلك الحرب. لكن ما لحقها في حرب تموز هو ما لم يصب جيش العدو منذ عام 1948. أصيب جيش العدو في حرب تموز بالذعر الشديد وأثّر ذلك على معنويات عناصر وضباط جيش إسرائيل. منذ حرب تموز وأنا أدخل في رهانات أجزمُ فيها كل سنة في الصيف أن إسرائيل لن تجرؤ على الهجوم على لبنان. أذكر في صيف 2010 أنني دخلتُ في رهان في لبنان مع نورمان فينكلستين الذي كان على يقين أن إسرائيل ستهاجم لبنان وأنا قلتُ له لن تجرؤ لأنها تخاف من لبنان ومن مقاومته، وهي في وضع لا يسمح لها بالمغامرات التي حكمت مسار تعاطيها مع لبنان والدول العربية من قبل.

ثالثاً، إسرائيل تخاف من لبنان لأن المقاومة فيه اتقنت استخدام تقنيات عسكرية متطورة ومعقّدة ويشمل ذلك صواريخ وتقنيات التنصت والتجسّس والرصد، وهذا يجعل من إسرائيل مباحة أمام ضربات المقاومة كما لم تكن من قبل. المقاومة الحالية في لبنان لم تكتفِ باتقان استعمال الأسلحة التي كانت معروفة من زمن منظمة التحرير، مثل الدروع والقنابل والمتفجّرات. هذه المقاومة لم تكتفِ بذلك بل دربت عناصرها على استعمال أسلحة متطوّرة من الصواريخ البعيدة المدى إلى القتال بالمناظير الليلية إلى غيرها من وسائل الرصد الالكترونية التي لم تكن في وارد التدريب العسكري لحركة المقاومة الفلسطينية. هي تملك ترسانة هائلة من الصواريخ لكنها زادت عليها في الحصول على الصواريخ الدّقيقة، وهذا يخيف العدو لأنه لم يعد قصف إسرائيل خبط عشواء كما كان في الماضي. في زمن المقاومة كانت صواريخ الكاتيوشا تضرب أهدافاً مفترضة في فلسطين وقلّما كانت تصيب في العدو مقتلاً. أذكر في تلك الأيام الاحتفالات عندما كان يُصاب جندي إسرائيلي واحد بجراح. المقاومة الحالية لا تتقن فقط استعمال السلاح ولكنها تفهم وهي على معرفة وثيقة بصفات وعناصر وقدرات سلاح العدو. هذا النوع من التدريب لم يكن معروفاً من قبل. والمثال الذي أعطيه دائماً هو أن المقاومة الفلسطينية لم تكن تملك خبيراً باللغة العبرية واحداً أمّا اليوم فإن المقاومة تخرّج كوادر يعرفون اللغة العبرية.

رابعاً، تخاف إسرائيل من المقاومة في لبنان لأنها تمتلك عناصر المفاجأة. كانت المفاجآت التي واجهت العدو في زمن المقاومة نادرة وكانت العمليات في أغلبها فاشلة. «الجبهة الشعبية-القيادة العامة» كانت تحاول دائماً مفاجأة العدو مثل استعمال المناطيد أو الطائرات الشراعيّة.

خامساً، يخاف العدو لأن هذه المقاومة لم تتدرّب فقط على الدفاع عن لبنان بكل أراضيه على كامل حدوده وإنما هي تدرّبت على التقدّم جنوباً في شمالي فلسطين المحتلة. هذا أكثر ما يخيف العدو لأنه يعني أن المقاومة باتت قادرة على السيطرة على ميدان المعركة وعلى وضع العدو في موقع الدفاع عن أرض فلسطين لا عن مواقعه على أرض لبنان. ولهذا الغرض أنشأ جيش العدو (مَن كان يتوقع هذا الخبر في حياته) وحدة خاصة مهمتها الدفاع عن الجليل أمام تقدّم محتمل من حزب الله في فلسطين المحتلة في الحرب المقبلة. هذا الخبر لم يحظَ باهميّة في الإعلام العربي لأنه يعطي المقاومة الحالية حقّها من الاعتبار في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي. ناطق باسم جيش العدو أعلن قبل أشهر إنشاء وحدة تدخّل سريع مؤلفة من قوات احتياج جديدة باسم «دافوراه» (نحلة) غايتها مواجهة سيناريو متوقع تتوغل فيه قوة من الحزب إلى منطقة الجليل وتضم هذه الوحدة بضع مئات من الجنود وغالبيّتهم من المسرّحين من وحدات خاصة وقوات مشاة وجميعهم من سكان الجليل العارفين بالطبيعة الجغرافية للأرض. وتخضع الوحدة للفرقة العسكرية 91 المكلفة بحماية الحدود مع لبنان وستعمل كقوّة تدخل سريع. ويعترف العدوّ بأن هذه القوة ستكون متفوّقة نوعياً ومدرّبة ولا يعني هذا إلا مدى الخوف الذي يعتري جيش العدو إزاء هؤلاء المتطوّعين في أرض لبنان الذين يتعرّضون لحملات من داخل لبنان ومن جنوب الحدود وذلك بالتنسيق بين إسرائيل وأعوانها من لبنانيين وعرب وغربيّين. عنصر المفاجأة يعني أن إسرائيل ستكون في الحرب المقبلة مع لبنان في حالة من الضياع والحيرة كما كانت الجيوش العربية في مواجهتها مع إسرائيل. لا تعلم إذا كان العدوّ سيأتي من هنا أو من هناك، إذا كان سيأتي بحراً أو برّاً، أو، ربما في مرحلة لاحقة، جواً. باختصار لقد فقد العدو ليس فقط عنصر المباغتة، لأن هناك من يترصّد الأرض بصورة يومية وعلى مدار الساعة، بل هو فقد عنصر الثقة بالنفس التي كانت مفرطة بحكم الأداء الضعيف والمشين في كثير من الأحيان للجيوش العربية ولفصائل المقاومة الفلسطينية. سادساً، يخاف العدو من الحزب لأن درجة التفاني والتضحية والاستعداد للموت تبلغ عنده حداً أقصى لم يسبق له مثيل حتى في زمن الفدائيين من المقاومة الفلسطينية الذين قدّموا دماءهم فداءً لفلسطين. ولكن درجة الانضباط والالتزام عند عناصر المقاومة اللبنانيّة الحالية هائلة ولم يز مثلها العدو من قبل.

سابعاً، يخشى العدو ويخاف من المقاومة الحالية لأن زعيمها ليس مثل الزعامات التي سبقت في المقاومة الفلسطينية أو حتى في الجيوش العربية. زعيم المقاومة الحالية جادّ في صراعه مع إسرائيل ولا يمزح. وهو خبير في الشأن الإسرائيلي أكثر بكثير من خبراء المقاومة الفلسطينيّة الكوميديين مثل محمود عباس نفسه الذي كان ياسر عرفات يعتمد عليه خبيراً في الشأن الإسرائيلي. والقدرة على التعبئة وعلى التحميس للأمين العام للحزب هائلة وتقارنها بالانسحاب المُذلّ الذي قاده الحاج إسماعيل القائد العام للمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في جنوب لبنان في عام 1982، هذا الجنرال لا يملك الأكثر كفاءة في جيش ياسر عرفات (وبعد أن هرب من أرض المعركة عاد عرفات وعيّنه في منصب أمني في داخل السلطة الفلسطينية) وقد عبّر الرأحل أنيس النقاش عن امتعاضه الشديد لحالة الحاج إسماعيل، مع احترامه لقيادة ياسر عرفات).

العدوّ يخاف من المقاومة، وكل لبناني يخاف من المقاومة يُعلن تلقائيّاً انتماءه العاطفي والسياسي إلى الحركة الصهيونيّة، وهذا ليس جديداً في التاريخ اللبناني المعاصر.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

بين سيئ وأسوأ

سعد الله مزرعاني *

معركة الرئاسة الأولى هي محطة جديدة في الصراع المستمر في لبنان وعليه. هكذا كان الأمر أيضاً في معركة الانتخابات النيابية، وما أعقبها من صراع متناسل على تشكيل حكومة جديدة... وهو صراع، كما هو معروف، متعدّد الأبعاد واللاعبين والعناوين: محلياً وإقليمياً ودولياً. لذلك، ولو بدرجات متفاوتة، ورغم المتغيرات الأخيرة والأولويات الجديدة المنبثقة من انعطافات وحروب في الإقليم والعالم، فالأهداف في لبنان، تبقى تقريباً، هي نفسها!

يمكن تلخيص هذه الأهداف على النحو الآتي: أولاً، طمس المسؤوليات عن الأزمة الطاحنة التي ضربت لبنان وشعبه. ذلك استدعى تفتيت وتشتيت حركة الاعتراض التي رغم حداثة نشوئها والتباساتها، جذبت مئات آلاف اللبنانيين واللبنانيات للنزول إلى الشارع على مدى أشهر. لكنها لم تتمكن من تحقيق أي هدف من أهدافها الرئيسية المفترضة. أبرز هذه الأهداف، محاسبة المسؤولين عن النهب واللصوصية والخراب وجعلهم يدفعون ثمن ما ارتكبوا عبر الإزاحة والمحاكمة ونيل العقاب المستحق. الثاني، هو وقف التدهور المروّع الحاصل والمفتوح على أسوأ المخاطر، عبر إقامة سلطة جديدة تتبنّى مساراً سياسياً واقتصادياً مغايراً للنظام السائد الذي أسس للخلل والانقسام والنهب والتبعية والارتكابات والتهجير والإفقار وانتهاك السيادة. لقد قرن سدنة «الصيغة اللبنانية الفريدة» سلطة لبنان ونظامه السياسي بكيانه، وحتى بوجوده نفسه. وهم نجحوا بالعصبيات، والخداع، وتسخير السلطة وتحاصصها، والاستقواء بالخارج، في إيهام قسم كبير من اللبنانيين بأن الكيان ونظام وسلطة تحالف بقايا الإقطاع السياسي وطغمة المال والاحتكارات والمصارف وتجار الطوائف والمذاهب، هم تركيبة لا تنفصم عراها، فإذا زالت السلطة وأصلح النظام السياسي، تصدّع وزال الكيان من أساسه!

في سياق ممتد من تراكم عوامل الأزمة ومن ثم الانهيار الكوارثيّ، كان الدور الأميركي حاضراً ومتحفّزاً ومثابراً: من أجل تعظيم وتعجيل الانهيار، ومن ثمّ، من أجل استغلاله وتوظيفه في خدمة مصالحه الإمبراطورية في المنطقة وفي العالم. ولطالما حظي المشروع الإحلالي العدواني الصهيوني بمكانة مميزة في المخطط الاستعماري بدءاً من المؤسس الإنكليزي، إلى الوريث الأميركي بعد الحرب العالمية الثانية. لقد قرّر ممثلو الإدارة الأميركية أن الوقت قد حان في لبنان لتحقيق هدف إسرائيلي صهيوني بنزع الشرعية الرسمية عن المقاومة في لبنان تمهيداً للانقضاض عليها في ظروف ملائمة تسمح بتحقيق ما تعذّر تحقيقه في السابق وخصوصاً في عدوان تموز عام 2006.

> **إنّ حماية سلاح المقاومة ودورها هي أولوية مهمة. غير أن اعتمادها لا ينبغي أن يكون بثمن التمديد للأزمة ولـ«أبطالها» من أقطاب المحاصصة والنهب**

خَلَطَ التدخل الأميركي الأوراق على مستوى الموالاة والمعارضة، كما على المستوى الشعبي أيضاً (من خلال منظمات مدنية قائمة أو مستحدثة). وهكذا تمّ التركيز على استهداف سلاح المقاومة الموجَّه ضد العدو الصهيوني بوصفه سبب الأزمة والنهب والفقر والمآسي في لبنان. بذلك، وعن سابق تصور وتصميم، وبضخ إعلامي مأجور خصيصاً، بات المسؤولون عن الكارثة غير مسؤولين عن حدوثها. ساهم ذلك وسواه في تجديد شرعية المنظومة الحاكمة التي طالما أتقنت أساليب التزوير والتضليل وتطويع وتسخير مؤسسات السلطة ونهب مواردها، فضلاً عن العصبيات من كل نوع... وعن قوانين انتخابية مانعة لصحة التمثيل ومكرّسة لخدمة ذوي السلطة والمال والنفوذ والتبعية والعصبيات.

إنّ تكرار ما تقدّم، هو لمواجهة استمرار ترر الرماد في العيون بشأن الأسباب والمسؤوليات الداخلية والخارجية. وهو، أيضاً، لكشف وفضح زيف الادعاءات بأن انتخاب رئيس سيؤدي، بمعجزة وخوارق، إلى معالجة الأزمة وإعادة دورة الحياة الطبيعية إلى اللبنانيين، مشفوعة بالاستقرار والازدهار وتدفّق الدولار!

إنّ أطراف السلطة والأزمة، في الداخل والخارج، هم من يتصدّرون الآن، المشهد، ويحتكرون القرار. حركة الاحتجاج الشعبي تبدّدت تحت تأثير التآمر عليها من داخل وخارج، وعجّز القيّمين عليها عن بلورة تيار شعبي يضم كل المتضررين، تيّار مستقل ومنظّم وفاعل وذو برنامج وخطة وقيادة وأولويات. يتصل بذلك، بشكل وثيق، أن قوى التغيير القديمة قد عجزت، بدورها، عن الارتقاء: بالتوحّد والمشروع والأولويات والمبادرة، إلى مستوى ما أتاحته الأزمة من فرص وما طرحته من مسؤوليات وتحديات. من أبرز الفاعلين في المعركة الرئاسية الراهنة التي تشهد، بالمناسبة، تدخلاً خارجياً غير مسبوق، الطرف الذي عموده الفقري «حزب الله» وحليفه رئيس المجلس (الثنائي). يعمل هذا الفريق على محاولة إيصال زعيم «تيار المردة» سليمان فرنجية إلى سدّة الرئاسة منعاً لوصول رئيس يوظّف الموقع لتحقيق الأولوية الأميركية باستهداف المقاومة وسلاحها. لكن نجاح مرشحه سيؤدي، فعلياً، إلى تغييب المحاسبة وسدّ أبواب التغيير والإصلاح، وإلى مفاقمة الأخطار على لبنان والمعاناة على اللبنانيين (خصوصاً إذا لم يقترن ذلك، أقله، بتبنّي سياسات متحررة من التبعية لواشنطن ومنفتحة جدياً على خيارات مغايرة إقليمياً ودولياً). أمّا الفريق الثاني الموالي لواشنطن، فقد اضطر إلى التخلي عن «الرئيس المواجه». وهو بـ«التقاطع» مع خصوم (دأب على محاولة عزلهم وإضعافهم)، يحاول، بالمناورة، دعم مرشح مُسقط على المشهد السياسي، أملاً باستبعاد فرنجية أولاً، ثم بتمرير مرشح أكثر انسجاماً مع الخطة الأميركية، إذا تمكّن لاحقاً! هؤلاء، من خلال هذا الخيار، يجازفون حكماً بدفع الأزمة إلى الأخطر والأكثر سوءاً؛ تأجيج التناقضات الداخلية وزجّ المستوى الأمني (بالفتن خصوصاً) عاملاً أساسياً بعد أن لم يكن كذلك حتى الآن. والثاني قطع الطريق أيضاً، على أي محاسبة طالما أن الأولوية ستكون مسألة السلاح، لا مسائل النهب واللصوصية والفساد في النظام الذي ينبغي معالجة الخلل فيه منطلقاً لأي إنقاذ منشود.

إنّ حماية سلاح المقاومة ودورها هي أولوية مهمة. غير أن اعتمادها لا ينبغي أن يكون بثمن التمديد للأزمة ولـ«أبطالها» من أقطاب المحاصصة والنهب والاحتكار واللصوصية... وخصوصاً من دون فتح صفحة جديدة وجدية حقاً، في علاقات اللبنانيين الداخلية وعلاقاتهم مع الخارج. إلّا أنّ حماية المقاومة، ليست، بالتأكيد، الأولوية الوحيدة. فالأزمة، في أضرارها والخسائر، قد طاولت أكثر من 90% من اللبنانيين. وهي مرشحة في حال استمرارها لإحداث المزيد من المآسي والضحايا والاستغلال المشبوه... وصولاً إلى نشر الفتن والاحتراب والفوضى. إنّ الواجب والمصلحة الوطنيّين، يقتضيان، بشكل حازم ومتزامن، أولاً، منع القوى المعادية للبنان وشعبه من النيل من تجربته الفذّة في المقاومة ضد العدو الصهيوني، خصوصاً أن عدوانه وخطره ما زالا ماثلين. ثانياً، يحتاج اللبنانيون إلى خطة عاجلة ومسؤولة وإنقاذية، من أجل وضع لبنان على سكة التعافي عبر مشروع وخطة تغيير وإصلاح كبيرين، تكون المحاسبة مدخلهما لوقف الانهيار ولاحتواء الأزمة.

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

سوريا وحلفاؤها يفتتحون المعركة: طرد الاحتلال الأميركي... الآن

حسين الأمين

تضع دمشق، ومعها حلفاؤها في طهران وموسكو، منذ سنوات، نصب أعينهم حتمية استرجاع الجيش السوري سيطرته على كامل الأراضي السورية، وخصوصاً منطقة الشرق، حيث تتواجد قوات الاحتلال الأميركي منذ تشرين الأول 2015، في إطار ما يعرف بـ«التحالف الدولي لمكافحة تنظيم داعش»، والذي عقد اجتماعه الدوري قبل يومين في الرياض. وإذ لا يمكن فصل الاحتلال الأميركي للشرق السوري، عن القوى الكردية التي فتحت الباب واسعاً لدخول وتمدّد هذا الاحتلال بـ«معيّتها»، طوال السنوات الماضية، فإن القيادة السورية لا تنظر إلى الأميركيين، كما تنظر إلى خصومها السوريين، وأبرزهم «قوات سوريا الديمقراطية». فعلى الرغم من توتّر هذه الأخيرة في التماهي مع واشنطن ومشروعها الاحتلالي إلى حدّ بعيد، إلّا أن دمشق لا تدرج الخيار العسكري ضمن أدوات التعامل مع «قسد»، بل تستنفد منذ سنوات كلّ الأدوات السياسية للوصول إلى تسويات جزئية معها، منها ما كُتب له النجاح، ومنها ما أحبطه الأميركيون بضغوط مباشرة على قيادة «الإدارة الذاتية». في المقابل، ترى الحكومة السورية في الخيار العسكري في مواجهة الاحتلال الأميركي، حقاً سيادياً، وواجباً وطنياً، مع إدراك حدود القدرة العسكرية والعملياتية، والظروف السياسية، وأولويات المعركة التي كانت محتدمة ضدّ الجماعات المسلحة في باقي الجغرافيا السورية. كما تنظر مراكز القرار في «محور المقاومة» إلى الوجود الأميركي في هذه المنطقة بالتحديد، على أنه يندرج بشكل أساسي ضمن خطة ممارسة الضغوط الاقتصادية على الحكومة والشعب السوريَّيْن، من خلال حرمانهم الاستفادة من آبار النفط والغاز المنتشرة في المنطقة، والتي كانت تغطّي معظم حاجة البلاد قبل الحرب، فضلاً عن حقول لم يجرِ الاستثمار فيها بعد.

انطلاقاً من ذلك، لا يبدو خافياً على أحد، وخصوصاً على الأميركيين أنفسهم، أن دمشق تدعم مجموعات «المقاومة الشعبية» ضدّ الاحتلال الأميركي في الشرق السوري، من دون تبيّن حجم هذا «الدعم» ونوعه، مع الإشارة هنا إلى أن أفراد هذه المقاومة هم من أبناء الجزيرة السورية، ويملكون الدافعية الكاملة لمواجهة الاحتلال بأيّ شكل. وإلى جانب حكومة دمشق، فإن حلفاء سوريا في «محور المقاومة»، ليسوا بعيدين أيضاً عن المسار المُشار إليه، حيث يلعب المستشارون العسكريون الإيرانيون، بالتعاون مع الجيش السوري، دوراً بارزاً في دعم «المقاومة الشعبية» على مختلف الصعد. أيضاً، دشّن حلفاء دمشق، منذ مدّة، مساراً يصبّ في الخانة نفسها، عنوانه أن الردّ على الاعتداءات الإسرائيلية على سوريا، يكون باستهداف القواعد العسكرية الأميركية في الشرق السوري، وفي التنف أيضاً. وتمثّل آخر تجلّيات هذه المعادلة في استهداف القوات الأميركية، أواخر شباط الفائت، في عدة قواعد في ريميلان وخراب الجير والعمر وكونوكو، ما أدى إلى مصرع متعاقد أميركي، وإصابة آخرين. يومها، ردّ الأميركيون بقصف مواقع تشغلها قوات حليفة لدمشق، وأعقبت الردّ جولة من التراشق الصاروخي وبالطائرات المسيّرة، في مشهد بدا تصعيدياً ولافتاً، وأشعل الضوء الأحمر لدى واشنطن وتل أبيب بشكل خاص، ولدى دوائر الاستخبارات المختلفة، وأنذر بما يمكن أن تكون عليه المرحلة المقبلة.

يندرج الوجود الأميركي في الشرق، ضمن خطة ممارسة الضغوط الاقتصادية على الحكومة والشعب في سوريا (أ ف ب)

> انطلق مسار عمليات المقاومة ولا عودة عنه وهو ما تلمسه واشنطن وتعدّ العدة لمواجهته

نبأ استخباراتية ووثائق رسمية، حصلت عليها الصحيفة، تفيد بأن إيران تخطّط لتصعيد الهجمات ضدّ القوات الأميركية في سوريا. وذكر التقرير أن «إيران وحلفاءها يعملون على تدريب قوات على استخدام عبوات خارقة للدروع أكثر تدميراً، تهدف تحديداً إلى استهداف المركبات العسكرية الأميركية، وقتل جنود الجيش الأميركي». وبحسب وثيقة سرّية أميركية، فإن «مسؤولين في فيلق القدس الإيراني وجّهوا وأشرفوا على اختبار بعض المتفجّرات أواخر كانون الثاني الماضي»، في سوريا. كما تشير الوثيقة إلى أنه «جرى إحباط محاولة تفجير عبوة مشابهة، على ما يبدو، في أواخر شباط الماضي»، عندما اكتشف عناصر من «قسد» 3 عبوات في شمال شرقي سوريا.

في الصورة الأعمّ، فإن إيران وحلفاءها يخوضون منذ احتلال العراق وقبله أفغانستان - وأحياناً قبل ذلك بكثير - معركة كبرى وواسعة ضدّ القوات الأميركية في المنطقة، وخصوصاً في الساحات التي يكون «المحور» تواجد فيها. وامتداداً لهذا المسار، فإنهم اليوم أيضاً يخوضون المعركة ضدّ الاحتلال الأميركي في سوريا، خصوصاً بعد تحقّق استقرار كبير في الجبهات السورية المختلفة، بفعل تفاهمات ترعاها روسيا وإيران مع تركيا، ما فتح المجال أمام القيادة السورية وحلفائها للتحرّك في اتجاه الضغط على القوات الأميركية. وإذ تتفاوت وتيرة عمليات المقاومة من حين إلى آخر، فإن الأكيد أن هذا المسار انطلق ولا عودة عنه، وهو ما تلمسه واشنطن وتعدّ العدة لمواجهته، عبر الاستعانة بمجموعات مختلفة من المقاتلين الموالين لها داخل سوريا، ليكونوا هم في المواجهة، بشكل يشبه ما كان عليه «جيش لحد»، أو جيش عملاء إسرائيل، في جنوب لبنان قبل التحرير عام 2000، حيث كان عناصره ماتريس تتلقّى ضربات المقاومة، بينما يهرب جنود العدو الإسرائيلي، ويحتمون لتقليل الخسائر، ولا يبعد أن يكون مصير أمثال الأوّلين في سوريا مشابهاً لمصيرهم. في المقابل، تحاول القيادة الكردية في شرق سوريا تحييد نفسها عن أداء مهمة في مواجهة «المقاومة الشعبية» أو الجيش السوري وحلفائه، كونها تدرك حجم المتفجّرات أواخر كانون الثاني الماضي»، في سوريا. كما تشير الوثيقة إلى أنه «جرى إحباط محاولة تفجير عبوة مشابهة، على ما يبدو، في أواخر شباط الماضي»، عندما اكتشف عناصر من «قسد» 3 عبوات في شمال شرقي سوريا.

واشنطن تحصّن قواعدها: جيش ميليشيات استعداداً للمواجهة

الحسكة ـ أيهم مرعي

لم يكن استهداف «المقاومة الشعبية» السورية، المدعومة من إيران، لعدد من قواعد «التحالف الدولي» (ريميلان، خراب الجير، العمر، كونوكو)، في نهاية شباط الفائت، حدثاً عادياً لدى الولايات المتحدة. ذلك أن المقاومة استطاعت اختراق أنظمة دفاع جوّي أميركية متطوّرة، وقتلت جندياً وأصابت 6 آخرين، كما وصلت إلى مهبط المروحيات في حقل العمر.

> بدا الأميركيون منذ مدة بالتفكير في تشكيل قوات محلّية تحرس محيط قواعده

ومن هنا، أدركت واشنطن أن هذه النجاحات الميدانية ستدفع المقاومة حتماً إلى تطوير أساليب هجماتها، وربّما زيادة عديد قوّاتها أيضاً، خاصة أن المعلومات التي توافرت حينها أفادت بأن القصف في اتجاه «العمر» تمّ من محيط القاعدة في ريف دير الزور الشرقي الخاضع لسيطرة «قسد»، وهو ما يعني تمكّن المقاومة من الوصول إلى بُعد كيلومترات قليلة عن معاقل الأميركيين. كذلك، جاء قرار «جامعة الدول العربية» إعادة سوريا إلى عضويّتها، ليزيد في استفزاز الولايات المتحدة التي تخطّط حالياً لمضاعفة العقوبات على الحكومة السورية، من خلال السعي إلى إدخال «قانون الكبتاغون» حيّز التنفيذ، وتشديد الإجراءات ضدّ أيّ دولة عربية أو أجنبية تفكّر في التطبيع مع الدولة السورية.

وعلى خلفيّة تلك التطوّرات، بدأ الأميركيون استقدام أنظمة دفاع متطوّرة إلى قواعدهم، مستعينين أيضاً بمنظومة «هيمارس» القادرة على ضرب أهداف بعيدة المدى، إذا ما تقرّر الردّ على أيّ محاولات هجومية جديدة، بهدف ردع نظائرها مستقبلاً، ومنع تكرار ما حصل نهاية شباط. وبالفعل، نقلت واشنطن صواريخ «هيمارس» إلى قاعدتي العمر ورميلان، وهو ما أكّدته مجلّة «فوربس» الأميركية، لافتةً إلى أن «الولايات المتحدة بحاجة إلى قوة حماية ترد بسرعة على التهديدات في سوريا، وهذا ما يوفّره نظام هيمارس بشكل فعّال»، موضحةً أن هذا الأخير «موجّه ضدّ المجموعات المدعومة من إيران، والتي استهدفت القوات الأميركية أخيراً». وأضافت المجلة أن «واشنطن تريد إرسال رسالة إلى موسكو وطهران ودمشق بأن أساليب التحرّش ضدّهما لن تدفعها إلى سحب قواتها، وأن نشر هيمارس سيجعلهم في وضع غير متساوٍ». ولأن فعل المقاومة لم يَعُد مقتصراً فقط على إطلاق المسيّرات والصواريخ من مسافات بعيدة، إنما تجاوزه إلى استهداف القواعد من مسافات لا تتجاوز الكيلومترين، فإن الأميركيين بدؤوا، منذ مدّة، بالتفكير في تشكيل قوّات محلّية تحرس محيط قواعدهم، وترصد أيّ حركة مشبوهة ضدّ قوّاتهم. ولذا، فقد أحيت الولايات المتحدة، أخيراً، فكرة ربط قاعدة التنف على مثلّث الحدود السورية - العراقية - الأردنية، بقواعدها الموجودة في شرق الفرات.

وعلى رغم استحالة تطبيق ذلك في ظلّ الواقع الميداني الجديد في المنطقة، بعد مرور نحو ستّة أعوام على سيطرة الجيش السوري على طريق دمشق - بغداد، فالظاهر أن واشنطن تريد تصعيد الضغوط على دمشق وطهران، والتلويح بدعم تشكيل جماعات مسلّحة وتسليحها من أجل مهاجمة نقاط الجيش السوري، في حال استمرّ الحليفان في تحريك ودعم الهجمات ضدّ القواعد الأميركية. وفي هذا الإطار، تحدّثت وكالة «الأناضول» التركية عن أن «الجيش الأميركي يعمل على تنسيق التحرّك بين فصيل الصناديد وقسد وجيش سوريا الحرة، على مثلّث الحدود السوري - الأردني - العراقي ضدّ ميليشيات مدعومة من إيران»، مضيفةً أن «وفداً رفيعاً من الجيش الأميركي التقى بمندر حميدي الدهام الجربا، قائد قوات الصناديد في منطقة اليعربية في محافظة الحسكة شرقي سوريا، واستمرّ اللقاء لنحو ساعة ونصف ساعة»، متابعةً أن «القادة العسكريين الأميركيين طلبوا من قوات الصناديد أن تتحرّك بالتنسيق مع جيش سوريا الحرة في منطقة التنف، في إطار التدابير المتّخذة ضدّ جماعات أجنبية مدعومة من إيران وضمان أمن الحدود».

من جهتها، توضح مصادر «الأخبار» أن «التحرّكات الأميركية لا تزال أوّلية وإعلامية، وغايتها الأساسية الضغط على المقاومة الشعبية، والتهديد بإشغال الجيش السوري والمجموعات الرديفة في معارك جانبية مع قوّات لا تملك أيّ ثقل ميداني على الأرض، وعلى رأسها ميليشيات جيش سوريا الحرة وجيش مغاوير الثورة، والتي تعاني أصلاً انقسامات داخلية، وعديدها غير كاف لخوض معركة ولو صغيرة ضدّ الجيش السوري، مهما ارتفع مستوى الدعم الأميركي المقدّم لها». وإذ تلفت إلى أن وجود هذه الميليشيات في منطقة التنف غرضه «تأمين غطاء لاحتفاظ قوات الاحتلال الأميركي بقاعدة لها في المنطقة، وعرقلة استعادة الدولة السورية لكامل أراضيها، بما فيها معبر التنف المهم»، فهي تستبعد «توزّط الصناديد في أيّ نشاط ضدّ الجيش السوري، خاصة أن شيوخ قبيلة شمر يملكون علاقات متّزنة مع دمشق وموسكو وحتى طهران»، مبيّنةً أن «المعروف عن الصناديد أنها قوى تشكّلت لحماية قرى قبيلة شمر على الحدود، ومن المستبعد انخراطها بشكل حميدي الدهام الجربا، قائد قوات الصناديد في منطقة اليعربية في محافظة الحسكة شرقي سوريا، واستمرّ اللقاء لنحو ساعة ونصف ساعة»، متابعةً أن «القادة العسكريين الأميركيين طلبوا من قوات الصناديد أن تتحرّك بالتنسيق مع جيش سوريا الحرة في منطقة التنف، في إطار التدابير المتّخذة ضدّ جماعات أجنبية مدعومة من إيران وضمان أمن الحدود».

من جهتها، توضح مصادر «الأخبار» أن «التحرّكات الأميركية لا تزال أوّلية وإعلامية، وغايتها الأساسية الضغط على المقاومة الشعبية، والتهديد بإشغال الجيش السوري والمجموعات الرديفة في معارك جانبية مع قوّات لا تملك أيّ ثقل ميداني على الأرض، وعلى رأسها ميليشيات جيش سوريا الحرة وجيش مغاوير الثورة، والتي تعاني أصلاً انقسامات داخلية، وعديدها غير كاف لخوض معركة ولو صغيرة ضدّ الجيش السوري، مهما ارتفع مستوى الدعم الأميركي المقدّم لها». وإذ تلفت إلى أن وجود هذه الميليشيات في منطقة التنف غرضه «تأمين غطاء لاحتفاظ قوات الاحتلال الأميركي بقاعدة لها في المنطقة، وعرقلة استعادة الدولة السورية لكامل أراضيها، بما فيها معبر التنف المهم»، فهي تستبعد «توزّط الصناديد في أيّ نشاط ضدّ الجيش السوري، خاصة أن شيوخ قبيلة شمر يملكون علاقات متّزنة مع دمشق وموسكو وحتى طهران»، مبيّنةً أن «المعروف عن الصناديد أنها قوى تشكّلت لحماية قرى قبيلة شمر على الحدود، ومن المستبعد انخراطها

مجلة «فوربس» الأميركية: نظام هيمارس موجّه ضدّ المجموعات المدعومة من إيران التي استهدفت القوات الأميركية أخيراً (أ ف ب)

فلسطين

زحمة أطبّاء في مقرّ المقاطعة

خلافة عباس: الصفّ الثاني يريد البرغوثي والشيخ يُعارض

غزة ـ رجب المدهون

وسط تقارير طبّية تُشير إلى أن رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس (88 عاماً)، لا يتمتّع بالصحّة الكافية للقيام بمهام الرئاسة لفترة أطول، وذلك بعدما زاره الطبيب مرّات عدّة خلال الشهر الماضي، يستعدّ الاحتلال وأطراف في السلطة لمرحلة غيابه، وسط خشية أميركية - إسرائيلية من افتقاد شخصية داخل حركة «فتح» قادرة على لملمة أطراف الحركة من بعده. وبحسب مصادر «فتحاوية» تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن «عباس كان بحاجة إلى زيارة المستشفى الاستشاري في رام الله لإجراء فحوصات طبّية خلال الأسابيع الماضية، إلّا أنه فضّل عدم الذهاب والإتيان بالأطبّاء إليه وإجراء الفحوصات له داخل مقرّ المقاطعة في رام الله». وتُضيف المصادر أنه «استُدعي الأطبّاء مرّات عدّة لإجراء فحوصات لـ«أبو مازن»، فيما خضع الأخير أيضاً لفحوصات عاجلة في الأردن بشكل سرّي، قبل توجّهه إلى الأمم المتحدة».

ويأتي ذلك وسط تصاعد الحديث عن خلافة عباس داخل حركة «فتح»، التي تُجمع أطرها على ضرورة التوافق على خليفة خلال الفترة القريبة، وتجاوز حالة الخلاف والتنافس القائمة، بما يساعد على إعادة ترتيب أوضاع الحركة على المستويَين السياسي والتنظيمي. وفي هذا الإطار، تقول المصادر «الفتحاوية»، لـ«الأخبار»، إن «هناك توجّهاً لدى قيادة الصف الثاني، والقواعد الشعبية لحركة فتح في الضفة الغربية، على أن يكون مروان البرغوثي هو خليفة عباس، إلّا أن هذا التوجّه ترفضه قيادة اللجنة المركزية التي يرى أغلب أطرافها أنهم الأحقّ في الخلافة». وتكشف المصادر أن «قيادات المركزية كانت تتقصّى خلال الفترة الأخيرة التقارير الطبّية حول الوضع الصحّي لعباس، وهي بدأت بشكل فعلي التجهّز لمرحلة ما بعده، فيما حاول حسين الشيخ، أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير واللجنة المركزية لحركة فتح، تجاوز حالة الرفض له داخل المركزية، عبر توفير امتيازات مالية جديدة لقيادتها في محاولة لشراء ولائهم، إلّا أنه اصطدم برفض متجدّد من قبل جبريل الرجوب ومحمود العالول».

وعلى رغم معارضة الشيخ تبنّي البرغوثي كوريث لعباس، إلّا أنه وجد في الحديث عنه وسيلة لكبح أيّ تحرّك للرجوب والعالول ضدّه خلال الفترة المقبلة. ويراهن «أبو تالا»، في ذلك، على أن إسرائيل لن تقبل حتماً، بعد مغادرة عباس منصبه، الإفراج عن البرغوثي، باعتبار الأخير شخصية غير مرغوب فيها، ومعاكسة لنهج عباس المناهض للمقاومة، وعندها ستخلو الساحة للشيخ، كون الرجوب والعالول لن تكون لديهما خيارات بديلة جاهزة. والواقع أن دولة الاحتلال ترغب في تصعيد الشيخ، أو ماجد فرج - وهو رئيس جهاز المخابرات العامة الفلسطينية -، إلى خلافة عباس، بالنظر إلى توافق رؤيتهما مع رؤية «أبو مازن» الرافضة للمقاومة المسلّحة بشكل قطعي. وكان رئيس شعبة العمليات السابق في جيش الاحتلال، يسرائيل زيف، حذّر حكومته من انهيار السلطة الفلسطينية وما سيستتبعه من عواقب كارثية، «لن تصبّ أبداً في مصلحة إسرائيل»، منبّهاً إلى أن هذا الانهيار «سيجرّ مناطق الضفة إلى حالة فوضى لا تحمد عقباها، وإلى نشوء سلطة ثانية بديلة، الأمر الذي لا ترغب فيه إسرائيل». كذلك، كشفت تقارير إسرائيلية أن رئيس «الشاباك»، رونين بار، الذي زار الولايات المتحدة الأسبوع الماضي، نقل مخاوف حكومته من الوضع الأمني في الضفة الغربية، والتدهور الحادّ في مكانة السلطة الفلسطينية.

> وجد الشيخ في الحديث عن البرغوثي وسيلة لكبح أيّ تحرّك للرجوب والعالول ضدّه خلال الفترة المقبلة

وبحسب تلك التقارير، فإن «كبار المسؤولين في حركتَي فتح وحماس، ينتظرون بالفعل خروج الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، من المسرح السياسي بشكل طبيعي أو من خلال الدخول في حالة من العجز الطبي، وهم يستعدّون لمعركة الخلافة، بما في ذلك الاستعدادات للصراعات الميدانية من خلال الجماعات المسلحة التي أنشأها مسؤولو فتح، والجماعات المسلّحة الجديدة التي نشأت في الضفة بعد عملية "حارس الأسوار" في أيار 2021». وتشير وسائل الإعلام العبرية إلى أن «عباس يصرّ على ترك موضوع الخلافة في غموض، على رغم أن المعركة المتوقّعة بعد خروجه من المسرح السياسي قد تؤدي إلى فوضى أمنية في المنطقة وحروب بين الجماعات المسلّحة»، مضيفةً أن «"أبو مازن" لم يضع أيّ آلية قانونية متّفق عليها لانتقال منظّم للسلطة في حال دخوله في حالة عجز، وهو يتجنّب إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية خوفاً من الخسارة»، متابعاً أن «عباس يرفض تعيين خلف له من نخبة حركة فتح، أو تعيين نائب يمكنه نقل السلطات الحكومية إليه تدريجياً».

بتصاعد الحديث عن خلافة عباس داخل حركة «فتح»، التي تُجمع أطرها على ضرورة التوافق على خليفة خلال الفترة القريبة (أ ف ب)

تقرير

الريال اليمني يتهاوى: حكومة عدن لا تجد حلولاً

صنعاء ـ رشيد الحداد

توازياً مع فشل «المجلس الرئاسي» اليمني في الحصول على أيّ مساعدات مالية عاجلة أو قروض لسدّ العجز الذي تعانيه حكومته في عدن، سجّل سعر صرف الدولار في المحافظات الجنوبية، أول من أمس، انهياراً جديداً ليتخطّى سقف الـ1400 ريال للدولار الواحد، متأثّراً بانهيار الاحتياطي النقدي للبنك المركزي في عدن إلى أدنى من 200 مليون دولار، ومتسبّباً أيضاً بارتفاع موازٍ في أسعار المواد الغذائية الأساسية والخدمات في تلك المحافظات. وأثار هذا التدهور مخاوف المستثمرين المحلّيين، وعمّق حالة الركود التي يعيشها السوق، وسط توقّعات بتداعيات أكبر وأقسى خلال الفترة القادمة، في حال عدم وجود أيّ تدخّل سعودي أو إماراتي عاجل لإنقاذ حكومة معين عبد الملك.

وكانت هذه الحكومة، ممثّلةً بقيادة بنك عدن المركزي، أجرت لقاءات مكثّفة مع ممثّلين عن «صندوق النقد الدولي» لأيام عدّة في العاصمة الأردنية عمّان، وكذلك مع مندوبين عن وزارة الخزانة الأميركية في دبي، من دون أن تسفر تلك اللقاءات عن أيّ نتائج طيّبة لصالحها. ونتيجة لفشلها في وقف انهيار سعر العملة اليمنية، ارتفع طلب المواطنين على العملات الصعبة خلال الأيام الماضية، بدافع المخاوف من انهيار السعر إلى مستويات قياسية جديدة. وفق ما أفادت به مصادر مصرفية في عدن «الأخبار»، موضحةً أن ثمّة إقبالاً كبيراً على شراء الدولار والريال السعودي لتأمين المدّخرات من الانهيار. وفي محاولة لتهدئة حالة الهلع، سرّبت مصادر مقرّبة من «الرئاسي» أنباء عن تلقّي الأخير وعوداً من الجانب السعودي بتقديم دعم للموازنة سيوقف تدهور سعر صرف الريال. كما نفى البنك المركزي في عدن صحّة المعلومات التي أوردتها وكالة «رويترز» حديثاً، نقلاً عن مصادر في الحكومة المعترف بها دولياً، عن وجود انهيار كبير في احتياطات البنك الداخلية، مطمئناً، في بيان الأربعاء، إلى أن «احتياطات البنك في البنوك الأجنبية لا تزال في الحدود الآمنة».

وفي ظلّ تصاعد التحذيرات من انهيار اقتصادي في المحافظات الجنوبية، صعّدت حكومة عبد الملك مطالبتها عدداً من الدول الغربية بتقديم الدعم المالي والفنّي لها لمواجهة التحدّيات الاقتصادية، مُرجعةً الأزمة الحالية إلى توقّف صادرات النفط والغاز منذ الربع الأخير من العام الفائت، وفقدانها جزءاً هامّاً من الرسوم الجمركية والضريبية بعد الرفع الجزئي للقيود التي كانت مفروضة على ميناء الحديدة. كذلك، استغلّ «الرئاسي» لقاءه وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، في الرياض، ليطالبه بدعم عاجل، فيما أنبأ تسريب السفير الأميركي لدى اليمن، ستيفن فاجن، خبر زيارته لآلية التفتيش الأممية في جيبوتي، بأن واشنطن تدرس إعادة القيود المفروضة على «الحديدة»، بهدف تمكين حكومة عدن من استعادة بعض القنوات الإيرادية التي فقدتها.

في خضمّ ذلك، طالب ممثّلو القطاع الخاص اليمني، أطراف الصراع، بالإعلان عن هدنة اقتصادية عاجلة وشاملة. واعتبر هؤلاء، خلال اجتماع لهم مع عدد من ممثّلي المنظّمات الدولية في العاصمة الأردنية عمّان، أن «الهدنة الاقتصادية تمثّل خطوة مهمّة لبناء الثقة وتحقيق السلام المستدام في اليمن»، مطالبين بـ«وقف الإجراءات التي تفاقم من الانقسام الاقتصادي الحاصل في البلد، وإزالة القيود كافة أمام تدفّق السلع بين المحافظات، وتحييد القطاع الخاص وعدم الزجّ به في أتون الصراع»، مشدّدين أيضاً على ضرورة «توحيد السياسة النقدية، وفتح الطرق الرئيسة بين المدن اليمنية، وتسهيل وصول السلع وفتح المطارات».

تقرير

عاد ريشي سوناك، رئيس الوزراء البريطاني، من زيارته الرسمية إلى الولايات المتحدة، خالي الوفاض تقريباً، بعدما فشل في إقناع الإدارة الأميركية بمنح بلاده ميزات تجارية استثنائية، او دوراً اساسياً في إدارة امن الذكاء الاصطناعي، او حتى دعم مرشّح المملكة المتحدة لمنصب امين عام «حلف شمال الاطلسي». في المقابل، اتّفق الزعيمان على إعلان متواضع مشترك لتعزيز العلاقات الاقتصادية بينهما في مجالات تستهدف استبعاد الصين من سلاسل التوريد الدولية. واكدا استمرار دعمهما لاوكرانيا «مهما استغرق الامر». وتعهّدا بمواصلة حشد المساعدات المالية والعسكرية والاستخباراتية لنظام كييف.

رحلة أميركية خائبة

بايدن لسوناك: الأولوية لاحتواء الصين... ولا هدايا بالمجّان

لندن ـ **سعيد محمّد**

اتّفق رئيس الوزراء البريطاني، ريشي سوناك، مع الرئيس الأميركي، جو بايدن، على ما عُنون بـ«إعلان الأطلسي» لتعزيز العلاقات الاقتصادية بين البلدَين، وذلك خلال الزيارة الرسمية التي قام بها الأوّل إلى واشنطن (الأربعاء والخميس). ويهدف الإعلان إلى تعزيز التجارة بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في مجالات من مثل الدفاع والمعادن الهامّة المستخدمة في بطاريات السيارات الكهربائية والمواد النووية. وعلى رغم العبارات الدبلوماسية المنمّقة التي تبادلها الزعيمان في مؤتمرهما الصحافي المشترك، كقول بايدن إنه «لا توجد دولة أقرب إلينا من المملكة المتحدة»، وحديث سوناك عن «التحالف الذي لا غنى عنه»، فإن ما حصل عليه الزعيم البريطاني كان أقلّ بكثير من حجم طموحه إلى استعادة مكانة استراتيجية فقدتها بلاده تدريجياً منذ تخلّيها عن عضوية الاتحاد الأوروبي (2020)، وسلسلة من التقلّبات السياسية والأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تعانيها بلاده، وتسبّبت بتراجع سمعتها ومكانتها العالمية.

> لم يحصل سوناك على أيّ ردّ إيجابي بشأن حملته لتنصيب وزير دفاعه أميناً عاماً لحلف «الناتو»

وكان صقور «حزب المحافظين» الحاكم، والذين دفعوا في اتّجاه الخروج من التكتّل الأوروبي الأهمّ في الغرب بعد الولايات المتحدة، يأملون في أن يتمكّن سوناك من التوصّل إلى اتفاق تجارة حرة كامل بين واشنطن ولندن، لكن هذه الآمال تحطّمت تماماً الآن. وفي الحقيقة، فإن «إعلان الأطلسي» بدا موجّهاً ضدّ الصين تحديداً، ضمن سعي الولايات المتحدة إلى استبعاد بكين من سلاسل التوريد الرئيسة للعناصر الاستراتيجية، ومجزّد جزء آخر من محاولة إدارة بايدن بناء منظومة «أمن اقتصادي» تجمع الحلفاء الغربيين في مواجهتها الحالية مع روسيا والصين. وأكّد مسؤولون بريطانيون هذا التقييم بقولهم إن الإعلان كان محاولة عقلانية وغير عاطفية للتشبيك بين جانبَي الأطلسي على أساس مفهوم الأمن الاقتصادي للغرب، ويبدو بمثابة اعتراف من سوناك بأن عليه التخلّي عن سياسات حزبه النيوليبرالية المعادية لتدخّل الدولة في السوق الحرّة، واللجوء

> لم يحصل سوناك على أيّ ردّ إيجابي بشأن حملته لتنصيب وزير دفاعه أميناً عاماً لحلف «الناتو»

إلى منهجية بايدن في توفير دعم حكومي للصناعات الاستراتيجية ومنحها إعفاءات ضريبية إنْ كان لها أن تستمرّ في المنافسة العالمية.

وتعمل الولايات المتحدة، منذ نشوب النزاع مع روسيا على الأرض الأوكرانية العام الماضي، على إعادة رسم شبكة سلاسل التوريد الدولية لتجنّب الاعتماد المفرط على الصين، وذلك عبر ترتيبات خاصة يتمّ التفاوض عليها مع الدول الحليفة مثل اليابان وأستراليا والاتحاد الأوروبي وكوريا الجنوبية. وبناءً على الإعلان الذي أصدره الزعيمان، فسيتأهّل المصنّعون البريطانيون للسيارات الكهربائية التي تستخدم بطاريات بريطانية الصنع - أو منتجات مصدرها دول مثل اليابان التي أبرمت معها الولايات المتحدة اتفاقيات بهذا الشأن -، للحصول على إعفاءات ضريبية قدرها 3750 دولاراً لكلّ سيارة في إطار قانون بايدن لخفض التضخّم، وهو التشريع الرئيس الذي يدعم صناعات التكنولوجيا الخضراء الأميركية، ويثير قلق الدول الصناعية من فقدان السوق الأميركي. والتزم الرئيس الأميركي بأن يطالب الكونغرس بالموافقة على اعتبار المملكة المتحدة «موردّاً محلّياً» لأغراض المشتريات الدفاعية الأميركية، الأمر الذي إن حصل فسيسمح بتعاون أوسع بين شركات البلدَين في مجال التكنولوجيا العسكرية الجديدة. وتضمّن الإعلان، كذلك، إجراءات لتسهيل التجارة البينية، والحدّ من الروتين لمصلحة الشركات الصغيرة والمتوسّطة، وتبنّي مبدأ الاعتراف المتبادل بمؤهّلات المهندسين - وفي مرحلة تالية المحاسبين -، مع أن هذا سيحتاج إلى موافقة كلّ ولاية على حدة في الولايات المتحدة.

وفي علامة أخرى على تراجع مكانة بريطانيا، فشل سوناك في الحصول على دعم صريح من مضيفيه بشأن دور أكبر لبلده في مجال إدارة الذكاء الاصطناعي على الصعيد العالمي. وكان رئيس الوزراء البريطاني يدفع في اتّجاه إشراك لندن في ترتيبات يُجري العمل عليها بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لوضع قواعد لإدارة التطوّرات المتسارعة في هذا المجال، و«منع تحوّل تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي إلى أدوات في يد الآخرين لإلحاق الضرر بالديموقراطيات الغربية». وعرض سوناك أن تستضيف بريطانيا أوّل قمة عالمية حول تنظيم هذه التكنولوجيا في الخريف المقبل، وأكد جاهزية بلاده للعب دور مركز القيادة في تطوير قواعد جديدة للتخفيف من المخاطر التي قد تشكّلها. ورحّب بايدن - الذي اعتذر عن وصف سوناك عن طريق الخطأ بـ«سيادة الرئيس» بدلاً من «حضرة رئيس الوزراء» - بعزم لندن على تنظيم القمّة العالمية المقترحة بقوله: «نحن نتطلّع إلى بريطانيا العظمى للمساعدة في بذل هذا الجهد لإيجاد طرق من خلال القمّة لبناء تعاون كامل»، لكن كلّ ما التزم به الأميركيون واقعاً هو تسهيل شكلي الطابع حول تبادل الأبحاث بين البلدَين في الحوسبة الكمومية وتقنيات أشباه الموصلات والذكاء الاصطناعي، وهي مساحات غالباً ما تكون فيها التطوّرات أسرع من أيّ جهود لتقنينها في إطار بروتوكولات رسمية بين الدول.

كذلك، لم يحصل سوناك على أيّ ردّ إيجابي من الجانب الأميركي بشأن حملته لتنصيب وزير دفاعه، بين والاس، كأمين عام لحلف «الناتو»، بدلاً من ينس ستولتنبرغ، الذي سيترك منصبه في أيلول المقبل. وتجاهل بايدن تماماً في مؤتمره الصحافي المشترك مع رئيس الوزراء البريطاني في الغرفة الشرقية للبيت الأبيض، سؤالاً لأحد المراسلين عمّا إذا كان الوقت قد حان لشخصية بريطانية لتولّي المنصب الرفيع، إذ قال: «سنرى»، فيما اكتفى سوناك بابتسامة عريضة مصطنعة. ويعتقد مراقبون أن واشنطن تميل إلى دعم ترشيح ميتي فريدريكسن، رئيسة وزراء الدنمارك، وهي كانت في ضيافة بايدن لهذا الخصوص، بينما كان سوناك يستقلّ الطائرة نحو واشنطن (الثلاثاء). وبالنظر إلى أن الولايات المتحدة هي صاحبة الكلمة الأخيرة في كلّ ما يتعلّق بشؤون «الناتو»، فإن فرص ولاس تبدو في حُكم المنتهية.

أمّا الملفّ الوحيد الذي بدا فيه الرجلان متوافقَين تماماً، فكان دعمهما لأوكرانيا. إذ تعهّد الزعيمان بمواصلة حشد المساعدات المالية والعسكرية والاستخباراتية لنظام كييف؛ وقال سوناك: «لا جدوى من محاولة انتظارنا»، مخاطباً الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، الذي اتّهمه بتبنّي افتراض مغلوط بأن الغرب سيتعب من تقديم الدعم، بـ«أننا سنكون هنا طالما استدعت الحاجة»، فيما أعرب بايدن عن اعتقاده بأنه «سيكون لدينا التمويل اللازم لدعم أوكرانيا مهما استغرق الأمر». كذلك، التقى سوناك غرفتَي النواب والشيوخ في الكونغرس، ودعاهما إلى دعم أوكرانيا لمنع روسيا من التمدّد من دون رادع، في وقت يخشى فيه أنصار الحرب على جانبَي الأطلسي من أن عدم التجديد لبايدن في الانتخابات الرئاسية العام المقبل، قد يعني توقّف الدعم الأميركي لأوكرانيا على يد رئيس جمهوري. وفي هذا الإطار، أعرب سوناك، في مقابلة تلفزيونية لاحقاً، عن ثقته في أن أيّ إدارة ستكون في البيت الأبيض العام المقبل ستستمرّ في محض نظام كييف مطلق الدعم.

بالنتيجة، غادر سوناك واشنطن بعد تبادل دافئ للكلمات والهدايا والمزاح مع الرئيس الأميركي، لكنه عاد خالي الوفاض تقريباً، فيما لا يبدو حتى أن علاقته الشخصية ببايدن وصلت إلى مستوى العلاقة التي تمتّع بها توني بلير مع الرئيس بيل كلينتون ثمّ مع الرئيس جورج د. بليو بوش.

تجاهل بايدن سؤالاً لأحد المراسلين عمّا إذا كان الوقت قد حان لشخصية بريطانية لتولّي المنصب الرفيع (أ ف ب)

العراق

إقرار جزئي للموازنة: الخلافات باقية

بغداد ـ **فقار فاضل**

بشكل جزئي، صوّت البرلمان العراقي على قانون الموازنة المالية الثلاثية، على إثر تسوية للخلافات بين القوى السياسية، ولا سيما بين «الحزب الديموقراطي الكردستاني» و«الإطار التنسيقي»، وسط إصرار نيابي على إقرار القانون بشكل نهائي قبل عيد الأضحى، لتَدخل الموازنة حيّز التنفيذ. وبعدما أعلن رئيس اللجنة المالية، عطوان العطواني، عن تلك التسوية، عقد البرلمان جلسته في ساعة متأخّرة من مساء الخميس، برئاسة محمد الحلبوسي، وبحضور 258 نائباً، صوّتوا على المواد الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة، بينما تمّ تأجيل المادة الثانية وحذف المادة الرابعة - بناءً على طلب اللجنة المالية -، والتي تتضمّن إجراء مناقلة بين تخصيصات القروض المدرجة في القانون، وتغيير الجهة المستفيدة منها. وعلى إثر ذلك، رُفعت الجلسة حتى يوم الجمعة، حيث استُؤنفت مساءً بحضور 259 نائباً لمناقشة المواد التي أُجّلت أول من أمس.

وكان المشروع أثار خلافات عميقة في ما بين القوى السياسية حول مخصّصات المحافظات، وآخرها اعتراضات إقليم كردستان على المواد الخاصة به، ما تسبّب بتعطّل عملية الإقرار لأشهر. وتُعدّ هذه الموازنة من أضخم الموازنات في تاريخ البلاد، ويبلغ حجمها 197 تريليوناً و828 مليار دينار عراقي (152,2 مليار دولار)، وبعجز وصل إلى 63 تريليون دينار عراقي، علماً أن البرلمان صوّت على احتساب سعر برميل النفط عند 70 دولاراً، وسعر صرف الدولار أمام الدينار المحلّي عند 1300 للدولار الواحد. ويحذّر خبراء المال والاقتصاد من مغبّة تمرير الموازنة بشكل نهائي بصيغتها الحالية، التي تغلب عليها صبغة التوافقات السياسية، محذّرين من أنها ستجعل البلاد على محكّ الاقتراض الداخلي والخارجي.

لكن عضو اللجنة المالية، معين الكاظمي، يعتقد أن الموازنة «ستغطّي جميع المحافظات العراقية بشكلٍ يضمن العدالة الاجتماعية»، لافتاً إلى أن «معظم بنودها تمّت مناقشتها بشكل معمّق من خلال اجتماعات اللجنة المالية، وأيضاً بحضور اللجان الأخرى والمحافظين في الشهرَين الأخيرَين». ويشير الكاظمي، في تصريح إلى «الأخبار»، إلى أن «الخلافات حُسمت نهائياً بين القوى السياسية وخاصة مع إقليم كردستان، وهناك اتفاقات حصلت مع الأكراد بشأن بيع النفط وآلية تصديره». ويوضح أن «القوى السياسية توصّلت إلى اتفاق يفيد بأن من واجبات الإقليم الإنتاج، وواجب الحكومية الاتحادية هو البيع والتصدير وتوقيع العقود مع الشركات الأجنبية، وفي مقابل ذلك تتولّى الحكومة تسديد مستحقات الإقليم من الموازنة، وهذا شيء جيّد». من جانبها، ترى النائبة عن «الاتحاد الوطني الكردستاني»، سروة محمد رشيد، أن «جميع الخلافات كانت طبيعية أمام موازنة عملاقة لمدّة ثلاث سنوات»، مشيرةً إلى أن «هناك مئات المشاريع التي تنتظر التخصيصات المالية، فضلاً عن البرنامج الحكومي الذي وضعته الحكومة الاتحادية والذي يحتاج إلى أموال كبيرة لتطبيقه على أرض الواقع، وكذلك توزيع رواتب الموظفين والمتعاقدين الجدد». وتلفت رشيد، في تصريح إلى «الأخبار»، إلى أنه «بعد الاتفاق الأخير، ليس هناك مَن يعترض على الموازنة لأنها استوفت جميع شروطها، فيما نحن في إقليم كردستان داعمون لها ولقرارات الحكومة الاتحادية في مسألة بيع النفط وجعله تحت رقابة شركة سومو في بغداد».

> تُعدّ هذه الموازنة من أضخم الموازنات في تاريخ البلاد

وفي الاتجاه نفسه، يعتقد النائب عن كتلة «دولة القانون» النيابية، فراس المسلماوي، أن «إقرار قانون الموازنة سيحرّك الركود الحاصل في جميع مفاصل الدولة»، مبيّناً أن «المحافظات الجنوبية حصّتها ستة ونصف تريليون عراقي، وكنّا نتائل رفعها إلى ثمانية تريليونات لتناسب حاجتها الكبيرة إلى الإعمار والبنى التحتية». ويتحدّث المسلماوي، إلى «الأخبار»، عن «مزايا كثيرة في الموازنة على مستوى تشغيل العاطلين من العمل، وتضمين شرائح مهمّة كحملة الشهادات العليا والمفسوخة عقودهم ضمن بنودها، وهذا سيساهم في تشغيل كل القطاعات والمجالات الاقتصادية والاستثمارية والتجارية»، كذلك، يعتبر عضو حركة «حقوق» النيابية، حسين العامري، أن «إقرار الموازنة سيؤثّر إيجاباً على السوق الذي يعاني من ارتفاع الأسعار»، مشدّداً على أن «الجميع أمام مسؤولية كبيرة، ألا وهي أموال الموازنة التي ينبغي الحرص عليها من قِبَل الحكومة وعدم السماح بذهابها إلى جيوب الفاسدين، كما حصل في الموازنات السابقة». ويتوقّع العامري أن «تنصف الموازنة جميع الشرائح المجتمعية، كونها راعت الجميع بشكل متساوٍ».

> عضو اللجنة المالية: الموازنة ستغطي جميع المحافظات العراقية بشكلٍ يضمن العدالة الاجتماعية (أ ف ب)

في المقابل، ينتقد الكاتب والمحلّل السياسي، أحمد السراج، «آلية إقرار الموازنة عن طريق التوافقات السياسية»، ويراها «خالية من الجدوى الاقتصادية بالنسبة إلى المواطن وفائدتها فقط للكتل السياسية». ويرى أن «هذا ليس بالجديد طالما العملية السياسية قائمة على المحاصصة والتوافقية لا على الأغلبية السياسية»، منتقداً، في حديثه إلى «الأخبار»، وقائع جلسة التصويت، ومعتبراً إيّاها «مستعجلة». ويشدّد السراج على أن «الحكومة أمام تحدّيات صعبة؛ إذ إن تنفيذ برنامجها وفق هذه الموازنة شيء غير معقول، كما أن الوقت المتبقّي لن يسعفها في ظلّ المشكلات وعدم الاستقرار في السوق والاقتصاد».

وفيات

بسم الله الرحمن الرحيم
إنّا لله وإنّا إليهِ راجِعُون
انتقلت إلى رحمته تعالى ووريت الثرى في جبانة بلدتها شقرا نهار الأربعاء الواقع في 7 حزيران 2023

السيّدة زينب سليم مقدم
زوجة العميد علي عاشور

ولدها: **المهندس محمد وسام عاشور**
بناتها: ثريا زوجة عبد الإله عاشور، إيمان ونادين
أشقاؤها: إسماعيل، غازي وأحمد مقدم
شقيقاتها: فردوس، المرحومة نجاح وشمس الضحى
أحفادها: عبد الرؤوف عاشور، علي وكريم نصور،
علي وأحمد عاشور، سمير ووسام خلف
سيقام ذكرى اسبوع عن روحها الطاهرة اليوم السبت الواقع في 10 حزيران 2023 الساعة 11 قبل الظهر في حسينية بلدة شقرا
تقبل التعازي في بيروت يومي الإثنين والثلاثاء الواقعين في 12 و13 حزيران من الساعة 11 قبل الظهر وحتى الساعة 7 مساء في فندق لانكستر إيدن باي، الرملة البيضاء
الأسفون: آل عاشور - مقدم- نصور - خلف - وزنه وعموم اهالي بلدة شقرا

مبوب

للإيجار

كابين مع دوش وموقف - طبرجا بيتش
هاتف: 03/305956

استراحة

كلمات متقاطعة 4330

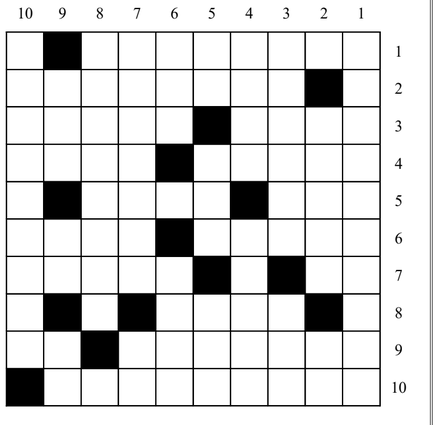

أفقيا

1- مصيف سوري – 2- رئيس إيراني راحل – 3- قصة للصحافي اللبناني الراحل جورج ابراهيم الخوري – رحى اليد يُطحن بها القمح المسلوق – 4- بجيبون – نوع من القهوة اليمنيّة – 5- الصوت الغليظ – من أيام الأسبوع – 6- في العود – نثير الاهتمام – 7- خاصته – أحرف متشابهة – 8- من عوامل البحر – 9- مدينة مصرية – قادم – 10- ممثل سوري راحل

عمودياً

1- من أنبياء العهد القديم يُعرف بالخضر – 2- يتوسّل إليه – للندبة – 3- نبيّ الفرس الأقدمين – أحفر البئر – 4- مدينة أميركية في ولاية نيويورك – من المحيطات – 5- وضع خلسة – تفتّت الخشب – جرى الماء جرياً سهلاً – 6- أرمي الماء من فمي – من يتقن فنون الأدب – 7- عاصمة أفريقية – قرع الجرس – 8- أمير كيف قديماً مدّ سيطرته حتى البلطيق وثبّت المسيحية في روسيا – 9- عاصمة غرونلند – نوتة موسيقية – خبز يابس – 10- ممثل لبناني راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- أب – التراب – 2- ارواد – مسقط – 3- دم – مستور – 4- بولونيا – اس – 5- يرع – حالك – 6- رار – نا – مهر – 7- ال – سالف – ما – 8- دكا – عذاب – 9- يرمق – الجرّة – 10- بشارة تقلا

عمودياً

1- البير أديب – 2- أر – الكرش – 3- بودلير – امّا – 4- أمور – قر – 5- إد – نعناع – 6- مي – الذات – 7- تمساح – فالق – 8- رسّت – أم – بجّل – 9- اقوالهم – را – 10- بطرس كرامة

4330 sudoku

2		1			3	8	6	
		4						9
5		6	8	7				1
			1	2			7	
			9	5				4
					8	5		2
		8	7				9	
	7			8	5		4	6
	2		4					5

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4329

8	4	7	6	5	3	9	2	1
2	3	6	9	1	7	8	4	5
5	1	9	2	8	4	3	7	6
1	6	8	5	4	2	7	3	9
7	5	4	8	3	9	1	6	2
9	2	3	7	6	1	4	5	8
6	9	2	4	7	8	5	1	3
4	8	1	3	2	5	6	9	7
3	7	5	1	9	6	2	8	4

مشاهير 4330

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رئيس وزراء عراقي سابق، رئيس تحالف النصر

5+6+7+2+8+4 = الرائحة الزكية ■ 1+3+11+10 = معدن صلب
■ 8+9 = والد

حل الشبكة الماضية: **مايكل لانغدون**

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

كانت فعلاً نكسة وفي النكسة عِبرة!

مصعب بشير

في أيار 1967، هدّد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي بمهاجمة دمشق وإسقاط نظام الحكم فيها. كانت الاشتباكات تتكرر نظراً إلى تعبئتهم. لكنّ الغرور الصهيوني تبخّر في «ممر الجدي» وهو أحد مضيقين جبليين في وسط شبه جزيرة سيناء لا بد من عبورهما للتوجه نحو قناة السويس.

حوالى العاشرة من صباح السادس من ذلك الحزيران، تفاجأت الكتيبة المدرعة الإسرائيلية المكوّنة من 42 دبابة، والتي كان دان شاپش من طليعتها، بتواجد حوالي 20 دبابة مصرية على المخرج الغربي لممر الجدي. بعد تبادل بضع قذائف من الجانبين عُمّم الإيعاز التالي للكتيبة عبر اللاسلكي: «فليهرب من يريد النجاة بنفسه!» وبالفعل تراجعت 40 دبابة إسرائيلية، ولم تتبع الإجراء المتعارف عليه بأن تتمركز على المخرج الشرقي، بل هربت من الميدان، ولم ينجُ طاقم دبابة دان والدبابة الأخرى إلا بعد أن تدخل الطيران الذي أجبر الدبابات المصرية على التراجع. المفاجئ في حديث شاپش عن الحرب، هو تأكيده أنه تم استدعاؤهم عند الحدود المصرية قبل 40 يوماً من بدء العمليات الحربية؛ أي أن الجيش الإسرائيلي أراد الحرب ولم تُفرض عليه.

عندما حُسم الأمر في سيناء عصر الثامن من حزيران، أمر رحبعام زئيفي -أحد القادة الميدانيين الثلاثة في سيناء- بدك مدن السويس والإسماعيلية وبور سعيد بالمدفعية، كما أمر بإعدام عشرات الآلاف من الأسرى المصريين، قضى الآلاف منهم تحت جنازير الدبابات الإسرائيلية. زئيفي نفسه أصبح سياسياً ووزيراً وبوقاً لسياسة طرد ما تبقّى من الفلسطينيين (الترانسفير). بعد جيل على جرائمه، نفّذ رفاق من «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» حكم الشعب بإعدامه. أمّا من بقي من مجرمي الحرب الصهاينة، فحسبه أن يتقي ما هو قادم من محاكمات بالقانون الدولي أو الثوري.

■■■

«عندما يكونون متفوقين في العتاد والسوفيات مجتمعين.

يتحذلق البعض مشككاً في دخول الشاذلي لفلسطين عام 1967 لأن الإسرائيليين لم يذكروا ذلك. ولكن الإسرائيليين يقولون، إنّ الشاذلي كان في العريش وإنه انسحب من هناك! فمن سنصدق؟ الشاذلي طبعاً.

■■■

«عبد الناصر لم يرتدع... تحفّل الضربات وضمّد جراحه... ولم ياهر بوقف الحرب» (3)

بهذه الكلمات وصف إسحق رابين (القيادي في تنظيم «البالماخ» الإرهابي خلال النكبة، وصاحب أوامر تكسير عظام المتظاهرين إبان الانتفاضة الشعبية الفلسطينية الأولى عندما كان وزيراً للدفاع) عدوه اللدود الرئيس الراحل جمال عبد الناصر؛ فقد كان رابين رئيساً لأركان الجيش الإسرائيلي خلال

حتى اقدم «اتفاق سلام» مع مصر وقّع عليه المجند محمد صلاح الذي وُلد بعد جيلين من نكسة حزيران بأنه باطل

حرب حزيران، وخلال المرحلة الأولى من حرب الاستنزاف التي شنتها مصر بقيادة عبد الناصر بدءاً من يوم 12 حزيران/يونيو، أي بعد يوم واحد فقط على الهزيمة النكراء.

لا شك في أن عبد الناصر هو المسؤول الأول عن الهزيمة؛ كيف لا وهو القائد الوطني والقومي، وهو من ترك الجيش في يد من ليسوا أهلاً للمسؤولية ليكفّوه شر الانقلابات. لكن عبد الناصر تحمّل مسؤوليته بشجاعة أمام الشعب في مشهد نادر الحدوث في التاريخ، فهو لم يعترف بالرِّزِيَّة فحسب بل استقال على الملأ، والكل يعلم أن الجماهير الحاشدة ردّت في حينه رافضةً استقالته. تَحول العصبة الإيديولوجية -سواء الحليفة لليبرالية أو إخوانية أو إسلاموية- حول أعين أغلب من يهاجمون عبد الناصر ويعلقون عليه كل كوارث حاضرنا دون أن يروا جوهر الأمر.

قال الصهاينة: «ليس ما قبل حرب الأيام الستة كبعدها». أي نعم! لقد انتهى ما قبل حرب الأيام الستة، لكن لم ينته ما بعدها؛ جاءت موجات نضال ولا تزال. تراجع حلم إسرائيل في التوسع كما تبيّنه خريطة «من النيل إلى الفرات» على ظهر قطعة الـ10 أغورات (قطعة نقدية إسرائيلية)، وصار سعيُها لإيجاد بديلٍ لمحمود عباس أهمية لأمنها القومي، ومصافحةُ دكتاتور عربي إنجازاً، ومحاولة حماية عسكرييها وسياسييها وشركاتها من خطر المقاطعة وسحب الاستثمارات والمعاقبة القانونية ضرورة وجودية، والقدس والضفة وغزة التي سقطت كلها باقل من الف جندي و36 ساعة بلا قتال، صارت تتطلب فرقاً عسكرية كاملة خشية من فتاة أو فتى بقبضة يد أو أداة معدنية.

وحتى اقدم «اتفاق سلام» مع مصر وقّع عليه المجند محمد صلاح الذي وُلد بعد جيلين من نكسة حزيران بأنه باطل، لا تؤكد ذلك رصاصاته التي أزدت 3 جنود إسرائيليين، بل بيانات الإذاعة والتلفزيون الرسميين الإسرائيليين الذين وصفاه بـ«المخرّب». فلا توجد دولة في العالم تسمي جندياً في جيش دولة تبادلها الاعتراف بـ«المخرّب»، هي الصفاقة والعنصرية الصهيونية التي لا ترى في أي اتفاق إلا صكاً لمصلحتها لا غير. إنّ المعركة مستمرة منذ النكبة، ونهايتها تتناسب عكسياً مع سرعة تنظيم كادحي الأمة.

هوامش:

(1) مقابلة المقدم المتقاعد في سلاح المدرعات الإسرائيلي دان شاپش مع المؤرخ العسكري الإسرائيلي أوري ميلشتاين في إطار مشروعه «הוצאת שרידות» (منشورات من بقي على قيد الحياة) 23 أيار 2021. قناة أوري ميلشتاين على «يوتيوب»، تمّت زيارته في 6 حزيران 2023

(2) مقابلة الفريق سعد الدين الشاذلي في برنامج «شاهد على العصر» على قناة «الجزيرة» في 2009/09/14

(3) مذكرات إسحق رابين، ترجمة دار الجليل للدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان 2015

محمد صلاح البطل في طليعة الوعي

أحمد ضياء دردير

قيل إن ما فعله محمد صلاح لا بد وأن يكون وراءه تنظيم ما، وقال المرجفون إن ما فعله لا يعدو أن يكون هبة شعواء تفتقر إلى التخطيط والرؤية، وحاول بعض الذين يعشقون نظام الدولة الحديثة ومؤسساتها نسبته إليها حتى كان الأوامر صدرت بتنفيذ العملية من القيادة العليا للجيش، بينما احتفى آخرون بعفوية ما فعل وعدم ارتباطه بأي فرقة أو اتجاه.

كل هذه المقولات يغيب عنها أن الشهيد تصرّف وحده كتنظيم كامل: خطّط وأعدّ، عرف أي نقاط الحدود آمنة فعبر منها، هاجم هدفه بدقة فقتل اثنين من جنود العدو، ثم ربض على أرض فلسطين إلى أن جاءته دورية من جيش الاحتلال فتبادل إطلاق النار معها إلى أن استشهد.

ثمة عفوية جميلة، وثم انفعال صادق ضد الغاصبين، ولكن لا انفعالية ولا جنون في ما فعل، بل «سبق إصرار وترصّد» وتخطيط وتنفيذ «بدم بارد» إن جاز التعبير، إلى أن قتل الصهاينة «صبراً» بحسب التعبير التراثي.

يشهد على ذلك تاريخ الشهيد على وسائل التواصل الاجتماعي، من منشوراته التي تشير إلى بحثه عن العدل والخير إلى تغريدته التي أصبحت شهيرة بعد استشهاده والتي قال فيها: «الله مع فلسطين».

لا يبدو قرار العملية وليد اللحظة، بل كان متجذّراً في وعي الشهيد، الإسلامي والوطني والإنساني، وما قبل في الإعلام عن أن زميلاً له استشهد على الحدود ولم يذع الأمر، وما قيل عن أنه تغيّب عن موقعه من بعد استشهاد زميله ولم يعد إليه إلا في يوم العملية، كلها تؤكد أن نية الشهيد كانت مبيّتة للقيام بالعملية.

خطوات على طريق الوعي

ما قام به الشهيد استثنائي و«نوعي»، ولكنّ استثنائيته لا تكمن في القطيعة مع ما سبق، بل في كونه تطويراً لوعي، فردي وجماعي، يتضامن مع فلسطين ويرفض «إسرائيل».

ولأن العملية، على استثنائيتها ونوعيتها، تنبت من هذا التراب، وقبل أن نعرف من هو أو نعرف تفاصيل العملية، ربط الوجدان الشعبي المصري والعربي بينه وبين سليمان خاطر. التشابه واضح كما أن الربط ضروري لفهم حالة الوعي المتصل التي قدّمت لنا البطلين، والربط طبيعي كذلك لأن سليمان خاطر قد خلد في مخيلتنا بقصيدتين رائعتين، إحداهما عامية كتبها محمود الطويل وغنّاها الشيخ إمام، وأخرى فصحى كتبها مظفر النواب وكلتاهما انتشرت في أعقاب العملية على وسائل التواصل الاجتماعي.

ومثل محمد صلاح حاولوا تصوير سليمان خاطر انفعالياً وقيل إنه أطلق النار على الصهاينة لأنه وجد بينهن نساء أشباه عرايا، بينما كان دفاعه شديد العقلانية إذ قال إن الذين أطلق عليهم النار تقدّموا إلى مواقع عسكرية لا ينبغي لأحد أن يراها، وذكّرهم في الدفاع بحادثة امرأة «إسرائيلية» أغوت ضابطاً ليدخلها إلى موقع عسكري لتتضح بعد ذلك أنها جاسوسة، ثم قال إن الحكم عليه سيجعل الجنود المصريين يتردّدون في الدفاع عن مواقعهم بعد ذلك.

ولكن، إن كان محمد صلاح قد سار على نهج سليمان خاطر، فإن ما فعله يمثل خطوة متطورة في هذا النهج، وأخشى أن يؤدي بنا الإغراق في اجترار ذكرى سليمان خاطر إلى الغرق في الماضي والنظر إلى الوراء بدلاً من النظر إلى الأمام كما فعل الشهيد. فسليمان خاطر أطلق النار على الصهاينة الذين جاؤوا إليه بينما عبر محمد صلاح الحدود وطلبهم. وسليمان خاطر دافع عن نفسه أمام المحكمة بأن ما فعله كان من باب الحفاظ على النظام والأوامر؛ وإذا كانت الحدود والنظام موقعاً يمكن أن نتمترس فيه، في بعض الأحيان، في وجه الاستعمار، فإن محمد صلاح قد تخطّى هذا المتراس ليحارب في موقع الطليعة.

قد يكون الفارق أن سليمان خاطر قال ما قاله في صدد الدفاع عن نفسه أمام المحكمة العسكرية فاضطر أن يصيغ دفاعه وفق منطق النظام والقانون والخدمة العسكرية. أمّا محمد صلاح، فإنه باستشهاده في الميدان قد ترك لنا حكاية بطولة تتحرر من هذه الضوابط والقيود.

ربما. وبغضّ النظر عن النوايا، فإن ما أحدثه وما يمكن أن يحدثه محمد صلاح في الوعي يأخذنا إلى مرحلة جديدة أكثر تقدّماً عن ذي قبل. ما تركه من أثر دليل على أن العملية، وإن نفّذها وحده، لم تكن فردية، فكما نبتت من الوعي الجماعي فإنها تصبّ فيه.

«إلى كل إسرائيلي ابن وسخة»

بعد استشهاده انتشر مقطع، قيل إنه سجّله صباح يوم العملية، بينما يشكك البعض في نسبته إليه، يقول فيه (هو أو شبيهه): «كلام إلى كل إسرائيلي ابن وسخة. أنا جاي الجيش النهاردة. اللي هالمحه عالحدود، هاركبه عالعمود. وتحيا جمهورية مصر العربية». هذا الفيديو إن صحت نسبته إلى الشهيد يشير إلى النية المبيّتة للعملية وإلى ارتباطه بوعي شعبي يعبر عن نفسه بمصطلحات عامية. قد يجدها البعض سوقية. بالعداء مع الصهاينة؛ وإن لم يصح فهو دليل على حالة الوعي التي قد ساهم في إحيائها. وفي كل الحالات هو جزء ملموس من الذي أحدثه على مستوى الوعي.

يقول مظفر النواب في قصيدة عن شهيد مصري آخر: «أنت مصر التي تتحدى، وهذا هو الوعي حد الخرافة»، ولم يكن غريباً أن نتذكر هذه القصيدة أيضاً في سياق العملية التي نفّذها محمد صلاح. وبغضّ النظر عن التأثير الميداني المهم للعملية، فإن تأثيرها الأهم، في رأيي، هو في معركة الوعي والحرب النفسية. فعلى جبهة العدو، أعادت العملية التأكيد على أن الصهاينة ليسوا مقبولين ولن يعيشوا في أمان مهما أقاموا معاهدات سلام مع الحكومات ومهما نشروا من متحدثين بالعربية باسمهم على وسائل التواصل الاجتماعي. هذه تفصيلة شديدة الأهمية لأن إحدى ركائز الصهيونية هي الادّعاء بأن «الوطن القومي لليهود» هو سبيلهم للأمن، بينما تعيد العملية التأكيد على أن لا أمن في وطن قومي في بيئة معادية.

«وهذا هو الوعي حد الخرافة»

أمّا عندنا، فقد أعاد محمد صلاح إحياء شيء كان كامناً. لم تغب فلسطين عن قلوب عموم المصريين وعقولهم يوماً، ولم يقبل المصريون بالصهاينة أو ينسوا ثارات فلسطين وثارات مدرسة بحر البقر ومصنع أبو زعبل والأسرى الذين قُتلوا ودُفنوا في رمال سيناء؛ ولكن طول الأمد مع دعاوى التفوق الصهيوني وحالة السلام الرسمي مع العدو يضع الجماهير في موقع المتفرجين، السلبيين في أكثر الأحيان. «ماذا عسانا نفعل؟»، يقول المصريون وقلوبهم تحترق على ما يحدث لإخوانهم ولمقدّساتهم. ثم جاء محمد صلاح ليمثل هؤلاء المتفرجين إلى خانة المبادرين الفاعلين، أو القادرين على الفعل، على الأقل بوساطة واحد منهم، استثنائي وعادي في الوقت ذاته.

لن يزحف عموم المصريين إلى الحدود مع فلسطين صباح الغد، وليس هذا هو المطلوب في الوقت الحالي، ولكن بطولة محمد صلاح قد جدّدت ارتباط المصريين بفلسطين وبالصراع مع الصهيونية، حتى النصر والتحرير.

شعب مصر الذي يقاوم

مطر عدوان

عندما سمعت بخبر العملية التي قام بها الشرطي المصري محمد صلاح، لم أستغرب شيئاً، كان الأمر، بالنسبة إليّ، بديهياً، فهذه مصر بادئ ذي بدء.

قبل محمد صلاح، كان هناك العديد من المناضلين، الذين قاوموا الاحتلال الإسرائيلي، سليمان خاطر واحد منهم، وأيمن حسن، وفي سيناء الأرض التي احتلتها إسرائيل عام 1967، كانت هناك مقاومة ضروس للاحتلال، كلّفته الكثير من الجنود والضباط.

ما فعله محمد صلاح ليس عجيبة أو غريبة، فلعل في صمت 104 ملايين إنسان تقريباً، لا أبالغ في القول حتى أقول، كلهم سيكونون جنداً في معركة قادمة لا محالة مع إسرائيل. وأقول ما أقول لأنني أؤمن، بأن مصر قامت، قامت الأمة كلها، وحان قطاف إسرائيل.

■■■

ليست مشهورة أو معروفة، هي سيدة من سيناء، من قرية «الخروبة» على بعد 14كم من العريش شرقاً، استشهد زوجها بقصف إسرائيلي، واستشهد ابنها محمد خلال زرعه لغماً في طريق الدوريات الإسرائيلية قرب قريتها، وأصيبت ابنتها مريم، وأسر ابنها موسى، الذي اقتلعت إسرائيل عينه، خلال التعذيب.

تبدأ حكايتها، باحتلال شبه جزيرة سيناء المصرية عام 1967، وفي الليلة الأولى للحرب كما تذكر بعض المصادر، سمع الشقيقان محمد وموسى ابنا سالمة، صوت أنين قريباً، بحثا، وإذ بهما يجدان ضابطاً مصرياً مصاباً، فأن هذا الضابط هو مجدي زكي، وكانت إصابته بليغة، فاضطرته للمكوث عند العائلة لمدة شهرين تقريباً، روى للعائلة القطاع التي ارتكبها جيش الاحتلال الإسرائيلي، ما حفّز أفراد العائلة، وعلى رأسهم سيدة البيت سالمة، على فعل شيء، فطلبت من الضابط أن يعلّمهم فك وتركيب الألغام، وهذا كان اختصاصه، وهذا ما كان.

وحقل الألغام القريب من المنزل.

يقول موسى الرويشد، ابن السيناوية سالمة شميط، والأسير المحرر، إن مجدي «طلب منا أن نضع علامات على أماكن الألغام في النهار، وفي الليل، تسللنا برفقة الضابط على ضوء القمر، إلى مواقع الألغام، حيث قام بتفكيكها، ثم عدنا بها إلى المنزل، وهناك تولّى تدريبنا على كيفية فك الألغام التي يزرعها العدو، وإعادة زراعتها مرة أخرى في طريق قواته».

بعد هذا التعليم، وتلك التدريبات التي تلقّتها العائلة، وبهمة روح الأم وقوة الأب، تحوّلت العائلة إلى خلية فدائية، تمارس العمل المقاوم ضد المحتل.

استشهد الأب وأصيبت الابنة مريم، وتمكنت العائلة من نقل الضابط مجدي إلى الضفة الغربية من القناة، ليعود إلى عديد القوات المصرية وعائلته هناك. أما السيدة سالمة ومعها ولداها موسى ومحمد فاستأنفوا عملهم الفدائي مع آخرين في سيناء، منهم صديق العائلة سلام أبو عرادة. ولاحقاً، وبينما كان محمد يفكك لغماً، انفجر به، فاستشهد. لم تيأس الأم، واستمرت مع ابنها موسى الذي صار لقبه «مهندس الألغام»، وقام بالعديد من العمليات منها كما يذكر: «كان الإسرائيليون يتخذون مكاناً على طريق الحسنة، رأس سدر، كمخزن للذخيرة، ليكون بعدها لقواتهم على الجبهة، وكنت أعمل سائقاً على هذا الطريق، وقد اتخذت قراراً بتدميره». ويكمل قائلاً: «صنعت كرة كبيرة من القماش والإسفنج، ثم أغرقتها في السولار والبنزين والجاز الأبيض عدة أيام حتى تشبّعت تماماً، بعدها أحضرت قطاً وربطت في نهاية ذيله الكرة المبلّلة بالوقود وتسللت إلى جوار مخزن الذخيرة وأشعلت النار في الكرة المشبعة بالوقود، وأطلقت القط بين صناديق الذخيرة، انطلق بينها كالمجنون واشتعلت النيران لتبدأ الانفجارات لتدمر المخزن كاملاً وتقتل الكثيرين».

لم تتوقف البطولة هنا، وقع موسى أسيراً، أثناء تجهيزه لعملية مع صديقه أبو عرادة في 4 تموز 1977، إذ كانا يجهزان لتفجير آليات إسرائيلية بمحطة بنزين قرب مستشفى العريش في ذلك الوقت. ولسوء حظهما، كان أحد جنود الاحتلال، قد انتبه إليهما، فأطلق النار على اللغم، فاستشهد أبو عرادة على الفور، بينما أغمي على موسى الذي نُقل إلى مستشفى العريش، ومن ثم إلى سجن الرملة في فلسطين المحتلة. هناك ذاق تعذيباً هائلاً في جسده المصاب بكعيات من الشظايا، وبينما كان الاحتلال يطلب منه الاعتراف على من معه، مقابل وقف التعذيب، إلا أنه ظل رافضاً، فجلبوا أمه لينهار ويعترف، وتضغط عليه بدورها، لكنها قالت له «خليك راجل يا ولدي، أرضنا ما زالت محتلة... لو ظل العود اللحم يعود». أثارت جملة «أم الأبطال» حفيظة الضباط الإسرائيليين، فركلوها، وأخرجوها من المكان، ليستمر تعذيبه، ويعرض على المحكمة التي قضت بسجنه 25 عاماً، لم يكملها، ونال حريته بتبادل أسرى عام 1980.

■■■

بعد احتلال شبه جزيرة سيناء عام 1967، أمر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، بإنشاء «منظمة سيناء العربية»، في مطلع عام 1968، وتم تكليف العقيد، أنذال، عادل فؤاد، بتأسيسها. انضوى في هذه المنظمة الكثير من المدنيين، ممن أرادوا الدفاع عن أرضهم، منهم حسن علي خلف، من منطقة الجور في الشيخ زويد، كُلف بمهمات تصوير بعض المناطق العسكرية للاحتلال في سيناء. ولاحقاً، قام بتدمير مركز قيادة الاحتلال في منطقة العريش، بـ 12 صاروخ كاتيوشا، ويقول الرجل الملقّب بـ«النمر الأسود» «كانت أول عملية فدائية لي، كنت في الضفة الغربية للقناة أعد العدة لتدمير مقر الحاكم العسكري الصهيوني في العريش، ونقلنا 12 صاروخاً لمسافة 150كلم مشياً على الأقدام، وقمنا بنصب الصواريخ في المكان المحدد، ونجحنا في تدمير مقر الحاكم العسكري، ما شجّعني على القيام بعمليات أخرى، من بينها قصف موقع عسكري إسرائيلي في منطقة بالوظة بـ 24 صاروخاً، أكثر من مرة كل شهر». وقع «النمر الأسود» في الأسر، أثناء تنفيذه إحدى العمليات، وحكمت عليه محكمة الاحتلال بالسجن لمدة 149 عاماً، قضى منها 40 شهراً، ليُفرج عنه في صفقة تبادل.

البلاد

مقابلة | أجراها **صادق القضماني**

الأسير وليد دقة، أحد النماذج العميقة في نضال الحركة الأسيرة الفلسطينية، فهو الذي أمضى 37 عاماً حتى الآن ولم يستسلم، فأصبح بصموده ونضاله وإنتاجه الفكري والثقافي والأدبي أيقونة يشار إليها بالبنان. التقت «الأخبار» بالسيدة سناء سلامة، زوجة الأسير دقة، وكان هذا الحوار

سناء سلامة: وليد دقة سينتصر

(الأسير وليد دقة)

(سناء سلامة زوجة الأسير وليد دقة وابنتهما ميلاد)

■ في البداية، نود أن نطمئنّ على وضع الأسير وليد دقة الصحي؟

وضع وليد الصحي هو كالتالي، لديه حالة صحية معقّدة وحساسة جداً رئوياً، وفي القلب أيضاً لديه قصور قلبي خطير جداً، عضلة قلبه ضعفت جداً بسبب كل تعقيدات الوضع الصحي الذي مرّ به في الشهور الأخيرة. وليد موجود الآن في سجن الرملة الذي لا يستوفي الشروط الأساسية لعلاجه، أو لعلاج حالة صحية مركّبة ومعقّدة كالتي يعاني منها، وأيضاً التنقلات بين المستشفيات كل يومين، من هذا المستشفى إلى ذاك، هذا لا يساهم في تقدم وضع وليد الصحي، ربما يعيق عملية شفائه والعودة لوضعه الصحي كما كان قبل الانتكاسة الصحية.

ليست لدينا في سجن الرملة معلومات دقيقة حول وضعه، لأنه كما تعلمون، «الرملة» سجن مثل كل السجون، ولا نستطيع هناك أن نذهب ونزور الأطباء، ونقف معهم عند وضعه الصحي كما كنا نفعل عندما كان يمكث في مستشفى عادي مدني خارجي، هناك زيارة مرتقبة يوم الخميس القادم ونأمل أن نطمئنّ على وليد وأن نجد وضعه مستقراً.

■ كيف تقيّمون هذا الوضع، وما الإجراءات التي تتخذونها كعائلة بهذا الخصوص، وهل هناك خطوات تنوون القيام بها في الأيام القادمة؟

توتر وترقب شديدان، ومحاولة المتابعة على مدار الساعة لوضع وليد الصحي أيضاً. استصدرنا تصريحاً خاصاً لمختص رئوي، طبيب من طرفنا كي يقوم بمتابعة وعلاج وليد من جانبنا وليس فقط الاعتماد على الأطباء في المستشفيات الإسرائيلية، لكن للأسف هذا المختص لم ينجح حتى الآن في زيارة وليد بسبب تنقلاته الكثيرة بين المستشفيات كما قلت.

الخطوات التي ننوي القيام بها كما ذكرت، هنالك الزيارة المرتقبة للاطمئنان عليه وتقييم وضعه ومحاولة أن نفهم كل التفاصيل التي تتعلق بعلاجه بسجن الرملة، وكيف تتم المتابعة وإذا كان الأطباء أو الأقسام داخل عيادة السجن مؤهلين لتدارك أي وضع صحي طارئ يمكن أن يطرأ على صحة وليد.

أيضاً بمساعدة المحامين، ومن خلال زياراتهم، نحاول أن نكون بصورة وضع وليد على مدار الأيام والساعات، ونأمل أن نحدث اختراقاً في هذا الموضوع، بحيث ندخل متخصصين من جانبنا. أيضاً قدّمنا طلباً لإدخال طبيب جراحة قلب لزيارة وليد ومعاينته، ونأمل أن لا نصطدم بالبيروقراطية والعنصرية كما هو الحال دائماً، وأن نستصدر التصاريح بسرعة. وفي حال لم ننجح، سوف نتوجه إلى المحاكم باستئنافات سريعة، فنحن كعائلة من حقنا مواكبة وضع وليد عن قرب في هذه اللحظات الصعبة.

■ قانونياً، ما تقييم المحامين، وما الإجراءات التي يمكن أن يتخذوها لمساعدة وليد في معركته مع الاحتلال؟

بالنسبة إلى الوضع القانوني، رأيتم كيف أرجؤوا النظر في قضية وليد، وأحالوها إلى لجنة المؤبدات، مع أن وليد أنهى حكمه المؤبد الذي حُدد بـ 37 عاماً يوم 27 آذار الماضي، ولذلك يحق لوليد أن يتقدم أمام لجنة عادية من أجل الإفراج المبكر لأسباب صحية، لكنّ سلطات الاحتلال رفضت، ولا تزال تصر على أنه أسير مؤبد وينطبق عليه تعريف الأسير المؤبد، ولجنة المؤبدات تُضيّق كثيراً هامش المناورة القانونية ليس كاللجنة العادية، ونحن ما زلنا في هذا السؤال، وإذا ما تمّ التعنت بهذا الموضوع واعتبار وليد أسيراً مؤبداً ولا يحق له الإفراج المبكر، فنحن سوف نستأنف على هذا القرار أمام الهيئات العليا. في العموم أعتقد أن قضية وليد لن تُبت قانونياً أمام هذه اللجنة أو تلك، إنما سوف تُبت أمام الهيئات القضائية العليا في دولة الاحتلال، أي محكمة العدل العليا. الاحتمالات ليست كبيرة، لكن هذه معركة فُرضت علينا، ونحن لا نريد أن نوفر أي جهد أو باب من دون أن نطرقه، أو نحاول فتح طاقة أو إمكانية أو فرصة للضغط من إطلاق سراح وليد وتلقيه العلاج بلا قيد.

■ القضية الفلسطينية، طالما أنجبت أيقونات نضالية، ووليد دقة، أيقونة في الأسر، وأحد رواد الفكر من السجون، كيف تنظرين إلى هذا التصنيف الأيقونة لوليد دقة، وهل هذا الأمر يخدمه في صراعه مع الاحتلال؟

بالنسبة إلى قضية الأيقونات النضالية، وهذه المسميات الضخمة التي نحب أن نستعملها، وليد يُعتبر في هذا المجال من أبرز الأسرى ورموز الحركة الأسيرة ومفكريها، لأن وليد يملك إرثاً نضالياً وفكرياً وثقافياً ومعنوياً استثنائياً بكل المعايير. نحن نتحدث عن أسير استثنائي بكل المعايير، أولاً من ناحية سنوات الاعتقال، معتقل منذ 37 عاماً في السجون الإسرائيلية، وخلال هذه السنوات كان نداً دائماً لهم، وكان دائماً في المواجهة، ومنتصراً عليهم، وليد معروف بمعاركه ضد سلطة مصلحة السجون، ومعروف بانتصاراته ضد هذه «المصلحة» وذروة هذه الانتصارات ابنتنا ميلاد كما تعلمون، التي جنّ الاحتلال جنوناً

وليد معروف بمعاركه ضد سلطة مصلحة السجون، ومعروف بانتصاراته ضد هذه «المصلحة» وذروة هذه الانتصارات ابنتنا ميلاد

منذ نوّرت ميلاد فلسطين ونوّرت الدنيا بقدومها يوم 3 شباط 2020 وحتى اليوم.

لذلك، عندما تقول وليد دقة تقول «جغرافيا المقاومة» كتابه عن اجتياح مخيم جنين والمقاومة في هذا المخيم، عندما تقول وليد دقة تقول «صهر الوعي»، وهي أهم دراسة على الإطلاق، وضعت عن الحركة الأسيرة دراسة سياسية تحليلية بامتياز تربط بخط مشترك بين ما يحدث في السجون وما يحدث خارج السجون من ناحية استراتيجية الاحتلال في هندسة البشر، وهنا هندسة الفلسطيني كي يفكر مثلها، وكي يهادن ليصبح فلسطينياً لطيفاً متنازلاً عن حقوقه وكرامته وحريته واستقلاله.

عندما تقول وليد دقة تقول «الزمن الموازي» وهي رسالة كتبها وليد في «اليوم الأول من العام العشرين في الأسر»، وهكذا أسماها، وفيها اجترح فلسفة الزمن الموازي، وتحدث هناك عن زمن الأسرى وزمن من هم خارج الأسر، والحقيقة أن هذا المصطلح أصبح شعبنا الفلسطيني يستخدمه، وكُتبت بصدده الكثير من الدراسات الأكاديمية، دراسات ماجستير ودكتوراه، هي كانت رسالة عميقة، رسالة فيها أدب وفيها فكاهة وفيها فلسفة عميقة جداً، وأنصح جداً بقراءتها، وهي موجودة على النت، وقد نسيت أن أقول إن الكتاب يُدرّس في الجامعات الفلسطينيّة في الضفة لأهميته طبعاً.

وأيضاً حين نقول وليد دقة نقول «سر الزيت»، و«سر السيف»، وهي كتب وروايات لليافعين، وهو أول أسير يكتب روايات لليافعين، و«سر الزيت» نالت الجائزة الأولى على مستوى العالم العربي، لأن وليد فعلاً لديه القدرة والإبداع، ولم يأخذ الجائزة لأنه أسير، «سر الزيت» تتحدث عن الأسر، و«سر السيف» يتحدث عن النكبة واللجوء، وهناك سيكون كتاب «سر الطيف» عندما يجتاز وليد الانتكاسة الصحية إن شاء الله، وهو يتحدث عن الشهداء والشهادة، وهو مشروع كتاب لم يُنجز بعد، وقد عنونه وليد بعنوان «الشهداء يعودون إلى رام الله».

هذا بالإضافة إلى عشرات الرسومات، وليد يرسم أيضاً، ويكتب الشعر، وكتاباته إبداعية. هو من الأسرى المبدعين بالتقاط المشهد، وترجمته على الورق بشكل مذهل، أيضاً أنصح جداً بقراءة ما أسماه وليد «مرافعة ميلاد»، وهي مرافعة كتبها وليد باسم ميلاد، وكأن ميلاد تقف أمام قاضي الاحتلال وتحاكمه على منعه قدومها كل هذه السنوات إلى الحياة، ويشرح فيها وليد على لسان ميلاد كم أن ميلاد تتفوق أخلاقياً على قاضي الاحتلال الإسرائيلي. هذه نبذة قصيرة عن وليد دقة، هذا هو وليد دقة. هو في هذا المجال أيقونة مع وصولات كما يقولون، ومع تاريخ نضالي يفتخر به.

■ على صعيد العائلة، كيف تعيش سناء وميلاد في هذه الظروف الصعبة، تحديات الحياة من جانب، ومواجهة الاحتلال من جانب آخر، وكيف تتعاملين مع ميلاد على هذا الصعيد، وهي ترى صور والدها في الاعتصامات والفعاليات التي تقام من أجله؟

بالنسبة إلى ميلاد وكيف تتعامل مع الوضع، وكيف نعيش في ظل هذه الظروف. طبعاً الوضع ليس سهلاً علينا، نحن في ضغط كبير جداً. أحتاج إلى ناطق إعلامي كي يخفف عني ضغط الاتصالات والمقابلات والنشاطات التي نقوم بها، هذا من جانب أعتبره إيجابياً ومباركاً، أقصد كل هذا الاهتمام. ورغم كل هذا الضغط ومحاولتي للوصول إلى كل من يريد أن يسمع أو يعرف عن وليد، فأنا لا أوفر أي باب، ولا أي جهد في هذا المجال. ورغم انشغالي على مدار 24 ساعة بقضية وليد، لكنّ ميلاد كانت ولا تزال الأولوية الأولى، ولا شيء يهم أكثر من حياة ميلاد ومدرستها، هي تذهب للحضانة، لكنها تصرّ على تسمية الحضانة مدرسة، لأنها تريد أن تكبر بسرعة. لم يتغير نظام حياة ميلاد، أتعامل معها كأنها صبية بالغة تعيش معي في البيت، ولا أتعامل معها بلغة الأطفال، وقد تستغربون عندما تحترم عقل الطفل وعقليته، يدهشك بمدى نضجه، ويعيد إليك هذا التعامل بشكل مذهل من الوعي والإدراك لما يحدث حوله. طبعاً أنا لا أبخسها حقها كطفلة، أن تعيش حياة الطفولة، فأصطحبها للورش التربوية والدورات المختلفة، وكل ما يلزم في هذا الجانب، كي تحقق فضولها وحياتها وتكتشف، وكي يكون لها أصدقاء من عمرها. لديها حياتها، لكن هي ترافقني أيضاً في أغلب النشاطات، وهي تعلم أن أباها أولاً في السجن، وهي تعلم هذا الأمر مني ومن وليد، لأننا حرصنا أن تعلم ميلاد حكاية والدها، ولم نكن نريد أن تعلم ذلك ميلاد من خلال سياق قد يكون مؤلماً لها، وكما يقول وليد: «الصدق هو القيمة العليا لتربية الأطفال». الآن حينما تسأل ميلاد «أين بابا؟» لا تقول إنه في السجن، إنما تقول: «في المستشفى مريض» لأنها زارته هناك، وهي تعلم أنه مريض. في زياراتنا القليلة عند وليد تقول له: «بابا حبيبي بابا تعال عنا، بابا احنا منحبك»، يعني تتفاعل بشكل رائع وجميل مع والدها، وأنا لا أخاف على ميلاد، كما قلت أنا معها، أحافظ على توازن شديد جداً بين كونها طفلة وحقيقة أنها تمر معي بكل ما نمر به، والحمد لله هي شجاعة ومبادرة، ورأيتم أكيداً صورها كيف تهتف وتتفاعل وكأنها تؤدي دورها من دون أن تتعرض لنكسات نفسية لا سمح الله.

■ قمتم بإنشاء حملة من أجل الإفراج عن الأسير وليد دقة، هل التفاعل يرضيكم، وهل تأثير هذه الحملة يحمل تأثيراً عالياً في المستويات الدولية والتي قد تقوم بدور ضاغط على الاحتلال؟

حملة الإفراج عن وليد هي حملة مرضية، لكن لن تكون مرضية إلى حد كبير، طالما لم نحقق الهدف المنشود وهو «حرية وليد»، وإطلاق سراح وليد. دائماً هناك المزيد الذي يمكن فعله، دائماً هناك المزيد من الجهد والنشاطات والتكثيف والتفعيل والتعميم والنشر لمضامين الحملة وصفحاتها وعناوينها، لذلك طالما لم نحقق الهدف المرجوّ، فسوف نستمر في الضغط بكل الوسائل، ونحن نضغط جماهيرياً، ومع المؤسسات القانونية والحقوقية، وأيضاً على المستوى الرسمي السياسي لأننا نعتبر أن القيادة الفلسطينية عليها واجب أخلاقي ووطني وسياسي للقيام بدورها إزاء وليد، وإزاء كل الأسرى المرضى والأسرى عموماً. دولياً نحن نتساعد مع وزارة الخارجية الفلسطينية، ونأمل أنها تقوم بالجهد اللازم أو المطلوب، وسنحاول أن نوسّع هذا الضغط والجهد، كي نحقق حالة رأي عام ضاغط من أجل إطلاق سراح وليد، وندعو أيضاً المقاومة في غزة لمحاولة تسريع صفقة التبادل، مع أننا ندرك بأنه ربما الأمور لا تتعلق تماماً بهم، لكن ربما هناك وسائل أو طرق يمكن دراستها من أجل التعجيل في الصفقة، لأن هذه الصفقة لن تنقذ فقط وليد، إنما الكثير من الأسرى المرضى، والأسرى عموماً في السجون الإسرائيلية الذين نتمنى لهم الحرية ولأسيراتنا والأسرى الأشبال في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

عن عالمين يتصارعان في مدينة القدس

رغد زغير

يعيش المقدسي في عالمين متوازيين متصارعين، قدسين اثنتين، وخط رفيع بينهما يقاس ببضعة أمتار مثل ذلك الذي يفصل بين أسوار القدس، التي تعرف أهلها، وبين شارع يافا، أو «ماميلا» حيث أقيمت «حديقة الاستقلال» ومراكز تجارية على أنقاض مقبرة مأمن الله. إنّ مركزية الصراع في القدس ليست محض صدفة، فهي لا ترتبط فقط في حقنا في المقدسات أو الجانب الديني للمدينة، فمدينة القدس أحد أهم الشواهد التاريخية على أحقيتنا في الأرض، وهو ما يحاول المحتل محوه. على امتداد جغرافيا القدس المحتلة من شرقها إلى غربها، ترى التجسيد المادي لصراع الجنوب مع الشمال، صراع من يعتبرون أنفسهم متن هذا العالم مع من هم على الهامش. وهو البعد الذي يغيب في كتابتنا عن القدس، خاصة تلك التي نقدّمها للفلسطينيين والعرب المحرومين من رؤية القدس بتناقضاتها الحالية وهو ما سيحاول هذا النص تقديمه ووصفه.

لم يعد هناك خط فاصل واضح بين ما يسمّى «القدس الشرقية والغربية» عند «بوابة ماندلبوم» التي كانت تفصل بينهما. فاليوم في تلك النقطة ذاتها تجد المتحف الإسرائيلي، القائم في منزل مقدسي قديم ترجع ملكيته لعائلة البرامكي، ويعرّف بأنه متحف للفن العصري السياسي الاجتماعي، مقام على الخط الفاصل بين الشرق والغرب أو على «خط التماس» كما يسميه الاحتلال. ويخترق هذا الخط اليوم «القطار الخفيف» في مسار سكته على شارع «رقم 1» الاستيطاني، الذي يستقله المستوطنون متنقلين بين شطري المدينة. إن تابعت السير باتجاه المركز، فسترى كيف تتحوّل المعالم من حولك شيئاً فشيئاً، من شارع استيطاني تختبئ خلفه أحياء استولى عليها «الحريديم»، مروراً بمقاه ومحالّ حي المصرارة التي يقصدها الفلسطينيون والسياح الأجانب، وصولاً إلى أهم أبواب سور القدس، باب العامود. ما إن تصل الدرجات، أول شيء فستجده هو مقر شبح مصغر لجيش الاحتلال الذي أقيم لفرض سيطرتهم على المكان، لكنه لا يشبه المكان أبداً، يبدو وكأنه من عالم آخر لدرجة مؤذية للنظر. إن هربت بنظرك للمدرجات، فستجد أحد أبسط أشكال الحياة الاجتماعية في القدس وأكثرها عفوية، ستجد المقدسيين يحتسون القهوة أو الشاي على المدرجات، يشبهون الحجارة المبنية أمامهم والمدرجات الجالسين عليها، ملامحهم وألوان بشراتهم تشبه الفلاحات اللواتي يجلسن عند الباب بأثوابهن المطرّزة، يبعن البقدونس والنعنع والفجل، وهناك أيضاً ستجد السائح الأبيض المذهول بمنظر البسطات والنساء والرجال على أنهم «أوثنتيك» و«سكان أصلانيون»، بينما هم يسترزقون لإطعام أطفالهم. ما إن تتابع حتى تصل الأسواق، فسترى كل المحالّ التي يكره المحتل وجودها، فهو يدرك أيضاً أنها ليست مجرد محالّ تجارية، بل هي جزء من هوية المكان: سوق اللحامين، وسوق القطانين، وسوق خان الزيت، وسوق الدباغة، وكل الأسواق المسماة على حرف وتجارات أهلها، والتي طالما كانت مرآة لهوية المكان التي تدلل على غرابة المحتل، وهي أبسط أشكال محاربة القدس العتيقة المستمرة لوجوده.

ما إن ترى مستوطناً يتجول في إحدى الأسواق، حتى تشعر بالغضب، وأنت تدرك أنه هجين غريب يلفظه المكان. ستحاول مرة أخرى أن تبعد نظرك عنه، لتستعيد القدس بحواسك الخمس، فستتجه بعينيك نحو أحد الأفران الصغيرة لتداعب أنفك رائحة المخبوزات الفلسطينية من الخبز والمناقيش، ثم سترى أحد محالّ الفلافل والحمص، فتتذكر الجدال الدائم «مين بيعمل أزكى فلافل وحمص بالقدس؟»، فحين يتجادل المقدسيون حول فلافل وحمص «العكرماوي» و«أبو شكري» و«أبو حسن» و«أبو علي»، لن تجد -مثلاً- المستوطنين يربطون مأكولات شعبية بـ«أبو شلومو» أو «أبو كوهين»، أو أيهما يتقن صناعتها أكثر، بل ستجدهم يبيعون «فلافل إسرائيلية» في «ماكدونالدز»، فهم لا يعرفونه إلا بشراهتهم للنهب، فلا تراث ولا موروثات، أو حتى روائح تجمعهم على هوية واحدة مثلنا. ثم ستمر بأحد محالّ العطارة في خان الزيت، حيث سترى الصعتر البلدي المطحون مزيناً بالسماق والسمسم، وخلفه كل أنواع البهارات على اختلاف أماكن استيرادها وروائحها. إن كنت تمشي مع صديق لك، فسيسألك عن «بن صندوقة» أو «بن ازحيمان»، وكيف تفضل عائلتك القهوة، محروقة أو شقراء، مع أو من دون هيل، بينما لا يملك المستوطن غير قهوة «عيليت» الكريهة التي تُصنع في مستوطناتهم كغيرها من المنتجات الاستهلاكية التي لا طعم لها ولا رائحة. فالمكان وما فيه، من أصغر التفاصيل وأبسطها، بنوع البن الذي تشتريه عائلتك، أو الحلويات الشرقية التي تفضلها، أو «المسبحة» التي تتناولها يوم الجمعة صباحاً، يحدّثك عن القدس وتاريخها وأهلها.

ستصل بعد بضع خطوات إلى الأحياء السكنية، حيث يسكن المقدسيون أحواشها على امتداد السور بالاتجاهات الأربعة، على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم وخلفياتهم، وستجد أسماء تاريخية ودينية للعقبات، وأسماء للأحواش بحسب العائلات التي تسكنها، وهناك تطغى الهوية المقدسية على كل الحارات والأحياء، من الحي الإسلامي وحارة النصارى وحارة الأرمن حتى حي المغاربة السليب المهدّم. ستصطدم بالاستيطان الذي يتسلل إلى تلك الأحياء، يسرق بيتاً هنا وآخر هناك، لكنك ستعرف إن كان صاحب البيت مقدسياً أو مستوطناً دخيلاً لا يشبه الحي؛ ففي حين ترى الأبواب الحديدية القديمة التي تشبه أي بيت قديم في فلسطين، أو حتى ما تراه من بيوت في الحارات القديمة في الشام، فهذه البوابات تدل على هوية ساكنيها، المقدسي العربي الذي يعيش داخلها. في المقابل، ستجد أبواب المستوطنين الحديثة التي تمتلك عيناً سحرية مسوّرة بعدد من كاميرات المراقبة، وكأنها منظومة أمنية بحد ذاتها، تعلن عن أن أصحابها ليسوا منها وهي ليست لهم، لأن من فيها من المستوطنين يخاف محيطه المقدسي، يتحسس سلاحه كلما سمع صوتاً أو شاهد أهلها من حوله. بينما أهل البلدة القديمة هم آمنون، مدركين بأنهم أصحاب الحق، بينما يخافهم المستوطن وخلفه كيان مبني على التجسس والكاميرات والأبواب التي لا تشبه أي شيء في القدس.

سترى كيف يذهب أهل القدس إلى صلواتهم رغم كل المعيقات، ستراهم يحتفلون بأعيادهم في الأقصى والقيامة رغم القمع والضرب، بينما يدخل المستوطن المقدسات مدنِّساً مدجّجاً بالسلاح وسط حماية وإجراءات أمنية تحول المدينة إلى ثكنة عسكرية مغلقة. سترى مستوطنين صغاراً يملؤهم الحقد، لا يعرفون كيف يلعبون في الأزقة تلك كما يلعب أطفالنا، لا يحفظون أماكن ليختبئوا فيها كما يختبئ أطفالنا في الأزقة وهم يلعبون «الغميضة»، أو يرمون «طقيع التومة» على المارة ويهربون، سترى أطفالنا يعطونك الابتسامة حين تمر بأحد بيوتهم، أو سيمرر لك أحدهم الكرة وأنت تمشي بينهم، أو حتى سيتأفّف أحدهم من مرورك بحدود مرماه وهو يلعب مع «ولاد الحارة». ستستمع إلى الكبار يتحدّثون عن حرب الـ 67 على القهوة وهم يلعبون الطاولة أو «الشدة»، أو يشتمون من تخلى عن ثورتهم حين كانوا في صفوف المقاومين أيام الشباب.

كل ما تراه من بيوت قديمة ومحالّ، وتشمّه من بهارات وقهوة ومأكولات، وتلمسه من حجارة وتراب، وتتذوقه من حلويات ومخبوزات، وتسمعه من ضحكات الأطفال العالية في الأزقة، وحديث الكبار عن النكبة أو النكسة، شاهد كبير على أن القدس لنا لو حاولوا التسلل إليها.

حين تبدأ بالابتعاد إلى الأطراف، ستجد الشوارع الاستيطانية الالتفافية والمستوطنات تنخر في المدينة العربية كالسوس، تغيّر معالمها وتنتشر داخل حدودها وعلى أطرافها. حين تمشي في الشوارع المقدسية سترى الزحف الاستيطاني يحاول اختراق الأحياء العربية ويسرق بيوتها كما هو الحال في «الشيخ جراح»، أو يحاول اختراق شوارعنا التجارية، ويدخل إليها وكالاته ومفرداته كما هو الحال في شارع صلاح الدين أو شارع الزهراء. سترى مستوطنات قائمة على أنقاضنا العربية كما هو الحال في مستوطنة «التلة الفرنسية» المقام فيها حرم «العبرية» الجامعي، وما فيها من مساكن ومحالّ لطلابها ومرافق أخرى، تظهر بمظهر علماني معولم، يسكنها المستوطنون ومن يرتاد الجامعة من الأجانب، أوروبيين وأميركيين وآسيويين، ليختفي أصل المكان خلف محالّ تجارية ومبان سكنية وشوارع حديثة وبنوك ومستشفيات، فتنسى هنيهة، ويعتاد لسانك على اسم «التلة الفرنسية». أو مستوطنة «النبي يعقوب» المبنية على أنقاض شرقي المدينة، التي ستمر بها لتجد محالّ ومطاعم تفوح منها روائح كريهة مختلطة، أو مراكز شرطة استعمارية، ترى فيها سياراتهم مكتوباً عليها كلمة «شرطة» بالعبرية والعربية والإنكليزية، وأنت تعلم أن وظيفتها تتغير بتغير لسانك الناطق للكلمة.

حين تمر بتلك الشوارع، ربما لن تعرف تاريخها بعد زحفهم إليها، لكنّ شيئاً ما سيتغير بعد كل عملية فدائية، فبعد أن تمر بكل شارع استيطاني أو حي، ستتذكر بطلاً فلسطينياً يوقف زمانهم ويعيد المكان إلى أصحابه. حين تمشي في شارع يافا، سيختفي ضجيج المستوطنين ووجودهم وصخبهم حين تتذكر عملية «سبارو»، وحين تمشي في مستوطنة «النبي يعقوب» ستتذكر خيري علقم، وكأن الشارع أصبح باسمه بعدما اخترق عالمهم الأول، وكانت خطواته الواثقة في شوارعه المسلوبة، وصدى طلقاته تدلل على أصحاب المكان الأصليين أكثر من أي لافتة استيطانية مكتوبة بالعبرية، فيعود لك الانتماء إلى المكان بعد أن حاول المحتل قتله وجعلك غريباً، فأنت فعلاً لا تنتمي إلى ذلك المكان بشكله الاستعماري، تنتمي إليه بأصالته وهويته التي تتمرد على الأمر الواقع الذي يحاولون فرضه، والذي يجسده الفدائي الفلسطيني في كل عملية.

يعيش المستوطن في القدس المحتلة تلك الحرب من التناقضات كما يعيشها المقدسي، فهو يحاول فرض عالمه الأول بترفه وشكله، الذي لا مضمون ولا تاريخ ولا هوية له، على المكان. لذلك تراهم يحاولون العربدة في كل مناسبة وظرف، في كل فرصة يقتحمون شوارعها مدجّجين بالسلاح، حاملين أعلامهم التي لا تشبه المكان، يحاولون زرعها على كل المباني والمنشآت. يزرعون قنّاصتهم على أسوار القدس التي اعتادت حماية أهلها، محاولين تجنيد الحجارة ضد أهلها بعد ما كانت تحميهم، ناصبين الحواجز في كل مكان. يضيقون على المقدسيين شوارعهم وطرقاتهم، يجبرونهم على إغلاق محالّهم ليعبر مخربوهم الحاقدون، معتدين على المحالّ والكبار والصغار. إنّ هذا السعار الصهيوني الذي تشهده القدس على شكل هجمات منظمة، ما هو إلا انعكاس لحقيقة يعرفها المحتل، أن بعد عقود من الزمن، ومع كل المحاولات، سيكتب تاريخنا أن المحتل لم ينجح في تطويع المكان، ولم يفرض سيادته على القدس. في كل مرة يصرخ فيها مستوطن في القدس، تعلم أنّ عالمنا البسيط في الجنوب لا يزال منتصراً على سطوتهم، وأسلحة الفقراء من حجارة، ومفرقعات، وكارلو، وحتى صواريخ الحفاة في غزة التي وصلت إلى القدس، تسطّر تاريخاً جديداً يرفض وجودهم في المكان، منتظراً زحف المحرومين منه المشتاقين إليه من فلسطينيين وعرب.

الأخبار
al-akhbar
السبت 10 حزيران 2023 العدد 4935

المفكرة

محمد صلاح: تأبين صيداوي

■ تدعو القيادة المشتركة لـ «الحزب الديمقراطي الشعبي» و«حزب العمل الاشتراكي العربي ـ لبنان»، اليوم السبت للمشاركة في تأبين الجندي المصري محمد صلاح (الصورة) الذي استُشهد بعدما عبر الحدود المصرية من سيناء نحو فلسطين المحتلة ونفّذ عملية فدائية قتل خلالها ثلاثة جنود صهاينة انتصاراً لفلسطين. التأبين سيكون من خلال منبر مفتوح للقوى والشخصيات الوطنية، تحتضنه ساحة الشهداء في صيدا (جنوب لبنان). ويهدف النشاط إلى «توجيه التحايا ودعم للمقاومة الفلسطينية».

تأبين الشهيد محمد صلاح: اليوم السبت ـ الساعة السادسة مساءً ـ «ساحة الشهداء» (صيدا ـ جنوب لبنان).

فلندعم «صناعتي»

■ برعاية وزير الصناعة في حكومة تصريف الأعمال جورج بوشكيان (الصورة) وبالتعاون مع وزارة الصناعة، تفتتح «الجمعية اللبنانية للمعارض والأسواق»، يوم الخميس المقبل المعرض الصناعي الأوّل «صناعتي» في «مجمّع سيّد الشهداء» في ضاحية بيروت الجنوبية. وهو يهدف إلى دعم الصناعات المحليّة وتطويرها والترويج لها من جهة، والتشبيك بين الصناعيين والتجار والمستثمرين من جهة أخرى، بالإضافة إلى تأمين فرص عمل وغيرها من الأمور التي تخدم القطاع، وخصوصاً في ظلّ الأوضاع المتردية التي تعيشها البلاد. يستمرّ المعرض لغاية 18 حزيران (يونيو) الحالي، من الساعة الثانية بعد الظهر لغاية العاشرة ليلاً.

افتتاح معرض «صناعتي»: الخميس 15 حزيران 2023 ـ الساعة الثالثة بعد الظهر ـ «مجمّع سيّد الشهداء» (الرويس ـ ضاحية بيروت الجنوبية).

«جانا الهوى» في الأشرفية

■ ضمن محطته الأسبوعية لتكريم كبار الغناء العربي في NOW Beirut، يوجّه زياد سحّاب (عود)، غداً الأحد تحية إلى عبد الحليم حافظ (1929 ـ 1977/ الصورة) في حفلة يتشارك إحياءها مع الموسيقيين: إيلي توميّة (كيبورد)، خليل البابا (كمنجة)،

تشارلي فاضل (درامز) وإيلي الحلو (إيقاع). يتألّف برنامج السهرة من باقة من أجمل أغنيات «العندليب الأسمر»، وهي: «سواح»، «على حسب وداد»، «زي الهوى»، «تخونوه»، «ضحك ولعب»، «صافيني مرّة»، «توبة»، «كل ما قول التوبة»، «جانا الهوى»، «أوّل مرّة»، «ابنك يقولك» و«إنا لك على طول».

تحية إلى عبد الحليم حافظ: غداً الأحد ـ الساعة التاسعة مساءً ـ NOW Beirut (شارع سليم بسترس ـ الأشرفية). للاستعلام: 01/211122

بايا مظفر: يا عم الشيفور

■ لغاية 21 حزيران (يونيو) الحالي، تتيح منصة «أفلامنا» الإلكترونية للراغبين فرصة مشاهدة الفيلم التجريبي القصير «يا عم الشيفور» (2021 ـ 21 د) للفنانة التونسية الشابة بايا مظفر (الصورة). لعدم جدوى الصلاة في إخراجهما من الهلاك، يشقّ المسافر وظلّه طريقاً تتقاطع فيه الصور والأصوات التي تتشكّل، فتتشوّه مع كل خطوة يخطوانها في ذاك السبيل. تستوقفهما تجلّيات ليلقيا نظرة أو ليسترقا السمع، قبل استئناف مسيرتهما مهتديين بذكريات مهترئة لدرجة أنّها تبدو من زمن آخر؛ زمن طفولتنا.

فيلم «يا عم الشيفور»: لغاية 21 حزيران 2023 على «أفلامنا» (www.aflamuna.online)

ضجيج... ضجيج

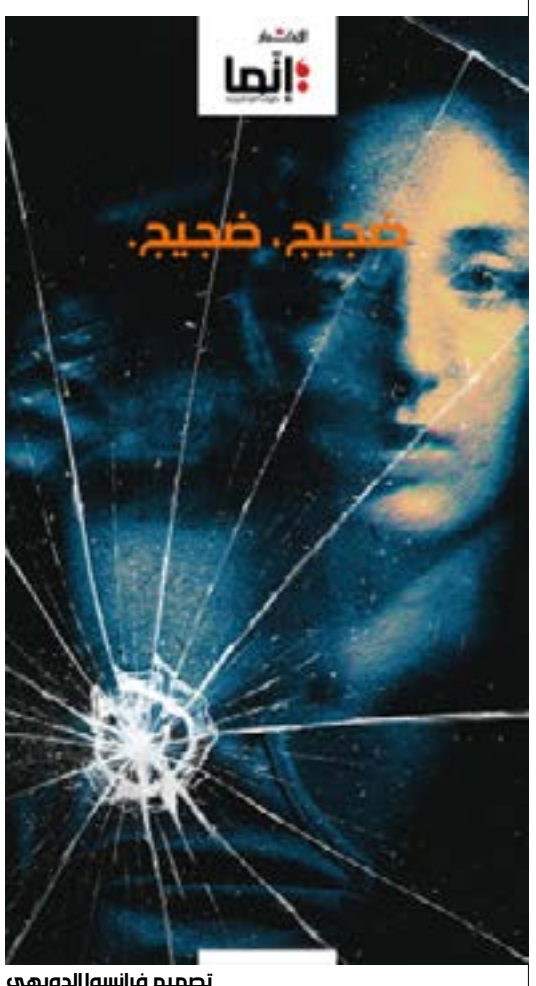

تصميم فرانسوا الدويهي

بول مخلوف

في المقهى مع «الرفيق» يوم الإثنين الساعة الثامنة مساءً. القطط تموء، عاشقان، يصرخ أحدُهما على الآخر أمام «مسرح المدينة»، مشاجرة حادّة في محلّة الصيرفة، والقهوة بمذاقها الحامض غير صالحة للشرب. هو يقاوم سخطه بمحاولات (متكررة) فاشلة للتثاؤب، وأنا لا أتوقف عن هزّ رجلي. العيون حمراء، واسعة كبيرة، تفيض بالشراهة، تعاين أبنية الإسمنت بقرف وتتفقّد- عبثاً- فسحة نائية بعيدة عن هذا الطنين. مجّ السجائر شغّال لا تقاطعه همسة باستثناء بعض المفردات الغبية التي تأتي على مضض: «وجع رأس»، «عجقة يا مان»، «صوته عالياً»، «أغلق حانته»، «مواد العدد جاهزة»، «هانيز برغر» وهكذا. بدا المساء قاعة جنائزية كبيرة والحاضرون مومياوات. بدا أنه سيكون حافلاً بدقات القلب السريعة.

«رينغ..رينغ..رينغ». رنّ إنذار التنبيهات على جهازي الخلوي. خبر عاجل: «دوّى انفجار كبير فوق العاصمة الأميركية واشنطن والأسباب مجهولة لم تُكشف بعد». ثوانٍ معدودة مرّت ليتبع الخبرَ خبرٌ آخر: «شعر المواطنون بهزّة قوية، وقد أفاد شاهد عيان بأنه رأى، بأمّ عينيه، منزلاً يطير عالياً». أوف! «يبدو أن هزّة أرضية صاعقة دمّرت واشنطن يا رفيق» قلتُ. « لقد تنبأ فيها الخبير الهولندي». أقسم «الرفيق» أن معلومته دقيقة.

حسناً! دخلت إلى «تويتر» لمتابعة المجريات. كانت أخبار مراسلي الخبر العاجل، وصُناعه، على «تويتر» بحالة تضارب أو مزاح. تفاوتت المعلومات بين من تحدّث عن مركباتٍ فضائية هبطت من المريخ وحطّت رحالها على الأرض، ومن «لصق» فيديو انفجار مرفأ بيروت على الحادثة وجعله حدث المناسبة (عدا إذعاننا التّام للاستيراد، كأننا لا نصدّر إلا الكارثة؟). «هؤلاء الأميركيون الأوغاد لم ينتجوا أساطيرهم. حتى ت.إس. إليوت... عاد إلى ملاحم الإغريق. لا يزالون يتحدثون عن الكائنات الفضائية يا رجل. حضارة هوليوود أشبه بأسطورة رديئة». سألني: «لكن ما الذي حدث بالضبط؟» فقلت له إن «شيئاً» ما حدث. هم سمعوا صوتاً مهولاً ويخالون أنه انفجار ضخم لكن الصحافة تشك بهجوم فضائي. فضحكنا كأبلهين.

ليلاً، مر الوقت بطيئاً، ودقات القلب سريعة لم يكبحها سوى نوبات طويلة من السعال. اتصل بي «الرفيق» عند الثالثة فجراً فخرجت إلى الشرفة. «لا، لا، هي سيارة مارّة، لست أنا من أسمع وديع الشيخ!» قلتُ. «العمى! ما هذا الصوت... كيف لم تنفجر أذناه بعد؟» وأردف قائلاً: «طائرة إف16 كانت تحلّق فوق واشنطن وخرقت جدار الصوت. هذا كل ما في الأمر، أو أقلّه هذا ما صرّحوا به رسمياً. لا داعي للهلع» ثم أغلق الخط. فكرت، ما هو غير الاعتيادي في هذا؟ أليس اختراق جدار الصوت أمراً مألوفاً؟ ماذا عن أصوات الزحام، والجلبة، والعيش التائه، ألا توازي «صوت» اختراق جدار الصوت، والفرق بينهما أن الأول ليس مكثّفاً مضغوطاً كدفعة واحدة بل هو متفرق، مبعثر وعشوائي؟

من فوقي، خط الطيران مزدحم. ضوضاء في السماء: ومضات لونها أحمر قادمة من مكابح الطائرات التي تضرب فراملها في الهواء قبل أن تحطّ في المطار. ربما خرقت هذه الطائرات جدار الصوت، لا أعلم. كانت أذناي تطنان، وكنت أسمع أصداء: مواء القطط، ملامة العاشقين، شتائم الصرّاف، والأزعر تحت منزلي الذي لا يعلم أن الليل قاعة جنائزية كبيرة، ولا يحترم لحظات الحداد.

يستبيح هذا الضجيج الأمكنة ولا يفضي إلى شيء. يغدو العيش فيه أشبه بالقابع داخل فقاعة صابون. الأصوات جارفة، دامية كقنابل إف16، تُخلّف وراءها ما وصفه وجدي معوض بـ«قذيفة في القلب». عن هذه الجلبة الشاقة المستبدّة سيكون محور عددنا هذا. عنوان كوميك هاشم رسلان «بتسمع مني» يصلح أن يكون بداية النصيحة الملحوقة بـ«اقرأ هذا العدد». فلتكن مقالات هذا العدد هي المرآة الواقية من رصاصة: الضجيج، الضجيج.

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 10 حزيران 2023
العدد 4935 السنة السابعة عشرة
Samedi 10 Juin 2023 nº 4935 17ème année

هشام جعيط (تصوير ياسين قايدي)

هشام جعيط
مؤرخاً للإسلام المبكّر

نورالدين بالطيب

لم تمر الذكرى الثانية لرحيل المفكّر هشام جعيط (1935 -2021) بصمت، إذ أصدرت «دار نرفانا» التونسية كتاباً جماعياً بعنوان «هشام جعيط مؤرخاً للإسلام المبكّر» من إعداد سمية الوحيشي وتقديم نادر الحمامي. هذا الكتاب سبقته إصدارات أخرى اهتمّت بالمنجز الفكري لصاحب «أزمة الثقافة الإسلامية»، لكنّ العمل الجديد اهتمّ بالهاجس المركزي في مسيرة جعيط كمؤرخ تخصّص في دراسة الإسلام المبكّر منذ دراساته العليا في «جامعة السوربون»، وكان من أوائل المؤرخين العرب الذين اهتموا بالوحي والقرآن والنبوءة. لقد شكّل كتابه «الفتنة الكبرى» نقطة تحوّل كبيرة في دراسة الإسلام المبكّر، بل يمكن اعتباره «مؤسّساً» لمنهج كامل في الدراسات التاريخية.

الدراسات التي تضمّنها كتاب «هشام جعيط مؤرخاً للإسلام المبكّر» الذي أسهمت فيه مجموعة من طلبة جعيط، تضع الأخير في مكانه وسياقه كـ «مؤرخ» للإسلام المبكّر في كتبه المتتالية مثل «الفتنة الكبرى» و«الوحي والقرآن والنبوءة» و«تاريخية الدعوة المحمدية في مكّة» و«مسيرة محمد في المدينة وانتصار الإسلام» وغيرها. يشير الباحث التونسي نادر الحمّامي في مقدمة الكتاب إلى أن اهتمام جعيط بالإسلام المبكّر «وثيق الارتباط بمشاغله الفكرية وبميله الفلسفي في بداياته، قبل أن يختصّ في التاريخ ونقدّر أنّ بحوثه في الفترات الأولى لنشأة الإسلام تمثّل شكلاً من أشكال التفكير في اللحظات الحاسمة من تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية وتقليب النظر في منعرجاتها الأساسية، ولم يكن ذلك إلا في إطار فهم مخصوص للتاريخ وسعي إلى تحليل راهن العرب ومصيرهم في ظلّ التأخر الحضاري الذي طالما رصد جعيط مظاهره وأسبابه العميقة». فكتابات جعيط ودروسه كانت لأجيال من الطلبة التونسيين «سبيلاً للوعي بأزمتنا الراهنة» وهو «وعي عميق يتجاوز السطح الظاهر ليضرب في جذورها فيفكّك بناها التاريخية».

في الذكرى الثانية لرحيل هشام جعيط، يصدر هذا الكتاب باللغتين العربية والإنكليزية كتحيّة لروحه وتقديراً لمنجزه الفكري والأكاديمي، هو الذي غادر مقاعد الجامعة في منتصف تسعينيات القرن الماضي بعدما رفضت وزارة التعليم العالي التمديد له بسبب مواقفه السياسية المناوئة للسلطة آنذاك. يمكن اعتباره «أباً» لمدرسة في دراسة الإسلام المبكّر ومعظم الباحثين التونسيين الذين اهتموا بقضايا الإسلام المبكر أمثال عبد المجيد الشرفي، وآمال قرامي، وحياة عمامو، وسلوى بالحاج صالح، ومحمد سعيد، ونادر الحمامي، وزينب التوجاني...

حوار

كتابها الجديد يؤرخ لتلك اللحظة التاريخية المفصليّة

دلال عباس: الثورة الإيرانية بداية الممكنات

ايام منات قبل الثورة الإسلامية في إيران (1979) عاشتها دلال عباس في طهران قبل الزلزال الذي قلب الخريطة السياسية والثقافية للمنطقة بأسرها رأساً على عقب. ها هي الاستاذة الجامعية والباحثة اللبنانية تستذكر هذه الايام في دفتر يومياتها الصادر اخيراً عن «دار الأمير» في بيروت بعنوان «ايام منات في إيران قبل الثورة». ولئن تأخر صدور هذه المذكرات اربعين عاماً بعد ثورة البلد الذي تربطه بجبل عامل الذي تنحدر منه عباس، علاقات علم وفقه وحضارة ودين، إلا ان تفاصيلها لا تزال كاشفة حول الكثير من نضال شعب كتب في حينه «بداية الممكنات» التي كان اولها إمكانية كسر الهيمنة الغربية واقتراح مشروع حضاري بديل يستند إلى اصالة شعوب المنطقة وتاريخها وثقافتها واحلامها وحقّها في التحرر والاستقلال وكرامة ابنائها وتضامنهم مع قضية فلسطين المركزية العادلة. كانت العلاقة الروحية والأكاديمية التي جمعت الباحثة في التراث الإسلامي بالعالم بهاء الدين العاملي (1546-1622) الذي هاجر من جبل عامل إلى إيران في القرن السادس عشر واسهم في نهضتها الدينية والفكرية والعلمية، بمثابة خيط اريان الذي قاد عباس إلى استكشاف إيران في كامل ابعاد هويتها والدافع إلى كتابة وتحقيق اكثر من كتاب من وحي هذه العلاقة منها «بهاء الدين العاملي: اديباً وفقيهاً وعالماً»، و«التدين والنفاق بلسان القط والفار»: حول تجربتها مع الثورة الإيرانية ورحلتها على خطى العلامة العاملي وغيرهما من القضايا. كان هذا الحوار مع «كلمات»

تقديم وحوار: **محمد ناصر الدين**

■ لماذا هذا الكتاب عن الثورة الإيرانية بعد أكثر من أربعين عاماً على انطلاقتها؟

- ذكرتُ في مقدّمة الكتاب، أنّني قرّرتُ، متأخّرةً لأسباب عديدة، أن أكتبَ تجربتي في هذه الأحداث، وفي ذهني أنْ أجزّئها إلى ثلاث مراحل في دفاتر ثلاثة: الأوّل عن أمّي وقريتي الجنوبيّة «كوثريّة السيّاد» التي خرّجت مدرستُها الدينيّة منذ قرنين علماء توزّعوا في أنحاء الجنوب والبقاع معلّمين ومرشدين؛ لكنّها كانت في طفولتي الأولى من ضمن القرى المنسيّة المهمَلة، لا مدرسةَ فيها، ولا طريقَ معبّدة، والثاني عن دراستي وعملي معلّمةً في المرحلتين الابتدائيّة والثانويّة، وعن التعليم في الجامعة، وضمناً تجربتي مديرةً لـ «ثانويّة النبطيّة الرسميّة للبنات»، والثالث عن المرحلة الإيرانيّة. أنهيتُ الدفترَ الأول وبعضاً من الثاني، ثمّ شرعتُ في الكتابة عن التجربة الإيرانيّة قبل انتصار الثورة الإسلامية، من أوّل عام 1977 حتى نهاية عام 1978، لأنّ ما شاهدتُه وقرأتُه وتعلّمتُه وسمعتُه وعرفتُه في هاتين السنتين غيّر وجهةَ دراستي وطبيعةَ قراءاتي، ونظرتي إلى مختلفِ مظاهرِ الحياةِ وأنماطِ السلوكِ والتفكيرِ ومقاربةِ الدين، ولأنّ ما كتبتُه وسكاتبه في الدفتر الثاني عن السنوات التي أعقبت عودتي من إيران، متأثّرٍ بالتجربة الإيرانيّة على نحو ما. لذلك نشرتُ هذا الدفتر، ولا أعرفُ إنْ كنتُ سأنشرُ الدفترين الأوّلَيْن، أم لا.

■ كيف بدأت حكايتك مع اللغة الفارسية وآدابها، وإيران وثقافتها؟

بدأت حكايتي مع اللغة الفارسيّة وآدابها، وإيران وثقافتها، منذ كنت طالبة في الجامعة اللبنانيّة في أواخر العقد السادس من القرن العشرين الميلادي، في قسم اللغة العربيّة وآدابها، كنا ندرس اللغة الفارسيّة (مادّة اختياريّة) بمعدّل ساعتين أسبوعيّاً، وكان أستاذنا الدكتور أحمد لواساني طريقةً تدريسه، والمعلوماتُ الإضافيّة التي كان يستطرد إليها، جعلتاني أعشق هذه اللغةَ وأعشق الشعراءَ الذين أسمعنا الدكتور لواساني بعضَ شعرهم. كانت فكرةُ السفر خارج لبنان لمتابعة الدراسة أمنيةً صعبةَ التحقّق. تابعتُ دراستي العليا في الجامعة اللبنانيّة، في الأدب الأندلسيّ، وكانت رسالتي لنيل الماجستير قبل بداية الحرب الداخليّة في لبنان هي الكتاب الذي تأخّر نشرُه حتى عام 2017 بعنوان «المرأة الأندلسيّة مرآةُ حضارة شعّت لحظةً وتشظّت»، ونسيتُ موضوع إيران واللغة الفارسيّة. لكنّ الأمور تسيرُ أو تتيسّرُ من حيث لا نحتسب. بعد عشر سنوات، في أواخر عام 1976 أي قبل انتصار الثورة الإسلاميّة بسنتين، وفي حماة الحرب الداخليّة في لبنان والاعتداءات الإسرائيليّة على الجنوب حيثُ نُقيم، قضتِ المشيئة الإلهيّةُ أنْ أرافقَ زوجي إلى إيران لعمل هناك ندبته إليه الشركة الألمانيّة التي كان يعمل فيها مهندساً، وأنا بنيّة التسجيل للدكتوراه. في إيران، سمعتُ للمرة الأولى في حياتي اسمَ بهاء الدين العاملي، فقرّرتُ في اللحظة عينها أن يكونَ موضوعَ أطروحتي، وبدأت العملَ وجمعَ المعلومات والتوثيق. وفي الوقت نفسه كنت أتابع عن قرب ما يجري في إيران في تلك المرحلة التاريخيّة المُفصليّة قُبيل انتصار الثورة الإسلاميّة.

■ كيف تصفين علاقتك بالشيخ بهاء الدين العاملي، كتابة وتحقيقاً وتجربة عرفانية؟ كيف تصفين هذه الشخصية؟

ـ في إيران سمعْتُ اسمَ الشّيخ البهائيّ للمرة الأولى في حياتي، فقرّرتُ أنْ يكون موضوعَ أطروحتي للدكتوراه. في إيران، سمعتُ للمرة الأولى في حياتي اسمَ بهاء الدين العاملي، فقرّرتُ في اللحظة عينها أن يكونَ موضوعَ أطروحتي، وبدأت العملَ وجمعَ المعلومات والتوثيق. وفي الوقت نفسه كنت أتابع عن قرب ما يجري في إيران في تلك المرحلة التاريخيّة المُفصليّة قُبيل انتصار الثورة الإسلاميّة.

■ هلّا وصفتِ لنا أيامك الأولى في إيران؟ ما كانت انطباعاتك الأولى حول هذا البلد؟

ـ في طهران أنزلتنا الشركة في الشهرين الأوّلَين في فندق في أحد الأحياء الراقية وبمحاذاته حديقة عامّة كنت يوميّاً بعد ذهاب زوجي إلى العمل، أجرّ ابنتي بيدها ونسير على الرصيف العريض الذي تفصله عن الشارع من الناحيتين قناة تمرّ فيها المياه السائلة من تلوج دماوند، في ظلّ أشجار الدلب المعمّرة... بهرتني نظافةُ الشارع وترتيبه، وأناقةُ الرجال والنساء الذين يخرجون أو يدخلون من بوّابات المنازل القريبة، أو يرتادون الفندق أو يمرّون بقربه؛ وعُمّال النظافة يكنسون أوراق الشجر وهم يرتدون زيّاً موحّداً... اعتقدتُ أنّ المدينةَ كلّها على هذا النحو، مصدّقةً ككلّ الأجانب الذين لم يزوروا إلّا ربعَ المدينة هذا أنّ طهران تشبهُ كبريات المدن الأوروبيّة، وأنّ أهلها يعيشون عيشةً هنيّةً راضية؛ إلى أن راعني ما بيّنَ زيفَ هذا الادّعاء... في يوم عطلة، ذهبنا والمهندسان الألمانيّان زميلَي زوجي في العمل للنزهة والفرجة، توجّهنا من الشمال نحو الجنوب، بدأت الأرصفةُ العريضة تضيقُ شيئاً فشيئاً؛ والأهمّ أنّ قنوات المياه التي تفصلُ الرصيفَ عن الشارع بدأت تضيقُ إلى أن استحالت خطّاً دقيقاً من المياه القذرة الملوّثة؛ وفاجأتني رؤيةُ النساء المرتديات العباءات المنزليّة، يغسلنَ الأواني على الرصيف مقابل بوّابات بيوتهنّ بهذه المياه القذرة. ورأيت المسلخَ الموجود بين البيوت المبنيّة على عجل في هذا الجزء من طهران، وسمعتُ قصّةَ «الذباب» الذي يستوطن أجواء هذا القسم من العاصمة الذي شبّهه أحد الشعراء بالثيران الهائجة... كان التفاوت الطبقيّ ملحوظاً إلى حدٍّ يتعذّر وصفه؛ وكان الناس يعيشون حالةَ من الرّعب، خوفاً من وشايةٍ ملفّقةٍ تُدخلهم السجن، فتختفي أثارهم...

> كان التفاوت الطبقي قبل الثورة ملحوظاً إلى حدّ يتعذّر وصفه: وكان الناس يعيشون حالةً من الرّعب

■ من خلال الديناميّة التي تمتّعت بها النساء الإيرانيات، تعرّفنا إلى الكثير من يوميّات الثورة وأفكارها وتياراتها، ما كان دور المرأة الإيرانية في تلك الثورة؟ هل لا يزال دور المرأة الإيرانيّة فاعلاً اليوم، وهل أنت قلقة ممّا يُحكى في وسائل الإعلام عن قمع للمرأة الإيرانية؟

ـــ مع شروع المرحلة العامّة للثورة، شاركت النساء بقوّة في مسيرات التاسوعاء والعاشوراء التي تحوّلت إلى تظاهرات ضدّ النظام الشاهنشاهيّ، وكنّ يسرنَ في الصفوف الأماميّة حاملات أطفالهنّ الرُّضّع، في مواجهة الجنود المدجّجين بالأسلحة، وطائرات الهليكوبتر تُحلّقُ فوق الرؤوس تهديداً. كانت الواحدة منهن تقترب من الجندي المسلّح، تُقدّم له وردةً وتقول له: أنا أمك أو أنا أختك، وتدعوه للانضمام إلى الأمّة والتمرّد على النظام الغاشم؛ وهناك أمثلة عديدة انتشرت في أوساط الناس عن جنودٍ وجّهوا رصاص بنادقهم إلى ضبّاطهم بدلاً من توجيهها إلى المتظاهرين، ولا سيّما النساء اللواتي يتقدّمن التظاهرات... وكان لواقعة الثامن من أيلول 1978، التي استُشهد فيها آلاف النساء مع أطفالهنّ، تأثيرٌ كبيرٌ في المجتمع وفي نفوس الجنود وصغار الضبّاط... وقد استمرّ حضور النساء في الساحة السياسية بعد انتصار الثورة. وفي ردٍّ له على علماء الدين الذين انتقدوا حضور النساء في الاجتماعات، وغير ذلك، قال الإمام الخميني: «أتظنّون أنّ بياناتي وخُطبكم هي التي أخرجت الشاه؟ هؤلاء هنّ اللواتي طردنه، فعاملوهنّ باحترام». لا يزال دور المرأة الإيرانيّة فاعلاً بقوّة في مختلف الميادين، ومتابعة تلك الأمور في مظانّها من دون تحيُّز توضح أصلَ المسألة وجذورها، بدءاً من قمع شرطة رضا خانَ للنساء المحجّبات في الثلاثينيّات، ومنع الفتيات المرتديات غطاء الرأس من دخول المدارس، وإطلاق الرصاص الحيّ على المحتجّين في مشهد، وانقسام المجتمع الإيرانيّ قسمةً عموديّةً حادّةً بين المتديّنين وبين الرافضين للإسلام العربيّ المصدر، والحجاب رمزٌ من رموزه، إلى الستينيّات وإعلان الإمام الخمينيّ أسلمةَ الثورة والعداء لأميركا والغرب المستعمر، ولإسرائيل، ثمّ انتصار الثورة، وجعل سفارة إسرائيل أوّل سفارة لفلسطين في العالم (وهنا مربط الفرس)، بدأ التضييق والحصار والمؤامرات وافتعال المشكلات، وبثّ الحزازات والفتن بذرائعَ مختلفة، وكانت حادثة مهسا أميني المؤسفة ذريعةً كسابقاتها... هذه هي القصّة من دون تأويلٍ أو تسطيح.

■ هل إيران محكومة بتاريخها الشيعي الاثني عشريّ وحوزتها العلميّة، بحيث لا يمكنها إلا أنْ تؤدّيَ دوراً سياسيّاً من خلال هذا العامل الجينيّ، الذي يطغى على عوامل أخرى، مثل دورها الإمبراطوري الفارسي من قبل، وتقاليدها الملكيّة العريقة؟

ـــ يفصل إيران عن تاريخها الإمبراطوري الأسطوريّ أربعةَ عشر قرناً ونيّف، هذا التاريخ الذي جعلَتْه «الشاهنامة» ليس هو التاريخ الحقيقي للإمبراطوريّة الفارسيّة، ومن المناسب في هذا السياق العودة إلى ما كتبه الدكتور مطهّري حول هذا الموضوع... تاريخ إيران دولةٌ موحّدةٌ مستقلّةٌ بدأ في السنة الأولى من القرن السابع عشر الميلادي حين جعل الصفويّون الإسلام دينَ الدولة الرسميّ على أساس المذهب الاثني عشريّ، فتحوّلت بلاد إيران من دويلاتٍ وشعوبٍ عرقيّة متصارعة، فارسيّة وتركيّة وعربيّة وتركمانيّة وكرديّة وأوزبكيّة ومغوليّة، وبلوشيّة إلى دولة واحدة «على أساس المذهب»، هذا التوحيد في المذهب، أوجد رابطاً مشتَرَكاً بين الأقوام الإيرانيّين، ووحّدَ البلاد عاطفيّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً وعسكريّاً، وهذا ما يجمع غالبيّة مواطنيها حتّى الآن... نظام الحكم في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، مختلف حتى الآن عن جميع الأنظمة السياسيّة المطبّقة في العالم، وإن أخذ من الأنظمة المعاصرة بعض إيجابياتها وطوّرها كنظام الانتخابات، الذي هو الأهمّ في العالم كما يؤكّد الخبراء المحايدون. ويخضع الحكم علانيةً للرقابة الشرعيّة على أساس الإسلام الشيعي الاثني عشري، كما يخضع أيّ نظام في العالم إلى الرقابة من مؤسّسةٍ ما مخفيّة في معظم الأحيان.

دلال عباس: ظلّ الشيخ البهائي حلقة الوصل بيني وبين إيران الإسلامية، ممثلًا للعلماء العامليّين الذين هاجروا الى إيران

■ هل خذلت الثورة الإسلامية فريقاً من مكوّناتها الأولى، خصوصاً أنّ أطرافاً عدّة شاركت فيها طلباً للعدل والمساواة كالشيوعيين (حزب توده)؟

ـ إنّ الثورةَ الإسلاميّة ليست ثورةَ طبقيّةً؛ وإنّما هي ثورة ثقافيّة وفكريّة وسياسيّة، شاركت فيها كلّ الطبقات، منذ الستينيّات وبعد انقسام «حزب توده» على نفسه، بسبب موقف بعض رموزه من الصراع العربي الإسرائيلي، ومهادنة البعض للشاه حين أعلن ثورته البيضاء؛ وإهانة أخرين للمقدّسات والرموز الإسلاميّة، تقلّصت قاعدتُه الشعبيّة. وبعد صعود نجم الإمام الخميني ورموز الثورة الإسلاميّة؛ أعلن الثوريّون الحقيقيّون من الشيوعيّين ومن غير المتديّنين إيمانهم بالشعارات الثوريّة المتعلّقة باستشهاد الإمام الحسين، وصار شعار «اقتدوا بالإمام الحسين، وثوروا على الظالمين مثله» شعارَ كلّ الثوار في إيران منذ الستينيّات. على سبيل المثال، الشاعر خسرو گلسرخي الشيوعي الذي أُعدم عام 1974، سُمح له قبيل الإعدام أن يدافعَ عن نفسه، فتكلّم من ضمن ما تكلّم على الإسلام الثوريّ المناقض للإسلام التاريخيّ، تحدّث عن إسلام عليّ وأبي ذرّ وسلمان، وعن استشهاد الإمام الحسين رمز الثورات طيلة التاريخ وممّا قاله من خطبة طويلة: «أنا ماركسي لينيني، بحثت عن العدالة الاجتماعيّة، فوجدتُها في بداية حياتي في الإسلام، فأوصلتني إلى مفهوم الأشتراكيّة... الإسلام الحقيقيّ، الذي يتجلّى اليوم في حركة التحرّر الوطنيّ الإيرانيّة... نحن نؤيّد الإسلامَ الحقيقيّ، إسلامَ عليّ والإسلام الحسينيّ».

■ كيف لمست تعلّق الإيرانيين بشخصية الإمام الخميني عشية الثورة؟ ومن هم المؤثرون الأخرون؟

ـ قبل أن تتعرّف جماهيرُ الشعب في إيران إلى شخصيّة الإمام الخمينيّ، ابتداءً من عام 1963، وتُعلنه قائداً ومرشداً وإماماً لها، كان الخمينيّ في قمّ معلّماً في حوزتها يُركّز في دروسه على ثلاث قضايا أساسيّة: أولها مواجهةُ الفكر الدينيّ المتحجّر، وانتقاد علماء الدين والفقهاء الذين يختصرون الدين بممارسة الفرائض والشعائر الدينيّة منفصلةً عن القضايا الوطنيّة والاجتماعيّة، وثانيها أسلمةُ المقاومة وإظهار حقيقة التشيّع فكراً إسلاميّاً ثوريّاً وحدويّاً. وقد عكف باكراً على تطوير نظريّة ولاية الفقيه التي وضع أسسَها علماء جبل عامل، وطبّقها المحقّق الكركي زمنَ الشاه طهماسب الصفويّ، وظلّت تتطوّر بأيدي أخرين، إلى أنْ أوصلَها الإمام الخميني إلى ما أوصلَها إليه وهو في النجف... منطلقاً من نظريّة النظام السياسي الإسلامي المبنيّة على أساس العدالة الاجتماعيّة، التي وضع أسسَها الإمام عليّ بن أبي طالب في كتابه إلى مالك الأشتر وإليه على مصر، وإلى عُمّاله الآخرين، وحاول هو تطبيقها في سنوات حكمه التي لم تتجاوز الخمس سنوات... القضيّة الثالثة تتمثل في مواجهة التيار القوميّ الفارسي العنصري، الذي كان يدعو إلى إحياء أمجاد إيران القديمة قبل الإسلام، هادفاً من وراء ذلك إلى الانقطاع عن الأمم المسلمة غير الآرية، والارتباط بأوروبا والغرب. كلّ الجماهير كانت تستمع إلى أشرطة التسجيل، وتقرأ البيانات التي يرسلها الإمام من المنفى، للعلماء من أمثال مطهّري وخامنئي (أصلُه من جبل عامل) وطالقاني ومنتظري والخونساري ومحمد تقي فلسفي وبهشتي وأنواري، والخامنه أي، وربّاني شيرازي، وهاشمي رفسنجاني، وعلي مشكيني، وغيرهم. وكان لكلّ من شريعتي ومطهّري تأثيرٌ كبيرٌ في طلّاب الجامعة، وفي الذين يستمعون إلى المحاضرات التي كانا يلقيانها في حسينيّة الإرشاد.

■ راقبت كثيراً العلاقة التي كانت قائمة بين نظام الشاه والكيان الغاصب، هل كانت هذه العلاقة ملموسة وقوية في الشارع الإيراني؟ وهل تأثر بها المفكرون الإيرانيون سلباً أو إيجاباً، لو عرفنا مثلاً

> الشاعر الشيوعي خسرو گلسرخي الذي أُعدم عام 1974، تكلّم عن الإسلام الثوريّ المناقض للإسلام التاريخي

أنّ مفكراً مثل جلال آل أحمد قد زار الأراضي المحتلة وأقام فيها؟

ـ قبل أنْ أسافر إلى إيران، كنت أعرف الكثير عن شاه إيران وعلاقته الوثيقة بإسرائيل. بعد أيّام من وصولنا إلى طهران، كنّا أينما حلَلْنا في هذا الحيّ من طهران حيث أسكنتنا الشركة، «نتعركش» بالإسرائيليّين. والأدهى من ذلك كان الغزل المستمرّ بالسادات قبل زيارة الكيان وبعده، وسبّ عبد الناصر بمناسبة وبغير مناسبة، في التلفزيون وعلى السنة البشر المؤيّدين للشاه... وبما أنّ العلاقات السياسيّة والاقتصاديّة بين إيران وإسرائيل كانت في الأوج، كانت زيارة إسرائيل أمراً عاديّاً لجميع الإيرانيّين غير المعادين لإسرائيل، وكانت توجّه الدعوات إلى الكتّاب والمثقفين الإيرانيّين لزيارة إسرائيل، فيلبّون الدعوات، ويكتبون مشاهداتهم، منهم من كان منطلقه عنصريّاً معادياً للعرب من أمثال بور داوود وتلاميذه، وآخرون يزورونها ليروا بأمّ أعينهم صحّة الحديث الذي يسمعونه عن إسرائيل الاشتراكيّة... قرأتُ نصّ المقابلة التي أجرتْها إحدى الصحف عام 1961 مع بور داود، بعد عودته من زيارة «إسرائيل»، وكانت الأسئلة والأجوبة تتمحور حول لقائه بن غوريون، ومظاهر الديموقراطيّة في «إسرائيل»، والعمل في الكيبوتسات... تحدّث عن جدّ واجتهاد «الشعب» الإسرائيلي الذي يتحدّى جبروت المئة مليون عربي الذين يحاصرونه من كلّ الجهات... أمّا جلال آل أحمد، فهو من الذين زاروا «إسرائيل» في عام 1963 بحسب الموضة السائدة لدى الشيوعيّين الإيرانيّين الذين كانوا معجبين أشدّ الإعجاب بإسرائيل الاشتراكيّة؛ زارها بعد انفصاله عنهم لمعرفة ما يجري بعد كلّ ما سمعه وقرأه من أقوال زوّارها... ومن خلال قراءة ما كتبه (وأنا قرأتُ مدوّنة الرحلة أخيراً)، وردّه على الذين انتقدوه حينها ممن التزموا بتحريم الإمام الخميني الاعتراف بإسرائيل، أو التعامل مع الإسرائيليّين في داخل البلاد وفي خارجها، ومنهم الخامنئي وطلّاب الحوزة، يتبيّن أنّه لم يكن متعاطفاً معها، وإنّما ركّز على الظلم الذي تعرّض ويتعرّض له الفلسطينيّون.

■ كأستاذة جامعية، ومؤرخة بارعة للثورة الإسلامية، ما هي دروس الرحلة التي تنقلينها لطلّابك؟ وكيف يمكن طمأنة قسم وازن من اللبنانيين بأنّ العلاقة بإيران ليست علاقة تبعية وانقياد، وخصوصاً في ظل طروحات مثل ولاية الفقيه؟

أنا لستُ مؤرّخة بالمعنى الأكاديمي للكلمة، أنا معلّمة لغات، شغوفة بالقراءة. أمّا التاريخ فهو أصلُ العلوم الإنسانيّة بأكملها بنظري. أنا أكتب ما أعيشه وما يُثير اهتمامي، وأنقلُ ما أعرف إلى الذين أحبّهم. قلتُ ولا أزال أقول للذين أعرفهم وأعلّمهم وأشرف عليهم من العرب والإيرانيّين الشباب الذين لا يعرفون كيف كانت الأوضاع في إيران قبل الثورة، أنْ يطّلعوا على ما يجري في إيران من مظانّه الصحيحة، وليس من خلال الإعلام الماجور التابع لأنصار إسرائيل. ولولا التزام إيران بالقضيّة الفلسطينيّة ومساعدتها أحرار العالم، لما فُرضتْ عليها العقوبات، ولعاش أهلُها في ثبات ونبات، ولَرُدّت إليها أموالُها المتحجّرة في المصارف العالميّة. لدى إيران من الثروات الطبيعيّة والثروات الإنسانيّة والعلميّة ما يجعلها . لولا الحصار . أغنى من المعادين لها من غير سبب. إنّ الكرة الأرضيّة منقسمةٌ الآن قسمين: إسرائيل ومن معها وفلسطين ومن معها... وما من إمبراطوريّة كما يُخبرنا التاريخ تأبّدت وعاشت دهوراً. مضحكٌ ومطولوفيٌّ قولُ اللبنانيّين إنّ لإيران أطماعاً هنا، هل لدينا ما يمكن أن تسرقه منّا؟ نحن أعطينا إيران منذ أكثر من أربعة قرون علماء صحّحوا مسار تديّنها، وهي ردّت إلينا الجميل وساعدتنا في تحرير أرضنا.

فصل من رواية

أرصفة (*)

جمال حيدر

تقهقرت أرصفة الكرّادة (**) خائفة، تلمّست هذي الليلة خطوات المارّة بحذر، كأنها تتوسل منهم المغفرة. تفترشها البسطات مساء، حينها يسكنها الاضطراب وتتأجّج الحياة مجدداً في روحها، خليط من مفردات وجمل عابرة ومساومات على الأسعار. ثمة قلق تشعر به الأرصفة، قلق ينبت على صفحتها يمنعها من التثاؤب والنعاس، وإن تغلق جفنيها في قيلولة سريعة، لم تتقاض اطمئناناً حتى ليلة واحدة. تصرخ: أيها المارون.. أيها المارون، لا أحب الموت. لا أطيقه، لكن لا أحد يصغي، الجميع ماضٍ في دربه غير آبه للنداء.

تمنّت الأرصفة أن تنصت لكلام الناس، كلامهم المتخم بالوعود. تمنّت أن تلاصق شفاههم لتعرف ارتجافها وهي تدوّي بالكلمات، تمنّت أن تحيا في أحلامهم لتستعيد توازنها. ولكن هل في الأحلام حقاً.. أم ما نرغب به ونتمناه؟ حاراً وجافاً كان الطقس. السماء مساحة ممتدة من عتمة بنجوم بعيدة، الأرصفة محتدمة بالمتسوّقين والزائرين واللاهين. وحدها كانت تعلم حجم الكارثة التي ستهزّها، لكن من الذي سينصت للأرصفة، من الذي سيعرف مدى وجعها؟ تخشى أن يتركها الناس وحيدة، وأن تغيب عنها تلك القلوب النابضة بالحب. ترفض أن تقبل بنصيبها من كل هذا الهلع الذي سيزلزل الأرض تحتها، لم تستسلم بسهولة، ولن تخيفها الكوارث، ستبقى يقظة. أغمضت عيونها وفتحتها ثانية لترى المشهد الذي سيختفي وتحلّ بدلاً عنه صفحة من الوجع العميق سيبقى في بؤرة الصورة لسنوات طويلة.

على حواف تلك الأرصفة ستختفي الجنة. جنة الناس الصغيرة الخالية من الأنهار والثمار الشهية والأوراح الخالدة، وسيحلّ الجحيم بمخلوقات محترقة. لن ينفع الأرصفة إعلان البراءة، لن ينفعها التذلل، فالذئب سيمدد من أقصى الروح إلى أقصاها. ستبقى مدى الدهر عاجزة عن فك لغز همجية الإنسان ووحشيته. همجية ملتبسة تنال من الهواء والشجر وجسد الآخر والكتب والطرقات والفكر والمرأة والتاريخ... والحاضر. لن تنفع الأرصفة إعلان البراءة، فالذئب كبير بحجم أقدارنا.

عادت الأرصفة إلى ذاتها واحتضنت حزنها لتنتحب بصمت، فهي الوحيدة التي تعلم بالفاجعة التي ستصبغ بعد قليل الهواء باللون الأسود، تتحسّس رئتيها وتفرك عيونها الدامعة، وتهز رأسها ألماً بعد أن تفز الطيور الغافية في أعشاشها من هول كرات النار، تعلم بيقين أن الانهيار آت.

تجمع الأرصفة خليطاً من ناس على حافة الأمل والتدافع... وما بينهما. المكان يغلي بالذاهبين والقادمين، لكنه متخم في الوقت ذاته بغواية سحيقة تعلن بوضوح لا غبار عليه: لا حياة لمن يمر بعد ساعات قصيرة على هذه الأرصفة أو بالقرب منها. أقدار هذه الأرصفة مبعثرة، كأنها على سفر طويل، فهي تستشعر بقلب ملكوم وجع الغياب، أو تستشعر غياب المارة التي تعرف من آثار أقدامهم. تحاول التشبث بهم... تتوسل، ولكن من الذي ينصت للأرصفة... يا للخبل.

حين تحكي هذه الأرصفة قطوفاً من سيرتها ماذا ستقول، ستفشل تماماً في حيادها وانهياراتها أزمنتها بعد أن يهتز يقين ختامها. ستصرخ بأنين مكتوم: لماذا يستمتع البشر بإيذاء الآخرين.. لم كل هذه العدوانية.. أين السر الكامن في شيوع هذا الرعب؟

تسرح الأرصفة في أفكارها وهي قريبة من الحدث بخطوتين أو أقل، تخشى أن تسالها الأرواح التي رحلت في لجّة الحدث: ما الذي تركته للأحياء؟ ستقول لهم بغصة: تركت للأحياء تلك الحياة المريرة على متسعها. حياة أشد ضراوة من الموت، أو حياة تحيا من قلة الموت.

ترغب الأرصفة بعبور أخف للعابرين فوق جسدها، لئلا تفسد أحلامها. على مهل تسترد عافيتها مع كل ارتجاج تتعرض له قلوبها، تتملك روحها، تجمعها بوداعة مع نهاية كل نهار. تحول الخوف والضجيج إلى حكايات الأقدام التي تتركها خلفها وهي تسير صوب المجهول. تكرر المحاولة حتى يتصاعد من داخلها أنين يشبه الغناء، أو قريباً منه. أنين يحمل أوجاع الناس منذ عقود، حين طافت الدماء الشوارع بقرار رسمي رقم 13. لم ترقد الأرصفة مُذّاك، لم ترتح، ظلت حائرة من دون أن تعرف ماذا سيحل بها، وبالبشر الساترين على جسدها.

أيدت الأرصفة خشيتها من أن يفيض بحرها بكائنات مضطربة. خافت من أن تستدير روحها صوب مجمع الليث. امتلأت بالضيق وشرعت في تلمس أحذية المارين بعدما تركت على جسدها خطواتهم المبعثرة. خطوط طويلة المدى مرة، ومتعرّجة قصيرة مرة أخرى. خطوات ترسم حماسهم أو فتورهم، حثّهم على الإسراع أو تمهّلهم. ترسم في ذهنها صوراً لوجوههم، شعرت بزهو غامض أبعد عنها قليلاً الضيق الذي يحاصرها منذ ساعات الصباح. دارت الدهشة التي غطتها، لكنها كانت على يقين أنها لو غسلت وجهها ألف مرة في اليوم، فإنّ مجرى الدم الممزوج بالسخام سيبقى عالقاً في ذاكرتها.

بكت الأرصفة بدموع ساخنة. بكت لأنها ستفتقد إيقاع المارين بأحذيتهم على جسدها. بكت لأنهم لا يعلمون شيئاً عن قلبها المتخم بالحب. لا يعلمون أنها تعرفهم وتلامس مشاعرهم من خلال إيقاع خطواتهم: المهموم، المريض، الرياضي، المعتد، الخائف، الزاحف ببطء، المتعجل، كما أنها تعلم إن كانوا فرادى تحاصرهم الوحدة أو مع أحبائهم. بكت لأنهم لا يعرفون أهمية لعلاقتهم بها، وغالباً ما يحتَرها السؤال: يسيرون على جسدي طوال حياتهم ولا يلتفتون إلي.. هل يعقل؟ كل ما يهمهم شكلي ونظافتي من دون الغور عميقاً في روحي. إذن من منهم يفهم روحي، أنا الهائمة بأرواحهم؟

من الحلم انطلقت الأرصفة صوب المرارة التي سيشهدها الحي باكمله بعد سويعات. تدحرجت ألماً ورعباً وفتحت عيونها لتتحسس ما تشعر به. تطلّعت بالسائرين، حاولت إيقاظ قوتها لترد الفجيعة، لكنها عجزت، فمن يبالي بأرصفة صمّاء وجرداء. ذرفت دموعاً بقدر ليلة طويلة، اغتسلت بدموعها وشعرت عن أذرعها لتزيح الحنين العنيد عنها، ولكن من الذي سيهبها الراحة لتستعيد قوتها أمام العصف الذي سيأتي بعد قليل من وقت. تتامل المكان بسكينة محيطة وألم يصعب وصفه. حاولت تخيّل المشهد الذي سيأتي، لكنها أبعدت الصورة عن ذهنها مفضّلة النسيان.. نسيان الموت والدمار.

كتمت الأرصفة أنفاسها وهي تتطلع إلى القلوب الظامئة الباحثة عن مساحة من حب بغرض الارتواء بما تبقّى لها من حياة، قلوب أنهكها جفاف العواطف. تمنّت أن تغيب عن الوعي، لكن هذه المرة سيكون الغياب طويلاً، لكن حين تعود إلى الوعي وتستعيد قواها ثانية يكون كل شيء قد تغير. وستصرخ بملأ صوتها: ما أضعفك أيتها الأرصفة. بعد استعادة الوعي لم يعد هناك ما تخشى عليه الأرصفة، فكل الأشياء ستغدو متشابهة في وعيها. أو في لا وعيها.

الجميع منشغل بهمومه، ونحن الأرصفة منشغلة بهموم المارة، نفرش لهم الطريق لنرتب لهم خطواتهم، ونصحّح أفكارنا عن أجسادهم التي تحمل كل خيبات الحياة، وعن الركام المتهدّم في أرواحهم. في تلك الليلة، الجميع منشغل بقدوم العيد بعد أيام معدودة. كم تمنينا قدومهم لنحتفي بهم. كنا ننتظرهم كل ليلة بأرق يشبه الحب، لكن هذه الليلة كنا نبحث عن سبب لمنع مجيئهم، هذه الليلة تحديداً. نصرخ بعنف يفوق الوصف: أيها المارون امكثوا في بيوتكم وأوصدوا أبوابكم، ثمة عاصفة من بكاء ستمر هنا، وتترك دوامة غبار من حزن ستمكث عميقاً، سينتقل الموت عبر الرياح، ستجتح الرؤية عنا وتمنعنا من التنفس، ذئاب صحراوية تعوي، تنتظر وليمتها، تحمل شرائح الدم منذ قرون. أيها المارون نتوسل إليكم امكثوا في بيوتكم هذه الليلة، فنحن من دونكم سنبقى بلا قلب. امكثوا في بيوتكم سيصعب علينا ترتيب صوركم وكلماتكم وأمنياتكم، امكثوا في بيوتكم خشية من انفلات القلب من الصدر، من صعوبة العثور على كلمات ملائمة للعزاء.

لم نتغير، هكذا تردّد الأرصفة، بلهفة كبيرة نستقبل كل يوم جديد المارة، نتحول في مثل هذه الليالي إلى نهر من بشر وخطوات، لم نتغير رغم تغير الوجوه والفصول والناس والأنظمة.. والأحلام.

ظلت الأرصفة تتساءل بإلحاح ممل: هل سننهض من وعكتنا بعد الفاجعة، كيف سنرى الفزع في عيون المارين وصراخهم والهلع الذي سيعمّر طويلاً في أفئدتهم، كيف سيكون صباحنا التالي، كيف سنلملم أرواحنا المتشظية؟ فكرت الأرصفة بهذه الأسئلة ملياً، رفضت أن تفكر في ألمها بقدر معرفة ألم الناس والغور عميقاً في جوهرها، بعد أن تمتلئ بدمهم وشظايا أجسادهم وفتات من أمانيهم.

طاردتها تلك الأسئلة، حاصرتها وهي ترسم صور المارين بعد حين أمام المبنى تاركين حسرتهم على أرصفته، سيلوكون الأسى حين يقابلون صور أحبتهم المعلقة على الجدار الملطّخ برماد المصيبة، سيجترون البلوى مرة بعد أخرى، هناك من سيتطلع إلى الجهة الأخرى المقابلة خشية من دمعة أو آهة أو حشرجة أو وجع في القلب.

تعلم الأرصفة أن ما ستشهده بعد سويعات يفوق مخيلتها، يفوق الصور الدامية التي حفظتها في السنوات القليلة في ثنايا ذاكرتها الهشة.

يتصاعد عويل الأرصفة عالياً، تتذرع باكية وصارخة. صراخ عاجز تماماً عن لجم المصيبة التي سترقد طويلاً على جسدها، أجل إن قلبها من حجر لكن وجعها سيتشظى وسيهطل كدموع بلا توقف. ستحنّ، بعد سويعات فقط، هذه الأرصفة إلى أيامها الماضية، ستفتقد وداعة تلك الأيام برغم الريبة التي تشعر بها. تطلّعت نحو السماء، ثمة قمر كبير يشعّ على المكان، قمر أبيض مصفر يتوسط صفحة سماء معتمة. سكون مرعب يخيم على كل شيء، كأنه يستشعر الفجيعة التي ستدوّن حروفها الدامية على حواف الأرصفة أو كأنه يتنبأ بغياب القمر. رأت الأرصفة كابوساً مخيفاً أفزعها، أشجار الطريق تحمل على أغصانها رؤوساً بشرية مقطوعة، لا تزال رموشها تتحرك، تبدو على وجوهها نظرات حسرة كبيرة لم تطلق آهاتها الأخيرة.

يمضي الزمن بالأرصفة دونما نهاية وهي تعلن عن حدسها بالخوف الآتي. تمنّت أن يطول النهار، يطول كثيراً ولن يأتي الليل، تلك الليلة تحديداً، تمنيت أن تسكن عقارب الساعات، أن تتمسك بأرقامها ولا تتحرك البتة. تمنيت أن يُعاد زمن الوقت مجدداً مثل شريط سينمائي ويقف قبل الكارثة بدقائق.. يبقى جامداً هناك، حينها ستفرش جناحها وتحلق بعيداً عن الطرقات وصخبها.

نعلم تماماً، نحن الأرصفة، أن الذين يبقون على قيد الحياة يعانون أكثر ممن يغادرون. سيبقون يحملون أوجاعهم حتى لحظتهم الأخيرة. عمر بأكمله تلتهمه الحسرة والندم، تلتهمه ببطء شديد وبلذة تفوق الوصف. لدينا كل أسباب الحزن، تقول الأرصفة، كل أسباب الانتظار، كل أسباب العتب، لكننا نعلم قبل غيرنا أن الموت الآتي لا يمكن التغلب عليه بالدعاء أو بالقرابين أو بالندم أو حتى بالعزلة. نعلم تماماً نحن الأرصفة أن البشر سيغادروننا وسيعودون تالياً إلى نقطة البداية، سيمرون بنا وهم يغمضون عيونهم هرباً من الوجع. نعترف بصدق كبير، نحن الأرصفة، من الشعور بالوحدة، أنها تطوّقنا بشدة وألم. غدت تلك الوحدة صديقتنا الأبدية، نلجأ إليها هرباً من الخوف الذي يحاصرنا. نركض إليها ونحضنها، فهي كل ما تبقّى لدينا في هذه الحياة العاصفة بكل الملمّات.. حتى أكثرها قسوة ووحشية. ورغم وحدتنا وخوفنا وتعبنا، سنركض حاملين بين أذرعنا حب الناس. بصراحة وشفافية نعترف أن فكرة عشق المارة طالما شغلتنا، عشق وقع أقدامهم، عشق ضحكات الأطفال وضجرهم. نصحو مرات ليلاً ونفكر بهم، بأفراحهم وأتراحهم، بفقرهم وبحبوتهم، بتعبهم وزهوهم.

بعد أيام، ربما بعد سنة، ستفترش الشموع أجسادنا، بلهيبها المتموج، كأنها تشتعل في دمائنا وهي تذوب بتاوهات طويلة، ستلتمس تلك الشموع قلوبنا، وسيكون ذلك اللهب الصغير سلوتنا الوحيدة. القمر الدائري الشاحب فوق الشموع يمنحها لونه، بينما تمنحه هي ارتعاشها. يتحرك القمر بتؤدة كأنه يختفي من المشهد، لم يطاوعه قلبه وهو يرى كل هذا الحزن.. حزن الذين نجوا، الذين فقدوا أحباءهم.. حزن عميق لا يفهمه إلا القمر البعيد، والشموع المتقاعة السائلة على أجسادنا في خطوط متعرجة.

هل سنتغير بعد سويعات، بعد الألم، هل سنغفو بعد ابتلاء هذه الليلة، هل سنرخي رؤوسنا على كتف الشارع، هل ستتعافى قلوبنا؟ نحن الأرصفة المنسية، بعد سويعات سيحيطنا الجميع بالم. بعد سويعات لم يعد يحبنا أحد، سيهربون منا، وسيلقون بنا جانباً، رغم أنّا قد رأينا الذين عبروا على أجسادنا باتجاه المجمع، يقودون أطفالهم نحو الفاجعة. تطلعنا في عيونهم وبكينا بصمت ومرارة. بعد سويعات سنتام عراة من دون وسائد، فمن يعيرنا غفوة عابرة؟

(*) فصل من رواية صدرت حديثاً عن «دار لندن للطباعة والنشر» بعنوان «شموع على أرصفة الكرادة»

(**) الكرادة، حي بغدادي شهد انفجاراً إرهابياً مروعاً في تموز (يوليو) عام 2016 استهدف مجمعاً تجارياً والأرصفة المحاذية له.

عمار سالم ــ «محزرة سبايكر» (زيت على قماش ــ 2021).

دونغ ووكيم ــ «عناق» (رخام ــ 2009)

قصائد

عادات الوحدة البذيئة

مها عواودة *

1- المظلّة

أهداني مظلّة ومضى
تلويح المسافرين
وشرائط السوليفان الملونة
وراح
نسي أن يعلّمني
كيف ألفّ بالقصائد
كلمات الوداع
فتبدو كالهدايا
ولا كيف أسترجع مظلتي
عندما تسرقها الرياح
إن مررت يا حبيبي من هنا
اجلب لي قمراً منيراً
وبيتاً لا سقف له
أنظرُ منه إلى السماء
وألوّح لنجمة حزينة.

2- احلام المدن

قلنا ندخل المدن
للمدن حلمها الخلفي،
فننجو بما أخفينا من منامات
وراء وجهنا المعكوس في المرآة
سلّمنا إلى ارتحالات تُفضي إلى ارتحالات
السفن العائدة منا تسافر
ولن نعود لنخبرهم عن خدعة المرآة
أن ما يرونه لن يمتلكوه!

3- انا وانت

هل تذكر كم حذّرتك من المسافات الطويلة للحب
كم تجنّبنا جاهدين تلك الأسئلة المفعمة بالشهيق
وماذا بعد
ثمة أنا سقطت منك
ثمة أنت نسيتك على قارعة الطريق
وماذا بعد
هو بالضبط ما نفعله الآن
أسوأ كثيراً أو أقل
نقطع منعطفاً آخر لاهثين
بسباباتك الطويلة
«أحبك كحبة كستناء مع كأس نبيذ»
تقول وتشير للافتة أخرى
اشتمك وادير لك ظهري العاري
ذلك بالضبط ما نفعله الآن
أسوأ كثيراً أو اقل
أخونك كثيراً كما تحب
كحبة كستناء مع النبيذ
وتخونني بقضمي مرة تلو أخرى
وبصقي لاعناً خوفي منك أو عليك
تلعق ما علق مني على حواف أنفك
وماذا بعد
ثمة أنا سقطت منك
ثمة أنت نسيتك على قارعة الطريق
ومسافات طويلة للحب
طالما ابتعدنا عنها خائفين.

4- انت والغابة والحرب

لم تكن صدفة
كلانا يعلم أن الصدف أجمل من أن تحدث
كنت أنت والغابة والحرب الهناك
على بُعد أميال
غوايةٌ مثاليةٌ لعادات الوحدة البذيئة
ناسك الغابة وبحيرة تحدثها امرأة عارية
على مرأى من مدينته الغاضبة وشجر
أشجار كثيرة وتواريخ محفورة على جذوعها
تاريخ ولادتها
وتاريخ يوم أصبحت شجرة
وكان هناك مساحة كافية
لتاريخ جديد
للشجرة التالية.

5- سؤال

أيها الشعر أيها العجوز الطيب
لمَ تختفي كلّما سألناك
عن تفسير لهذا العالم؟
لم تصفق أيها الوغد دوماً لمن لا يكتبونك؟

6- اغنية زرقاء

لو لم يكن البحر
لصنعت لي بيتاً
بيتاً صغيراً مع شبابيك كثيرة
وستائر أرجوانية اللون
ولو لم تكن الريح
لعدت مسرعة
غسلت وجهي من الأزرق
وضعت نقاطاً من عطر أمي
وارتديت لزوجي فستانه المفضل
كنت طهوت وجبة تليق بمساء عائلة
وطاولة بمفرش مطرّز الأطراف
ومن بدري كنت قد أخبرْ كعكةً
كعكةً مستديرة تتوسطها كرزة حمراء
لو كان لي صوت لصرخت
حرّرْني منك أيها الأزرق
فالطرقات تموت كما الناس
وبارد كالمحال هذا المساء.

7- ثلاث شامات

عندما مضيتَ
لحقت بك ثلاث شامات
كنتَ تحبها أسفل عنقي
من علّم شاماتي أن تحبك؟
كأنك أنت من رسمتها
وعلمتها الدوران في فلك الياسمين
والتمرّد على جبن السيدة
إغماضة السيدة
احتراقها الصامت
إعادة الدور
تكراره اللعين
يا حبيبي تمهل والتقطها
آخاف إن رآها الناس
أن يحسبوها شلّة غربان
ويمطروها بالحجارة

* فلسطين

دراسات نسوية

ماريا تاتار تُعيد الاعتبار للبطلات «المنسيّات»

خليل صويلح

في كتابها «البطلة بألف وجه ووجه» (2021) الذي صدرت ترجمته العربية أخيراً (دار نينوى ـ ترجمة عدنان حسن)، تعمل الأكاديمية الأميركية ماريا تاتار على إعادة الاعتبار لبطلات تجاهلهن جوزيف كامبل في أطروحته المعروفة «البطل بألف وجه» (1949) إذ استبعدهن من «بانثيون الأبطال»، فتكشف عن الجانب المهمل لنساء صنعن تاريخاً مضاداً في حكايات لا نهائية، على غرار ما فعلته شهرزاد في «ألف ليلة وليلة»، باستدراج وقائع وأساطير وسرديات، تنسف خريطة الأبطال التي وضعها كامبل وآخرون.

البطلات هنا لا يحملن سيفاً، وغالباً ما يُحرمن من القلم، لمصلحة الأعمال المنزلية فقط. كانت الفكرة الأولية للمتخصصة في الفولكلور وأدب الأطفال والأدب الألماني، الاشتغال على تفكيك «رحلة البطل ومحنة البطلة». أبطال هرقليون، ونساء منفيات ومستبعدات، صورة ستتكرر في المخزن الأدبي والأسطوري حيال الجنوسة، فمعظم القصص تصوّر رجالاً وآلهة ذكوراً، وستكتفي النساء برواية حكايات الأبطال، كأن الكلمات وحدها التي تقود المرأة كي تنجو من النسيان أو الموت، كما في حال شهرزاد: «إنّ براعتها في سرد القصص لا تمكّنها من البقاء على قيد الحياة فحسب، بل تمكّنها أيضاً من تغيير الثقافة التي تعيش فيها» تقول. ستعمد كاتبات اليوم إلى زعزعة مفهوم البطل بإعادة النساء المهمّشات إلى الواجهة ومنحهن أصواتاً عالية، فرواية «بنيلوبيار» لمارغريت أتوود، على سبيل المثال، خلخلت الأرضية المستقرة لملحمتي هوميروس «الإلياذة و الأوديسة»، بمنح «بينلوبي» مهمةً أخرى غير انتظار عودة المحارب. البطلات، وفقاً لهذه الرؤية المضادة عملن على إصلاح «الحواف المهترئة» للنسيج الاجتماعي، إذ يوجد على الدوام جانب آخر للقصة، وإن الإسهاب لا يحول دون الإمكانات لأجل الفعل البطولي، وهو ما عملت عليه توني موريسون أيضاً في روايتها «محبوبة» بتحريك شخصيات من الماضي، ليس بقصد التكرار، إنما من أجل إضفاء معنى مختلف للتاريخ النسوي، بصوغ نسختها الخاصة. لقد خلق كامبل افتئاتاً جمعياً بالأساطير التي صنعت أبطاله، وتالياً صعوبة الخروج عن القواعد التي أرساها. يعترف كاتب السيناريو نيل غايمان بفضل كتاب «البطل بألف وجه» عليه، باستخدام الصدمة عند كل منعطف في الزقاق السردي لإذكاء الأطوار المختلفة من رحلة البطل، الأمر الذي تفتقده النساء، فحسب كامبل «عندما تدرك امرأة ما هي شخصيتها الرائعة، فإنها لن تشوش بفكرة كونها ذكراً زائفاً».

هكذا غامرت ماريا تاتار بتغيير اتجاه دفة السفينة والإبحار عكس التيار رغم ريح كامبل العاتية التي واكبت تحوّلات ما بعد الحرب العالمية الثانية، وديستوبيا جورج أورويل، و«عوليس» جيمس جويس، لتلتقي سيمون دو بوفوار في كتابها «الجنس الآخر» الذي صدر في السنة نفسها التي احتضنت كتاب جوزيف كامبل. وإذا بكتابها يؤسّس للموجة الثانية من النسوية، بفضح فكرة «كان الرجال فاتحين، وكانت النساء أسيراتهم المستعبدات.. الرجال يخترعون، في حين أن النساء يبقين في المنزل، وينجبن».

والتفتت إلى الحكايات الخرافية التي كانت جزءاً من طفولتها، لتجد حقائق قاسية للتقسيم الجنوسي: حسناء نائمة، سندريلا، بياض الثلج، فيما يقوم الذكور بأفعال خارقة خارج المنزل، في تناص مع «أوديسيوس في رحلة، وبينيلوبي في البيت». في البحث عن اسم أوديسيوس في محرك البحث غوغل، ستجد الباحثة مرادفات تخييلية من طراز: شجاع، مخلص، ذكي، متغطرس أحياناً، حكيم، قوي، داهية، مهيب. وعلى المنوال نفسه، سيحصل أبطال هوميروس الآخرون على أعلى درجات الشجاعة والنبل والبسالة، فيما توصف بينيلوبي بأنها «زوجة أوديسيوس»، وكذلك «البراعة في النول»! أما «هيلين» فهي فاتنة ومغوية وساحرة. المفارقة أن هذه الإجابات تخص كاتبات وباحثات في المقام الأول. من هذا الباب، تحاول ماريا تاتار تصحيح الصورة التي إلى استعادة موقعها في الحق بالكلام، تكيفهم مع حياتهم بعيداً عن فلسطين. «أمّي وأعرفها» تنقلنا إلى عوالم الشتات والهجرة والأحلام المحطّمة لأجيال وُلدت بعد نكبة فلسطين ونكبة غزو العراق، مع طرح تساؤلات حول الهوية والانتماء ومعاناة المنفى.

اقترحت الليس ووكر خطاباً مضاداً للسرديات التي تدور حول إخراس النساء

بالمنجز الأنثوي بشراهة، بإعلاء شأن المحاربين والآلهة والذئاب المنفردة في الميثولوجيا، والأفلام، والآداب.

سيتتبع نصوصاً تُعيد للمرأة صوتها، فهي ليست نشاشة خيوط فقط، وإنما حائكة حكايات، من شهرزاد التي وضعت الرجال والنساء في حالة حرب حقيقية، ثم انتقالها من دور الضحية إلى شخص يقاوم، ويطالبن بالتحولات، وتالياً، فإن الهرميات التقليدية للبطولة تعاد «لخبطتها»، وبعاد ترتيبها إلى الأبد كقيم ثقافية ومعاركها كاميل، بفتح قوس مشع ينطوي على رؤية مختلفة لتاريخ النساء الثقافي، بعيداً من التصورات الذكورية التي أطاحت بها الإقصاء بتسويات واتفاقيات سريّة، سيق وكشفت عنها جودي كانتور في روايتها «كيف تُسكت ضحية». وسوف تزداد جرعة البوح العلني أو التكلّم جهاراً على مراحل، من الاسم المستعار إلى الاسم الصريح كنوع من التمرين على إعادة تكوين الهوية. تقول تشانل ميلر «لا مزيد من التشظّي، كل قطعي متراصفة. لقد أعدت وضع صوتي داخل جسدي». في استعادة شخصيات روائية مثل «أنّا كارنينا» لتولستوي، و«إيما بوفاري» لفلوبير، تُشير ماريا تاتار إلى أنّ هذه الشخصيات حبيسات زيجاتهن، وتوقهن إلى شيء خارج قيود المنزل. في المقابل، فإن الأبطال غالباً ما يكونون مغامرين شجعاناً، متهورين، لا يعرفون الخوف. لكن «خربشات النساء» سترتحل من الشفاهي والخرافي إلى المكتوب وقد بلغت ذروة الاستكشاف. سنتعرّف إلى أن فرانك كيطلة من خلال مغامرتها أثناء فترة الحرب والتخفّي والنزاية، لكن عبقريتها الأدبية ستُهمل نقدياً، وهو حال كثيرات. تستدرك بما يشبه النبوءة: «أريد أن أستمر في العيش حتى بعد موتي». هذه الاندفاعات الأنثوية في الكتابة أبطلت عملياً فكرة «البطلة ربة المنزل السعيدة» بصعود التخييل الذاتي، و«معالجة مدّ وجزر الحياة اليومية».

البطلات بألف وجه ووجه، كما تختتم ماريا تاتار، يكشفن عن جوانب جديدة من قصص قديمة. لا تسود بطلة واحدة أو تدوم. بدلاً من ذلك، تظل البطلات يتطورن، يتحدين السلطة والشرعية، يتمردن، يقاومن، ويطالبن بالتحولات، وتالياً، فإن الهرميات التقليدية للبطولة تعاد «لخبطتها»، وبعاد ترتيبها إلى الأبد كقيم ثقافية ومعاركها كاميل، لكن القصة لا تنتهي هنا، فاستراتيجيات لمحو فضائح الاغتصاب والتحرّش

رواية

محمد طرزي... لبنان 2023

منير الحايك

عندما ألّف جورج أورويل روايته «1984» في الأربعينيات من القرن الماضي، كان زمان النصّ ومكانه واحداثه وشخوصه متوقّعين متخيَّلين، إنْ من جهة التناس على اختلاف انتماءاتهم، وإنْ من جهة الزعيم أو الديكتاتور أو الطاغية، مع حاشيته وأزلامه الذين ينفذون طغيانه وتسلّطه ويحمون فساده وأنّاه المتضخّم. وجاء تصنيف الرواية على أنها «ديستوبيا» (أدب المدينة الفاسدة) التي ستسيطر على المكان المقصود، أيّاً كانت موقعيّته على خريطة العالم، لكن بعد عشرات السنوات، في حال استمرّ النظام في تنفيذ مخططاته وتكريسها في أذهان أجيال المجتمع، الحبيبين في مكان ما، إلا أنّ قصة حبهما تنتهي كعادة قصص الحبّ بين الفقير والثرية، بأن تتزوج من رجل من مستواها، وتطلب من الفقير أن يبقى الصديق الوفيّ المتفهّم، وهنا لا تأتي الرواية بالجديد.

حمّلت الرواية الحبيبين أفكاراً حول الواقع الاجتماعي المسيطر على المدينة، وهي لبنان المصغّر، وإن ركّز الكاتب على نقد واقع طائفة معينة. تظنّ أنك تريد أن تأخذ موقفاً منه إن كنتَ من محبّي أو مؤيّدي نهج أحزابها وزعمائها، لكنك عندما توسّع دائرة أفكارك وتقرأ النص بمقاصده الأبعد، تجد أن انطلاقة الكاتب من بيئته أمر بديهي، لكن مقاصده أوسع وأعمق وأكثر قسوة مما يظهر، فالبلاد محكومة بالفساد والطغاة المتعددين، وهنا تختلف الرواية عن غيرها من روايات الديستوبيا، كاختلاف الواقع اللبناني عن غيره من بلدان العالم، بأنّ زعيمها المقصود في النص، هو مجموع زعماء يحكمون هذا البلد الصغير. وهنا تأتي قصة الحبّ الفاشلة لترمز إلى كل قصص الحبّ المقموعة بين اللبنانيين، بسبب اختلاف الدين أو الطائفة، أو بسبب الفقر والثراء، ما يخيّل إلينا عندما نسمع الاسم، نتيجة للسياسات التي ينتهجها ارباب الطوائف ورؤوس الفساد في بلادنا، كلّ بحسب منطقته ومنطقه وبحسب وسيلته الأقوى، إعلامياً أو مالياً أو فكرياً، أو من خلال البلطجة والتخويف والتخوين من خلال قوى الأمر الواقع.

يلتقي سلطان الشاب البسيط الحالم بأن يصبح روائياً بابنة أحد أثرياء المدينة، وهو ابن «الحفّو» أو الذي يدور بسيارته ليبني من خلال مكبرات الصوت على جوانبها أموات اليوم ومواعيد الدفن والعزاء، وهو الذي يسكن وعائلته في بيت في مقبرة المدينة، ملك للوقف، يسكنونه منذ أن بدأ والده تلك المهنة، بدعم وموافقة وتبريك من المختار. تدور الأحداث حول الصديقين، الحبيبين في مكان ما، إلا أنّ قصة حبهما تنتهي كعادة قصص الحبّ بين الفقير والثرية، بأن تتزوج من رجل من مستواها، وتطلب من الفقير أن يبقى الصديق الوفيّ المتفهّم، وهنا لا تأتي الرواية بالجديد.

حمّلت الرواية الحبيبين أفكاراً حول الواقع الاجتماعي المسيطر على المدينة، وهي لبنان المصغّر، وإن ركّز الكاتب على نقد واقع طائفة معينة. تظنّ أنك تريد أن تأخذ موقفاً منه إن كنتَ من محبّي أو مؤيّدي نهج أحزابها وزعمائها، لكنك عندما توسّع دائرة أفكارك وتقرأ النص بمقاصده الأبعد، تجد أن انطلاقة الكاتب من بيئته أمر بديهي، لكن مقاصده أوسع وأعمق وأكثر قسوة مما يظهر، فالبلاد محكومة بالفساد والطغاة المتعددين، وهنا تختلف الرواية عن غيرها من روايات الديستوبيا، كاختلاف الواقع اللبناني عن غيره من بلدان العالم، بأنّ زعيمها المقصود في النص، هو مجموع زعماء يحكمون هذا البلد الصغير. وهنا تأتي قصة الحبّ الفاشلة لترمز إلى كل قصص الحبّ المقموعة بين اللبنانيين، بسبب اختلاف الدين أو الطائفة، أو بسبب الفقر والثراء، أو بسبب الاختلافات الفكرية والعقائدية والسياسية، يكون الجديد من القصة أوضح من هذا المنظور.

لغة النصّ متينة، مشغولة ومحبوكة، على الرغم من أنّ بعض التكلّف يحكم الصور التي يضمّنها الكاتب نصّه، ليكسر فيها رتابة السرد، إلا أنها بمعظمها كانت سلسة بلغة سهلة، بسيطة، فيها تشابيه واستعارات، وإن شاب بعضها القليل من التكلّف كما سبق وذُكر، إلا أنها حققت مقصد الكاتب منها، وهو تلوين أسلوبه وتنويع لغته، لكنه لتكاد تتناسى ما ظنّنته تكلّفاً في البداية. ينجح الكاتب في تقديم أسلوب خاصّ به، لا يتأثر التشويق وشدّ القارئ بهذه الصور والخيالات، بل تصبح جزءاً قد تطلبه عندما تطيل الرواية والخيال، فتجدها لا تبخل عليك بصُوَر، منها الجديد، ومنها ما أعيدت صياغتُه بحرفية وموضوعية ضرورية للنصّ.

مواقف الكاتب السياسية واضحة، وهو أنكرها في نهاية نصّه كداب المؤلّف الذي لا يريد المواجهة المباشرة مع من ينتقدهم، ولكنها أفكار كثيرين، ممن احتلوا الساحات في ثورة تشرين التي كانت حاضرة في النص، وانفجار المرفأ الذي يميت حيّه ويميت معه الخوف داخله، فيتحدى السلطة المافسة بشكل مباشر عندما سبّ الزعيم من ميكروفون سيارة نعي الموتى نفسها.

شخصيات عديدة عدا سلطان، كان لها دورها المحوريّ في النص: هناك قاسم الهارب من الواقع عبر البحر والتهريب معرّضاً حياة أبنائه للخطر، فكانت قصته ضرورة لتدعم موقف الرواية ضد مسببي الهرب. حسن الزاهد في أمور الدنيا، الذي يعاقر الخمر والموسيقى، هو أيضاً واحد منا، على الرغم من أن من مثله قلة، لكنهم بكلّ ماضيهم ومواقفهم أناس منا ومثلنا. عفاف أو ماما ريتا وقصتها والعمل العلني في الدعارة، هي وبناتها أناس منا ومثلنا، لوركا أو ساجد الشهيد الذي لم تقتنع الرواية بأسباب موته واحد منا ومثلنا. أزلام الزعيم الراضون الخانعون المنفذون لأوامره فداءً له، هم أناس منا ومثلنا.

رمزية المكان بالنسبة إلى المدينة المحكومة بالديستوبيا ليست أساساً بالنسبة إلى النص، فهي تركز على كلّ المدن حيث حكم الطاغية كليّ، وقد اختارها النصّ دوناً عن المدن اللبنانية حيث التنوّع الطائفي والديني لأسباب باتت واضحة. أما المقبرة، وكل ما دار فيها ومن حولها، فقد كانت هي الأساس، لتمثّل البلد الذي أصبح مقبرة لأبنائه، لا ينجون إلا بالخروج منه.

هي رواية من النوع الممتع، ومن النوع الذي يشدّك حتى تجد فيها ما تتشاركه مع أفكاره فترضيك، ومع ما يخالف تلك الأفكار والقناعات فيستفزّك ويحرّك فيك البحث عن أسباب ذلك الاختلاف فتناقشه وحيداً مع الكاتب من خلال قراءة نصه. أمّا العنصر الأبرز في أسلوب النص وأفكاره، فهو كيف يحملك من حيث تدري أو لا تدري، لتتأثر بالحالات الإنسانية الكثيرة فيه، من موت ميسم بالكورونا بعد وصولها إلى المانيا، إلى موت وداد بالانفجار المشؤوم، حتى طعن حسن من قبل أزلام الزعيم، وحريق مطعم مارتا ريتا، فتكبي معه واقع بلدٍ لم تطمح الرواية في نهايتها لتتوقّع نصراً فيه على الواقع، فالكاتب يعرف أن لا أمل قريب ولا شيء مجيٍ على المدى المنظور.

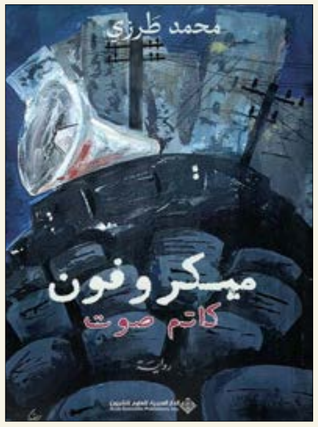

بعض التكلّف يحكم الصور التي يضمّنها الكاتب نصّه

سيرة

أحلام مستغانمي تروي «ذاتها»

عبد الرحمن جاسم

حقّقت الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي مكانةً خاصة لها في الأدب حال ظهور روايتها الأشهر «ذاكرة الجسد» (1993)، الذي اجتاح الوسط الثقافي العربي وقدّمها كروائية ذات روح خاصة وحازت عليها «جائزة نجيب محفوظ» (1998) كافضل رواية عربية، فضلاً عن ترجمتها إلى لغات عدة كالصينية، الإنكليزية، الفرنسية، والكردية وسواها. لاحقاً، أتبعت الرواية بجزأين «فوضى الحواس» (1997) و«عابر سرير» (2003) كانتا بمثابة تكملةٍ للقصة وإن لم تكونا في مستوى الرواية الأولى. الكاتبة/النجمة سرعان ما أضحت كاتبة مقالات، وصارت لها مقالة أسبوعية في عدد من المطبوعات العربية، ولكنها لم تكفّ عن إطلاق الروايات ولو «ذهور» مستواها، فباتت أشبه بكتابة الخواطر. أصدرت أعمالاً عدة بعناوين مثل «نسيانكم» و«الأسود يليق بك». حتى إنها قرضت الشعر في كتاب «عليك اللهفة» (2013) الذي كان مشابهاً لأعمالها الأخيرة معنى ومضموناً. وها هي اليوم تغوص في عالم السيرة، وتقدّم كتاب «أصبحتُ أنتِ» (نوفل) كرواية لسيرتها الشخصية. الطباعة أنيقة، والغلاف مصمّمٌ بعناية تزيّنه صورة مستغانمي على الغلاف الأمامي، وصورة والدها محمد، على الغلاف الخلفي، مع استشهاد (على الغلاف الخلفي كذلك) بكلمات الرئيس الجزائري أحمد بن بلة (1916 ـ 2012) الذي مدح مستغانمي كعروبية و«كشمس جزائرية أضاءت الأدب العربي ورفعت بإنتاجها الأدب الجزائري إلى قامة تليق بتاريخ نضالها». بدءاً من اختيار العنوان وتقديم الكتاب، يظهر تأثر الكاتبة بوالدها وهي تهديه الكتاب بحزن بالغ: «ما جدوى ما أكتب ما دام ليس في المقابر مكتباتٌ ليقرأني أبي». في الوقت نفسه، هي تهدي والدتها الكتاب على شكل صراع وإن كان خفياً: «أمي، أهديك هذا الكتاب، مطمئنةً أنك لن تقرئيه، ولن تحاسبيني عما جاء فيه، اعتبريه هدية متأخرة من أبي، فلا تواصلي معاتبته (هناك). برغم كل شيء، لقد أحبّك...». ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء، كل جزءٍ يأتي على فصول عدة. تروي مستغانمي حياتها على طريقتها. تحاول الغوص أكثر في عالمها الداخلي، فتحكي في الفصل الأوّل من الجزء الأوّل: «بعك أصبحتُ أنت. أعدت اقتراف كل حماقاتك، خسرت بسخاء، وبسخاء تهكمتُ على خساراتي. أكرمت أعدائي لأنّ لا قصاص أكبر من الكرم. أحببت كما لو كنتُ أنت، كذبت لأختلق لمواعيدي العاطفية ذرائع وهمية كما فعلت». تصلح هذه الجمل لنشرها كصورة على مواقع التواصل الاجتماعي، إذ إنّها أقرب إلى الحكم منها إلى نصّ أدبي بحت. لكن مستغانمي نجحت في تكوين تلك الصورة حول ذاتها بأنها كاتبة هكذا. فمن هنا يخلق هذا النص نوعاً من الارتباط مع «جماهير» تحب هذا النوع من الكتابة، وما وجود كتّاب مثل خولة حمدي (كاتبة «في قلبي أنثى عبرية») وسواها إلا مثال على أنّ هذا النوع من الكلام «الموشّى» مرغوب لدى شريحة واسعة من القراء الذين يفضّلون التسطيح. تتناول التاريخ الجزائري المليء بالحكايات والأحداث وتربطها بحياتها الخاصة: «حدث ذلك من قبل، في زمن الأمير عبد القادر (وتقصد الأمير عبد القادر الجزائري الثائر المعروف)، الذي كان منذ شبابه يسافر إلى الحج، متبوعاً بقافلةٍ محملة بمكتبته، ولا يقصد أرض المعركة إلا مصحوباً بكتبه، وحين أرغم على الهجرة، حمل مكتبته نوعاً من الارتباط مع «جماهير» تحب بحراً وبراً من الجزائر إلى فرنسا ومن فرنسا إلى الشام. لا أدري كيف استطعتُ إقناع جدتي باستقبال ثمانية مجلدات ما كان البيت ولا الظرف مهيأين لاستقبالها في زمن الأوبئة والمجاعة. ربما تقبّلت الأمر لأجلك، فقد كنت كل ما استطاعت إنقاذه من براثن الحرب والأمراض». في الجزء الثاني، تسير الكاتبة الجزائرية ذات المسير، وتبدأ بالفصل الأوّل هنا مازجةً بين التاريخ والشخصي على عادتها: «كان التاريخ جارنا المهيب، بيننا وبينه مسافة رصيف، لكنني لم أعِ ذلك إلا عندما أصبحت أشاهد حيّنا في نشرات الأخبار المسائية». تربط هنا بين الأحداث التي عصفت بالجزائر في مواجهة المحتل الفرنسي، ولا تنسى أن تورد شخصيات ذات ثقل ملحمي من نوع الثائرة الجزائرية المعروفة جميلة بوحيرد: «فقد صنعت صبية جزائرية تدعى جميلة بوحيرد الحدث، وهي تدخل المقهى باناقة أوروبية وتترك حقيبتها تحت الطاولة، فيسقط إثرها رؤاد المقهى بين موتى وجرحى» في إشارة إلى عملية مقهى Milk bar الشهير الواقع في الجزائر العاصمة. هي لا تنسى أن تدمغ كل شيء، بتعليقاتها ذات البعد الشخصي: «في عجلة رحيلهم، تمنّى الفرنسيون لو أخذوا معهم موتاهم، أو حتى أسماء قتلاهم المحفورة على النصب التذكارية، فقد كان لهم إحساس بأن الحجر أيضاً سيتنكر لهم». هل فعلاً تمنّى الفرنسيون ذلك؟ تلك هي لعبة الأدب عند مستغانمي، التي تستعملها في الكتاب كلما احتاجت. في الوقت عينه، تكتب الكاتبة لنفسها قبل الآخرين: تمدح نفسها، تربت على نفسها، وتصفق لنفسها حتى: «النجاح الناقص الذي كوّن على حساب ما هو أساسي، بفسد أي فرحة، مهما كان الفوز عظيماً. كسبتُ التحدي، أثناء التزامي العائلي، كنت أواصل دراستي الجامعية وأقدم برنامجاً إذاعياً يومياً، وأكتب مقالاً أسبوعياً، وأيضاً أصدرتُ ديواناً شعرياً»! أو مثلاً حين تقول: «وجدتُ نفسي، لمصادفةٍ تاريخية، كاسحة للألغام، لا فتاة شقت طريق الضوء قبلي، في مواجهة تلك المدينة الذكورية، المتقصية لأخباري، المتربصة بأخطائي». اللافت في الكتاب، حين تتحدّث المشهد الثقافي في الوطن العربي، منذ وقتها وحتى وقتنا هذا: «بالنسبة إلى جيلي من الكتّاب المشبعين بالأفكار التقدّمية، كانت معركتنا أولاً ضد آباء مكرسين، تحولوا إلى ديناصورات جاثمين على الأدب بأفكار رجعية، رافضين لنا حق الوجود، يحكمون السيطرة على اتحاد الكتّاب، وعلى كلية الآداب وكل المجالات الثقافية». إنها هنا تعزّي الحالة الثقافية لا في بلدها الجزائر بل في سائر المشرق والمغرب العربيين وهي الحالة المستمرة حتى اليوم.

تتناول التاريخ الجزائري الملىء بالحكايات وتربط الأحداث بحياتها الخاصة

أسلوباً، تحاول مستغانمي استنساخ تجربة «ذاكرة الجسد»، فتستخدم «الأقوال المشهورة» و«الجمل الشهيرة» لكتاب معروفين التي جعلت ما تكتبه قريباً من القرّاء. تأخذ من أسماء معروفة، غربية وعربية مثل فولتير، دوستويفسكي، وغسان كنفاني، ومريد البرغوثي، ورسول حمزاتوف، وأدونيس، وناظم حكمت، ومالك حداد... تستخدم هذه الأقوال بمثابة «قواطع» بين ما تكتبه وكنوع من العناوين الداخلية لما تكتبه. لكن في «أصبحتُ أنت»، نجد ما ابتعدت عنه الكاتبة الجزائرية في أعمالها السابقة، إذ نعثر على قصص قصيرة للغاية مدموجة داخل نص مسبوك بجمالية خاصة يستحق القراءة بنظر البعض، فيما قد يراه آخرون ثقيلاً بدون أي تقنيات كتابية. بعد الفصل الأوّل، يغدو الكتاب مكروراً معاداً، فيصبح مجرد سرد لأحداث تاريخية مع بعض التعليقات ذات البعد الحكمي الطفولي.

لمحات

عبد الإله بلقزيز

يُقدّم «نقد الثقافة الغربية: في الاستشراق والمركزية الأوروبية» (مركز دراسات الوحدة العربية. طبعة رابعة) للمفكر المغربي عبد الإله بلقزيز نقداً مزدوجاً للآخر والأنا من خلال استعراض أعمال نخبة من المفكرين والمثقفين العرب الذين ينطلقون من رضيّة فكرية معرفيّة. لا يهدف بلقزيز من نقد الثقافة الغربية الانتصار لفكرة الأصالة والأنا والهوية والموروث، بل جمع التراثيين والغربيين في مشروع جامع، وهو مشروع الحداثة. والحداثة ليست نموذجاً جاهزاً للاستنساخ يمكن استيرادها كأي مقتنى مادي، إنّما هي مشروع كوني تبنيه الثقافات والمجتمعات من مواد محلية مستفيدة من خبرة الثقافات والمجتمعات العالميّة كافة. يحثّ بلقزيز على التفكير النقدي والتحليل العميق للمسائل الثقافية مع احترام وتمكين الثقافات الأخرى، كما ينتقد المركزية الأوروبية التي تعتبر الثقافة الغربيّة هي الرجعية الثقافية والفكرية للعالم، ويشكك بلقزيز في هذا المفهوم معتبراً أنّه يعكس انطباعات نابعة من الأفكار الاستعمارية القديمة.

محمد اشو

يبرز الباحث المغربي محمد اشو في كتابه «من تيولوجيا العصر الوسيط إلى فلسفة الأزمنة الحديثة» (المركز العربي لدراسة السياسات) أهمية الفيلسوف الفرنسي إتيان جيلسون (1884 ـ 1978) ودوره في إعادة الاعتبار إلى دور الثقافة العربية. يُعدّ جيلسون من أبرز الفلاسفة الذين أنجزوا مشروعاً متكاملاً عن الفكر الفلسفي في العصر الوسيط، خلاصته أن الأزمنة الحديثة بدأت في القرن الثالث عشر، لا في القرن السابع عشر، مخالفاً بذلك التصوّرات التي حصرت الحداثة داخل دائرة مغلقة وأحاديّة. ويعتبر جيلسون أن الثقافة العربية من أهم العوامل التي شكّلت الفكر الحديث وأسهمت في النهضة الأوروبية. فكما هو معلوم أن الفلسفة الأفلاطونية المحدثة هي المُهيمنة على الفكر الأوروبي على مرّ العصور، ولم يتعرف الأوروبيون بالأرسطية إلا عن طريق العرب. لذلك، تأكيد جيلسون على أهمية الفلسفة العربية نابع من قناعته بأن الفراغ لا يوجد في التاريخ؛ فديكارت، وباسكال، وليبينيز ليسوا أكثر أهمية من توما الأكويني، وابن رشد، وابن سينا وغيرهم.

ناصر العبدالله

ماذا/ لو أن أقحوانةً أوقدت/ بعد طول سباتٍ/ ناراً/ في حطب الحنين/ واستحال معها/ إلى هباءٍ/ كل هذا اليقين؟ ماذا/ لو أن قمراً/ يجري مطمئناً في مساره/ راودته أو عاودته/ غواية الورد/ واستبدّ به/ شوق لا يستكين/ فهوى / غير آبه / من عليائه/ إلى لجج/ أيقظتها/ ثم أضرمتها/ فتنة الياسمين؟!». يتألف كتاب الشاعر اللبناني ناصر العبدالله «غواية الورد فتنة الياسمين» (دار فواصل) من مجموعة قصائد تحتلّها الفلسفة والوجدانيات السياسية، إلى جانب قصائد عديدة عن الحب والشغف والآمال والأحلام والخيالات، والوحدة والتأمل والرياح والصخور والطبيعة. يُصرّح الشاعر في استهلالية الكتاب أنه ليس هناك سياق جامع للموضوعات المختلفة في الكتاب، باستثناء البحث عن معاني الوجود وتجلياته من خلال اللغة وغيره ومحاولة الاستخلاص الفرح من رحم المعاناة.

فيصل مصلح

يتناول الباحث اللبناني فيصل مصلح في كتاب «السياسة في ظل الذكاء الاصطناعي» (دار أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع) الآثار المترتبة على استخدام تقنية الذكاء الاصطناعي في مجالات السياسة والديموقراطية والانتخابات، ومستقبل العلوم السياسية. يؤكد أننا دخلنا في ثورة جديدة هي ثورة الذكاء الاصطناعي التي قد تفوق بتأثيراتها الثورة الزراعية والثورة الصناعية وثورة الاتصالات. يستكشف الكتاب الأساليب والأدوات التي يجب على الأحزاب السياسية استخدامها للحصول على السلطة ومنافسة القوى السياسية الأخرى في ضوء التطورات الهائلة التي ستُحدثها تقنية الذكاء الاصطناعي في جوانب الحياة المختلفة. يتناول الكتاب أيضاً تأثير الذكاء الاصطناعي على الحياة الاجتماعية، بما في ذلك الصحة والتعليم والعمل والمهن والطب والهندسة والاقتصاد بهدف فهم العوامل التي ستؤثر على الواقع السياسي في المستقبل.

ياري ياناس

يتميز كتاب الكوميكس «رأس المال» (2018) الصادر بترجمته العربية عن «منشورات بلوط» بإعداده الاستثنائي وبالرسومات المبدعة للفنان الألماني ياري ياناس، وقد ترجمه إلى العربية الكاتب السوري دارا عبد الله. يُقدّم الكتاب المفاهيم الأساسية في كتاب «رأس المال» لماركس بشكل بسيط وشيّق، شارحاً الأفكار المعقّدة والمختلفة من خلال رسومات توضيحية وسيناريوات حوارية مسلّية تُخفّف من صعوبة التجريد الفلسفي. يتناول الكتاب بأسلوب سلس وممتع الأفكار الرئيسية في فلسفة ماركس، ما يسهّل فهمها واستيعابها. وقد أشار المؤلف إلى أنّ العديد من الأشخاص يتحدثون عن كتاب «رأس المال» من دون معرفة دقيقة بأفكاره وطروحاته. جاء هذا الكتاب المُصوّر ليُوضّح بأسلوب سهل مجموعة متنوعة من أفكار ونظريات ماركس، كفكرة استغلال العمال وتهميشهم في النظام الرأسمالي وتراكم الثروات في يد القلة القليلة وتناقضات الرأسمالية، لكنه لا يغني أبداً عن قراءة وافية وشاملة لكتاب «رأس المال» الحقيقي.

احمد طملیه

تقع أحداث رواية «أمّي وأعرفها» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) للكاتب الأردني أحمد طملیه في أحد أحياء عمان، حيث يعيش اللاجئون الفلسطينيون الذين هاجروا إلى هذا المكان بعد نكبة عام 1948 ونكسة عام 1967. تُركّز الرواية على ظروف اللاجئين الاجتماعية من خلال رؤية شاب عاشق يحلم بامرأة في خياله، في حين يتعرض المحيطون به لمعاناة البُعد القسري عن الوطن. تُصوّر الرواية معاناة اللجوء من خلال تجسيد ثلاثة أجيال فلسطينية تتعايش بأسلوب مختلف مع واقع الشتات المؤلم. يتزامن الوقت الذي تدور فيه الأحداث مع أزمة الخليج (1990) التي تترك تأثيراً جسيماً على سكان الحي. يُبرز الروائي مشاعر الأشخاص البسطاء، أحلامهم وطموحاتهم، وكيفية

أوراق

عصا إيشانغو

زكريا محمد *

لعل عصا إيشانغو هي القطعة الأشد إثارة للجدل في العصر الحجري الحديث كله. وهي قطعة من عظم قرد البابون، اكتشفها في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي البلجيكي هاينزيلين J. de Heinzelin في قرية إيشانغو Ishango في ما كان يُعرف وقتها بالكونغو البلجيكية. لكنّ المنطقة تقع الآن على الحدود بين أوغندا والكونغو.

يُقدر عمر القطعة بحوالي 6-8 آلاف سنة. وهناك من يرى أنها أبعد في التاريخ من ذلك. وقد عُثر في رأس القطعة على حجر كوارتز صغير، الأمر الذي دعا كثيرين إلى افتراض أن العصا ربما استُخدمت لحفر الوشوم والتاتوهات، أو غير ذلك.

غير أنّ ما أثار الجدل إنما هو الصفوف الثلاثة من الخدوش- الخطوط التي تدور حول العظمة. ويمكن القول إنّ ما كُتب عن هذه الصفوف يعادل أضعافاً مضاعفة لما كُتب عن أي قطعة أخرى من العصور الحجرية القديمة. وقد توزع ما كُتب على اتجاهين: اتجاه يقلل من قيمة القطعة، واتجاه يرى أنها تبرهن على معرفة رياضية معقّدة وخطيرة جداً.

أما الاتجاه الأول، فمنه من رأى أن الخطوط هي مجرد خدوش لتسهيل الإمساك بهذا العصا. في حين رأى آخرون أن القطعة تمثل «عصا حساب» من العصي المعروفة في أماكن كثيرة في العالم، والتي ظلت تُستخدم في أوروبا حتى نهايات القرن التاسع عشر. أما الخدوش عليها، فتذكير بعمليات اقتصادية بسيطة، مثل عقود بيع أو شراء، في حين يرى غير هؤلاء أنها ربما كانت عصا طقسية ما.

أما الاتجاه الثاني، وهو الذي حدد مسار النقاش حول القطعة، فقد انطلق من ملاحظات هاينزيلين الذي ركّز على مجموعات الخطوط المنفصلة داخل الصفوف وحاول التوصل من خلالها إلى الكشف عن نظام حسابي ما، لأرقام خطوط الأعمدة الثلاثة معاً (60 خطاً، 48 خطاً، 60 خطاً) غير معطى كبير اهتمام. فقد لفت انتباهه إلى أنّ العمود الطرفي الأول يحوي أرقاماً صمّاء فقط. بل هو يحوي الأرقام الصماء كلها بين الرقمين واحد وعشرين. عليه، وتبعاً له، فالعصا ليست أداة بسيطة الشأن. بل إنها آلة حسابية معقّدة تعتمد على معرفة رياضية عالية جداً. أو أنها بشكل ما كمبيوتر صغير. ويمكن القول إن الاتجاه الرياضي هذا، هو الذي يهيمن على دراسات عصا إيشانغو الآن.

وفي مواجهة قوى المركزية الغربية التي تقلل من إنجازات أفريقيا الثقافية، التف تيار واسع حول العصا فحوّلها إلى أيقونة أفريقية للرياضيات المبكرة في العصور الحجرية.

أما نحن، فلا نود أن نجادل بشأن المغزى الرياضي لمجموعات الخدوش في الصفوف الثلاثة على العصا، فهذا فوق طاقتنا. وسيكون تركيزنا على أرقام الأعمدة الثلاثة: 60-48-60 التي جرى تجاهل البحث في معناها مع أنها هي مركز العصا.

رسم هاينزيلين لصفوف الخطوط الثلاثة

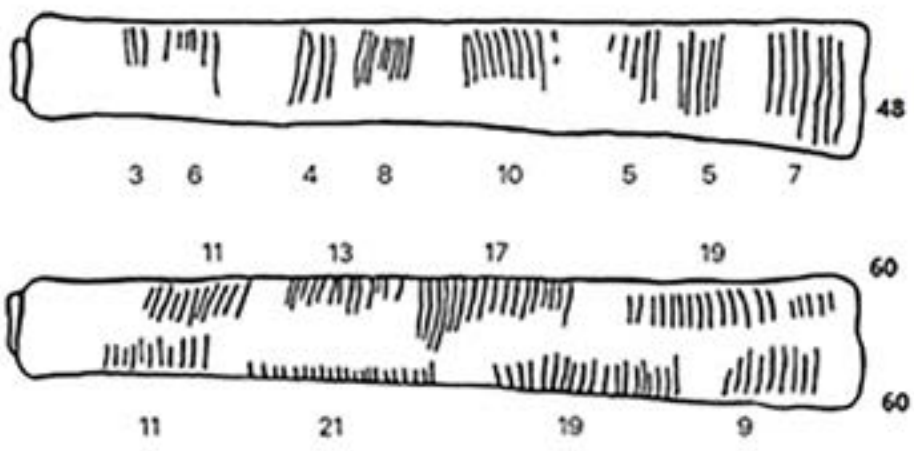

عدد الخطوط في العمود الذي سنسمّيه بالأوسط، مختلف عليه. فهناك من يرى أن فيه 47 خطاً لا 48 تبعاً لعدّ هاينزيلين. أما العمودان الآخران، ففي كل واحد منهما 60 خطاً. أما عدّ ألكسندر مارشاك للخطوط، فيختلف عن عدّ هاينزيلين. وهو هكذا: 61، 47، 61. أي أنه يتفق مع أن العمود الأوسط يتكوّن من 47 خطاً لا 48 خطاً، لكنه يزيد خطاً آخر على العمودين الآخرين. بذا فعدّ هاينزيلين يساوي 168 خطاً، في حين أنه عند مارشاك يساوي 169 خطاً.

فما الذي تعنيه هذه الأرقام الثلاثة؟ لا أحد يخبرنا عن ذلك. فالنقاش تركّز حول الأرقام الصماء المفترضة. على كل حال، فأنا سأركز على هذه الأرقام. ومع أنه جرى عموماً تجاهل عدد مارشاك بشأن هذه القطعة، فأنا سأسير انطلاقاً من عدّه هو لسببين اثنين:

الأول: أنّ عدّ مارشاك لعلامات والتدوينات المتسلسلة على قطع العظام والحجارة في العصور الحجرية أثبت دوماً دقّته. وإذا كانت هناك مأثرة كبرى لمارشاك، فهي هذا العدّ. فقد حمل مجهره وأمضى سنوات في العدّ مثبتاً أن هذه العلامات ذات معنى ترقيمي روزنامي وليست خربشات بلا معنى.

الثاني: أنّ عدّ مارشاك يتفق بقوة مع فرضيتي حول سنة العصور الحجرية التي طرحتها في كتابي «سنة الحية: روزنامات العصور الحجرية».

بناءً عليه، سأعالج الأرقام على أنها «61 – 47 – 61». وفرضيتي الأساسية أنّ الخدوش على العصا تمثل روزنامة بسيطة جداً مثل الروزنامات التي عالجتها في الكتاب المذكور. ويلعب الرقم 47، أي رقم العمود الأوسط، دوره على الاتجاهين. بإضافته إلى أي رقم من أرقام العمودين الآخرين، نحصل على الرقم 108: 61+47= 108. وهذا الرقم يساوي ثلث سنة الحية القصيرة المكوّنة من 324 يوماً، كما كنت بيّنت في كتابي المذكور. وهي سنة تقل بشهر واحد عن السنة الطويلة التامة، المكوّنة من 364,5 يوماً.

من ناحية ثانية، لو جمعنا رقمي العمودين الطرفيّين، لحصلنا على الرقم 122. وهذا ثلث سنة العصور الحجرية التامة. وقد بيّن من قبل أن الرقم الأصلي هو 121,5: 364,5÷3= 121,5. والذي حدث في عظة إيشانغو أنه جرى تدوير الكسر إلى رقم تام لأنه لم تكن توجد طريقة لكتابة الكسر، فحصلنا بذلك على الرقم 122. بالتالي، فهذا الرقم يساوي ثلث سنة الحيّة الطويلة التي تساوي 364,5 يوماً. أي أن الرقم يشير إلى هذه السنة.

أما جمع الرقمين 61 و 47، فسوف يعطينا الرقم 108. وهذا الرقم هو رقم سنة الحية القصيرة المكوّنة من 324 يوماً. وبما أنّ الرقم 61 مكرر مرتين، فيجب إضافته مرتين إلى الرقم 47، وهو ما يجعلنا نحصل على الرقم 108 مرة أخرى: 108+108= 216. وبضرب هذا الرقم في واحد ونصف نحصل على الرقم 324 الذي تحدثنا عنه.

بناءً عليه، فلدينا في عظمة إيشانغو روزنامة العصور الحجرية القديمة الكلاسيكية التي تعطينا الأرقام التالية:

السنة الطويلة: 364,5 يوماً.

السنة القصيرة: 324 يوماً. وهي أقل من السنة الطويلة بـ 40,5 يوماً.

ثلاثة فصول في كل فصل 121,5 يوماً. لكنه جرى تدوير الكسر فصرنا مع الرقم.

إذاً، فعظمة إيشانغو أبعد ما تكون عن كمبيوتر معقّد. إنها روزنامة بسيطة جداً لسنة العصور الحجرية المألوفة. وهي روزنامة دينية بلا شك. فالأرقام فيها تمثل الآلهة وفعاليتهم.

بناءً عليه، يتبقّى علينا أن نتحدث قليلاً عن تقسيم الخطوط الثلاثة إلى مجموعات أصغر، وهو التقسيم الذي أدى إلى اعتبار عظمة إيشانغو كمبيوتراً صغيراً. هذه المجموعات تمثل في رأيي حسابات فرعية للروزنامة التي تحدثنا عنها. وحتى لو لم نتمكن من فهمها تماماً، فإن هذه الفرضية هي المقدمة لفهمها. ولنأخذ مثالاً على ذلك العمود الأوسط وأرقامه واحداً واحداً بدءاً من اليسار:

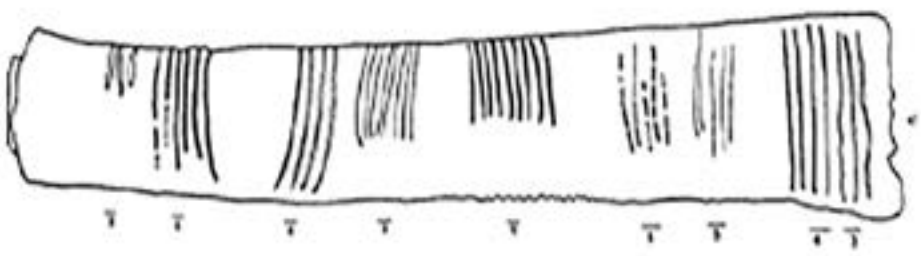

الرقم 3: وهو يساوي أقسام السنة الكبرى المكوّنة من 364,5 يوماً. وكل قسم يساوي 121,5 يوماً.

الرقم 6: وهو الأشهر الستة لفترة بيات الماء في العالم السفلي: 6×40,5= 243 يوماً.

أما أيام نشاط الماء السفلي فهي 81 يوماً. وجمعهما معاً يعطي الرقم 324.

الرقم 4: وهو يساوي نصف السنة القصيرة المكوّنة من 8 أشهر تساوي 324 يوماً.

الرقم 8: رقم شهور السنة القصيرة التي نتحدث عنها (324 يوماً).

الرقم 9: هو رقم شهور السنة التامة الكبيرة (364,5 يوماً).

الرقمان 5 و 5: لا أعرف معنى تتابعهما. ولا أعرف لماذا قُطع الرقم الأيسر منهما إلى قطع. لكن لا بد أن يكون لهذه التقطيع معنى ما.

الرقم 7: وهذا رقم شهور البيات زائد رقم الشهر المشترك بين الفترتين وهو يساوي 283,5 يوماً.

بناءً عليه، يمكن للأرقام الصمّاء أن تكون مجرد مصادفة لا غير.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 10 Juin 2023 no68
السبت 10 حزيران 2023 العدد 68

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

الضاحية تستحق أكثر

(الضاحية الجنوبية، ارشيف ـ مروان طحطح)

في الواجهة

باتت الضواحي اليوم، مع ارتفاع الاحداث الامنية والجرائم، اشبه بساحة قتال يعبث فيها المارقون بامن الناس وامانهم، يتناحرون في ما بينهم كالاعداء، وعلى مذبح عصبيّاتهم تُزهق ارواح الابرياء بالمجّان. لا يكاد يمرّ يوم من دون ان نسمع بحادثة هنا او هناك: قتل في وضح النهار، واعتداءٌ بالضرب احياناً وبالسلاح الحربي مرات عدة. وللوقوف عند الاسباب المحتملة لهذه الاحداث، اجرت «القوس» جولة على بعض سكّان الضواحي وعدد من الاكاديميين والمعنيين المختصّين بالشأن الامني. وللإجابة عن تساؤلات تُطرح دائماً بعد كل حدث امني جديد: هل اصبح الامن في لبنان، وتحديداً في الضواحي، صعب المنال؟ هل تُمنع فعلاً القوى الامنية من الدخول إلى بعض احياء الضواحي؟ وهل تحمي الاحزاب والجهات السياسية بعض المطلوبين فيها؟

ترهيب السكّان وتشبيحات وتلكّؤ فلتان الضواحي يتوسّع

فاطمة خشاب درويش

أزيز الرصاص المفاجئ يخرق سكون الليل أحياناً. بغزارته توقّفاً قسرياً لحركة العمل في زحمة النهار، يُجبر المارة على الاختباء في مداخل الأبنية وخلف السيارات، تمرّ الساعات بانتظار هدنة تُسعف الناس في الهرب من أرض المعركة، كان أحداث الحرب الأهلية عادت على حيّ غزّة.

بات المشهد مألوفاً، فالاشتباكات لا تغيب عن الضواحي، ولا يصعب تحديد وجهة السلاح ومصدره. فالأسماء والجهات والأشخاص المتنازعون معروفون. لا شيء مخفياً في تلك الرقع الجغرافية التي أصبحت بحكم المُبعدة عن الأمن والأمان، فهل يحدث كل ذلك عن سابق إهمال وتخلّ تحت مرأى ومسمع القوى الأمنية؟

«كتار قلّوا وتركوا بيوتهم بالمنطقة، ما تحمّلت أعصابهم القواص والمشاكل، يا ريت بقدر إترك متلهم بس ما حدا راضي يستأجر هون ولا حتى يشتري. أسعار البيوت بالبلكي صارت بالأرض، بلحظة بتتحول المنطقة لمدينة أشباح، وبيصير القواص يلعلع. يا حرام على الأولاد شو بيصير فيهم من الخوف. كل يوم بعد يوم بيصير فنعة. الله لا يوفقن زعران، ما عم بيخلونا نعرف نعيش بأمان». هكذا تصف أم محمد التي تقطن قرب دوّار الكفاءات - البلكي الواقع الأمني المتوتر التي تعيشه بشكل مستمر، وتؤكد أن «كل سكّان الحي برفضون ما يجري. بلي بيتخانقوا وبيقوصوا معروفين، وما حدا راضي عن بلي عم يعملوه، بشكل بلعبوا باعصابنا لعب، وما حدا بيقدر يوقّفهم عند حدهم».

«ما كان في شي! كنت بالمحل عم بيع زبونة. فجأة بلّش المشكل، ما عرفنا شو بدنا نعمل، دار القواص والناس هربت من الشارع، وفي بلي تخبّى تحت السيارة، وأكتر شي حرفلي قلبي أم حاملة ولد على إيدها وعم تركض، كانت رح توقع على الأرض من الرعبة» تروي شاهد عيان ما جرى في منطقة برج حمود قبل أيام عندما وقعت اشتباكات بين مسلحين: «كنا رحنا بشربة ماي، الموت رخيص بلبنان».

«صرلي أكتر من 10 سنين عارض بيتي للبيع، كل يوم في قصة، يوم مخانقة كرمال فان ويوم كرمال وقفة السيارة، ما عاد فينا نتحمل رعبات. بأيام حرب تموز ما خفنا هلقد. اليوم خايفين على الولادنا هني ورايحين على المدرسة بصير عليهم شي. ما في وقت محدد، بلحظات بنصير بساحة حرب، بنقعد بمدخل البيت بين أربع حيطان حتى ما يوصل الرصاص علينا، في أكتر من هيك قهر! عايشين ببيوتنا وما في أمان»، يقول أبو ناصر الذي يقيم في منطقة صحراء الشويفات، مضيفاً أن «لا شيء يمنع الدولة من أن تحمي الناس من زعرنات المحششين والمافيات، بيتعاطوا وبيبيعوا المخدرات على عينك يا تاجر».

«كل مواطن بعكار بيشعر بفقدان الأمل وبغياب الدولة وإنو الحل بالزعرنة. بيشعر الناس بالخوف بخاصة أن عدداً من السياسيين بيمارسون نفوذهم بشكل من خلال مسلحين في مناطق عدة والدولة غائبة. من عشر سنين لورا كان الوضع الأمني أحسن من هلق، رغم أنه لم تكن هناك خدمات للدولة في المنطقة. بعد تدهور الوضع الاقتصادي ومنذ تشرين 2019 بات الشعور المستحكم في نفوس الناس أن تحصيل الحق يكون باليد لعدم وجود الدولة»، يختصر ناصر سليمان الوضع في عكار وضواحيها بهذه الكلمات معبّراً عن قلقه من الأيام المقبلة في ظل غياب الدولة وأجهزتها وخدماتها عن المنطقة.

> تأخر القضاء في إصدار الأحكام القضائية بحق الموقوفين والمطلوبين يشجع على الجريمة

لا ضوابط ولا رقابة مانعة

«لا يمكن الحديث عن التفلّت الأمني في الضواحي وغيرها من المناطق من دون التدقيق في العوامل التي تعزّز هذه الظاهرة وتساهم بشكل أساسي في تغذيتها وانتشارها في أكثر من منطقة» بحسب العميد المتقاعد أمين حطيط، مشيراً إلى أن «الأمن هو نتاج عامل شخصي ذاتي يتعلق بسلوك الفرد، وهو غالباً ينبثق عن ثقافته وحاجته وفهمه للمحيط. فالظروف الذاتية للأشخاص عنصر أساسي في الأمن». وبلفت حطيط إلى أهمية «العوامل الموضوعية التي لها دور في تخفيف معدلات الجريمة ومنها البيئة الاجتماعية التي يتحرك فيها الإنسان والمنظومة الأمنية الرسمية وغير الرسمية التي تهتم بالأمن. فالشخص الذي لديه ميول إجرامية وبيئته الاجتماعية تنافي هذه الميول، قد يمنعه ذلك من الإقدام على ارتكاب جريمة ما».

وبالنسبة للبيئة الاجتماعية في عدد من الضواحي، بلفت حطيط إلى أنها «لا تصنّف بيئة مانعة للجريمة، نتيجة الترهل الموجود في هذه البيئة بسبب الحاجة والفقر وحرية الحركة من دون ضوابط، والقدرة على ارتكاب الجريمة». كما يشدّد على أهمية ودور المنظومة الأمنية في حفظ الأمن وضبط التفلّت، معتبراً أن «فاعلية المنظومة الأمنية تستطيع خلق الهيبة الرادعة لدى القوى الأمنية، أو أن تمنع وجود هذه الهيبة سواءً في الضواحي أو في مختلف المناطق اللبنانية». ويضيف: «لا يقتصر عمل الأجهزة الأمنية على ملاحقة المجرمين والكشف عن الجريمة، بل لديها دور لا يقل أهمية عن ذلك وهو الدور الرقابي المانع، إذا كانت المنظومة الأمنية فاعلة عندها تصبح قادرة على منع الأفراد من ارتكاب الجرائم حتى لو كانت لديهم ميول ذاتية لارتكابها».

لماذا تغيب الدولة عن الضواحي؟

«يُبعد الضواحي عن أوساط المدن يعني بُعدها عن المراكز الأساسية والرسمية وغياب وجود الدولة واهتمامها وفرض هيبتها» يشرح الأستاذ الجامعي والباحث في الديموغرافيا شوقي عطية غياب الأجهزة الأمنية عن الضواحي، ويضيف: «عدد عناصر القوى الأمنية وعناصر الشرطة وعديد قوى الأمن هو دائماً أقل مما يحتاجه الوضع في الضواحي. فعلى سبيل المثال والتوضيح، إذا كان لكل 1000 مواطن شرطي واحد في المدينة، سيقابله شرطي واحد لكل 10000 مواطن في الضاحية، الأمر الذي يساهم في زيادة التوترات والاضطرابات الأمنية فيها».

تكمن المشكلة برأي عطية في أن «الأمور تصبح في الضواحي كثرة الثلج، لا وجود للدولة ولا للشرطة، فتزداد الجرائم ويتفاقم التفلّت الأمني. في المقلب الآخر، يدفع هذا الأمر الشرطة إلى تجنّب الدخول إلى هذه الضواحي»، مشيراً إلى أن «كل الأحزاب بدها عالم على الأرض، واغلب الأشخاص يلي مستعدين يكونوا على الأرض ويتدخلوا حتى لو أمنياً بيكونوا من الضواحي».

ويتابع: «ما بدّي إحكي عن بيروت، أنا مش ابن بيروت، بدّي إحكي عن منطقتي طرابلس. أكثر جولات العنف في طرابلس كانت تتحرك من أشخاص محسوبين على مرجعيّات سياسية وحزبية محددة، هون بيسهل التحكّم بهؤلاء الأشخاص بسبب الوضع الاقتصادي المتردّي. بأيام الدولار لما كان 1500 كان باقل من 500 دولار يتجنّد أشخاص حتى يكونوا مقاتلين على الأرض. لا شك أن الفقر والعوز هما عاملان مسهلان جداً للانخراط في أعمال التشبيح والحمايات للسياسيين والأحزاب».

(الضاحية الجنوبية ـ مروان بوحيد)

الكثافة السكانية والاكتظاظ

تعدّ الكثافة السكانية العالية والاكتظاظ من الأمور التي تزيد من الضغوطات التي تعيشها الضواحي، ولا سيّما على الصعيد الأمني، يلفت عطية هنا إلى أن «الضواحي في لبنان أفقر من المدن، والطبقات الموجودة داخلها هي في الأصل فقيرة، وفي أغلب الأحيان يكون سكان هذه الضواحي ليسوا من السكان الأصليين، وهذا الأمر واضح جداً في ضاحية بيروت الجنوبية وضواحي طرابلس». ووفقاً لعطية فإن «الضواحي تجتذب الأشخاص الذين يأتون إلى المدينة بحثاً عن عمل وحياة أفضل، إذ إن وضعهم الاقتصادي والمادي يكون عادةً أسوأ من أبناء المدينة، وبسبب أوضاع أمنية محدّدة كالحروب والنزاعات أو النزوح القسري من مناطق أخرى وحتى من البلدان المجاورة كسوريا».

ويخلص عطية إلى أن «الفقر هو واحد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى أمور أخرى قد لا تُحمد عقباها، والملاقت في لبنان أن الأسر الأكثر فقراً هي الأكثر إنجاباً، فمقابل 6 أو 7 ولادات يومياً في الضواحي هناك ولادة أو اثنتان في المدينة بحسب إحصاءات العام 2023. هذا الأمر يسبب ضغطاً سكانياً سواءً في البيوت أو في الأحياء، ويدفع بالأهل إلى السماح لأولادهم بالنزول إلى الشارع واللعب مع أترابهم، وتكون النتيجة بُعد رقابي للأهل عن الأولاد في الشوارع حيث تنتشر المخدرات والسلوكيات الإجرامية من دون حسيب ورقيب».

دور محدود للبلديات

«يوجد تفلّت أمني في كل مناطق لبنان، وليست هناك منطقة لبنانية آمنة بالمطلق، والتفلّت نسبي بين منطقة وأخرى لأسباب عدة، والوضع السياسي العام يؤثر على الوضع الأمني من دون أدنى شك» يختصر نائب رئيس بلدية برج البراجنة زهير جلول حال البلديات ودورها إزاء ما يجري، مؤكداً الحاجة إلى «سلطة مركزية قوية تمتلك القدرة على ضبط الأمن بشكل أساسي من أجل استقامة كل إدارات الدولة وصمودها».

وحول دور البلديات في الحدّ من ظاهرة التفلّت الأمني والجرائم، يلفت جلول إلى أنه من ضمن صلاحيات شرطة البلديات تأمين الأمن للقاطنين في نطاقها البلدي. وعندما تكون هناك حالات مخلّة بالأمن كالسرقة والقتل تتحوّل شرطة البلدية إلى ضابطة عدلية، بمعنى أنها تستطيع أن تعتقل المتلبّس بالجرم المشهود وأن تقوم باستجواب أوّلي وترفع تقريراً لرئيس البلدية الذي بدوره يرفع تقريره إلى المحافظ، ويتم التواصل أيضاً مع المخافر الموجودة ضمن النطاق البلدي ويسلّم الجاني إلى الجهات الأمنية التي تباشر إجراءاتها».

ولكن هل لشرطة البلديات دور فاعل في ضبط الأمن؟ يجيب جلول: «تعاني البلديات في كل لبنان كما كل مؤسسات الدولة، ومعاناتها كبيرة بسبب النقص في عديد الموظفين وتحديداً في عديد شرطة البلديات الذين ترك قسم منهم العمل بسبب تدنّي الرواتب مقارنة برواتب القطاع الخاص».

ويتساءل جلول: «كيف يمكن للبلدية التي يوجد فيها الكثير من الأحياء والشوارع أن تقوم بدورها سواءً على الصعيد الأمني وغيرها من الأدوار في ظل الواقع الحالي الصعب؟» ويخلص إلى أن «دور البلديات على صعيد الأمن محدود يرتبط بإمكانياتها المادية والبشرية، ولكنه بالتأكيد ليس دوراً معدوماً».

الإفلات من العقاب تشجيع على الجريمة

«تأخر القضاء في إصدار الأحكام القضائية بحق الموقوفين والمطلوبين يشجع على الجريمة» يؤكد حطيط، مشيراً إلى أن «استمرار هذا السلوك القضائي قد يؤثر على ازدياد معدّلات الجريمة، فالأحكام القضائية السريعة من شأنها أن تكون رادعة عندما يُعلن عنها بشكل واضح».

ويحذّر من التدخلات بمختلف أشكالها سواءً من الجهات السياسية أو المرجعيات الدينية لأن «التدخل للإفلات من العقاب هو تشجيع على الجريمة، ومن يحمي مرتكبي الجرائم سيكون شريكاً في جرائمهم اللاحقة».

ويختم حطيط بالتأكيد على أن «العنصر الوحيد لمصلحة الأمن اليوم هو تماسك الأجهزة الأمنية. لكن، إلى متى ستبقى هذه الأجهزة متماسكة في ظل انعدام أدنى المقوّمات الأساسية لعملها كالبنزين والمازوت والطعام للعسكريين؟ الأمر الذي قد يؤدي إلى تآكل الوضع الأمني أكثر فأكثر مع الأيام».

> الفقر والعوز هما عاملان مسهلان جدا للانخراط في اعمال التشبيح والحمايات للسياسيين والاحزاب

(هيثم الموسوي)

(هيثم الموسوي)

(الضاحية الجنوبية ـ هيثم الموسوي)

شربل: لا تقصير والدولة في الضاحية

«لا يمكن فصل الوضع الأمني عن الواقع السياسي الحالي في لبنان، فالبلد لا يوجد فيه رئيس جمهورية، ويقتصر عمل الحكومة على تصريف الأعمال. الوضع الاقتصادي صعب جداً، والمواطن محروم من أدنى حقوقه من طبابة واستشفاء وحتى من التعليم والعمل. لا يمكن النظر إلى ما يجري من توترات أمنية وحوادث خارج هذا السياق المأزوم في البلد، يضاف إلى ذلك وضع مؤسسات الدولة وأجهزتها الأمنية»، يقول وزير الداخلية السابق مروان شربل، معتبراً أن «الوضع الأمني في لبنان لا يزال ممسوكاً، ورغم كل ما يحدث يعدّ أحسن من مقبول. صحيح أننا نسمع بحوادث وجرائم لكن سرعان ما تُلقي القوى الأمنية القبض على المجرمين، وليس آخرها جريمة خطف المواطن السعودي». ويتابع: «تتفاوت التوترات الأمنية بين منطقة وأخرى، والمشكلة تكمن في كثرة المسبّبات التي تدفع الناس إلى ارتكاب الجرائم. ليس تبريراً، ولكن هناك من يعاني من الفقر والجوع وتحديداً في القرى والضواحي، والدولة عاجزة عن تأمين الطعام حتى للعسكريين».

يرفض شربل اتهام القوى الأمنية بالتقصير، ويؤكد أنها «تستمر في عملها وتقاوم للبقاء رغم عديدها المحدود»، والمشكلة برأيه «سياسية انسحبت على الأمن. يجب إيلاء المناطق النائية والضواحي اهتماماً أكبر من أجل تحقيق الإنماء المتوازن فيها وتوفير فرص عمل، وعلى الدولة تأمين احتياجات القوى الأمنية لتسهيل مهامها الأمنية».

وحول وجود مناطق يُمنع على الدولة دخولها، يسترجع شربل تجربته في وزارة الداخلية مؤكداً أنه «لا يوجد مكان ممنوع أن تقترب إليه القوى الأمنية»، مشدداً على «ضرورة أن يكون هناك حرص من قِبل الأحزاب والجهات السياسية على ملاحقة المطلوبين، لأن تغطية المجرمين ستردّد سلباً عليها وستؤثر على استقرارها وأمنها».

تحت القوس

الضاحية تستحق أكثر

عمر نشابة

سكّان الضاحية الجنوبية لبيروت الذين استهدفهم العدو الإسرائيلي بشكل مركّز في عدوانه على لبنان عام 2006، يستحقون أن يعيشوا بأمن وسلامة في بيوتهم وأحيائهم التي أُعيد بناؤها. ولا يوجد تبرير أو حجة لعدم إيلاء هذا الشأن الأهمية الضرورية والجدية اللازمة.

فلا بد من فرض الأمن وضبط السلاح المتفلّت وتثبيت سلطة الدولة دون غيرها، خصوصاً في أحياء الليلكي والمريجة والكفاءات وحي السلم.

المسؤولية لا تقتصر على القوى الأمنية والعسكرية والبلديات، بل تشمل كذلك فعاليات المنطقة ووجهاءها والأحزاب والقوى التي تحظى بنفوذ واسع بين الأهالي. ولا يخفى على أحد أن المنطقة محسوبة على حركة أمل وحزب الله وبعض العشائر، لكن يبدو أن للعصابات ولمجموعات «الزعران» اليد الطولى، وقد أثبتوا ذلك من خلال تجوّلهم بالسلاح الظاهر في الأحياء وإطلاق العيارات النارية وحتى الصواريخ المحمولة على الكتف وترهيب الناس، من دون أن تتمكن القوى الأمنية والعسكرية بالتنسيق مع القوى النافذة من ضبطهم.

> اقتراح تعهّد وجهاء العشائر ومسؤولون من حركة أمل وحزب الله ليس بعدم حماية المخلّين بالأمن وحسب بل بمكافحتهم

قد يعتقد البعض أن الحل يكمن في الضرب بيد من حديد وتحويل المنطقة إلى ساحة حرب بين القوى الأمنية والجيش والمجموعات المتفلّتة والعصابات. لكن ذلك سيؤدي حتماً إلى تعريض أرواح المواطنين وممتلكاتهم للخطر. فالمنطقة تعاني من كثافة سكانية واكتظاظ، وأي اشتباكات قد تؤدي إلى سقوط ضحايا أبرياء، ولا ضمانات أصلاً بنجاح العمل الأمني في مكافحة «زعران» الضواحي. ويمكن ترجيح العجز بعد فشل الجهود الأمنية الضخمة التي بذلتها الشرطة في فرنسا أو في البرازيل لمواجهة التفلّت الأمني في ضواحي باريس (سانت ديني مثلاً) وضواحي ريو دي جانيرو (فافيلاز).

لا شك أن الحل الجذري على المدى الطويل يكمن في إصلاح النظام التربوي وجعل التعليم إلزامياً وإيلاء تعليم التربية المدنية الصحيحة الأهمية الكافية، وتأمين الحق بالعمل والرعاية الصحية والاجتماعية للجميع، وتفعيل التنظيم المدني والتخطيط الإنمائي.

أما على المدى القصير والفوري، فيمكن أن يكون الحل بجمع وجهاء العشائر وكبار المسؤولين في حركة أمل وحزب الله ووضع خطة لضبط كل أشكال الإخلال بالأمن وإخضاع الجميع لسلطة القانون، من خلال الإعلان عن تعهّد يوقّع عليه وجهاء العشائر ومسؤولون من الحركة والحزب، ليس بعدم حماية المخلّين بالأمن وحسب، بل بمكافحتهم بكل الوسائل وتسليمهم للضابطة العدلية ونبذهم وطردهم من الضاحية الجنوبية بالقوة إذا لزم الأمر. فالضاحية ليست ولا يجوز أن تكون منطقة خارجة عن القانون يتلاعب بعض «الزعران» والعصابات بأمنها ويعرّضون سلامة وحياة وممتلكات المواطنين للخطر.

في العمق

حين يُمسي التفلّت الأمني هو الغالب والسائد في دولة اللا قانون واللا مساواة، تصبح المناطق الأكثر ابتعاداً عن الدولة هي الأصعب عيشاً، واضيف أملاً. حينذاك، يبقى خيار الأكثرية الوحيد، التي لا تائتلف مع منطق القوة، الرحيل عن الموطن ومسقط الراس الذي تتحكم بمصيره القلّة التي تخالف القانون، وتطلق النار، وتسرف وتتسلّط على مصالح المواطنين. هذا هو حال اللبنانيين مع بعض المخالفين في ضواحي المدن، سواء في ضاحيتي بيروت الجنوبية والشمالية او في المناطق المتاخمة لطرابلس او البقاع، حيث لا يقبل اي منطف سديد باستمرار الشغور السلطوي لسطوة الدولة، ويرتكب المخالفون العنف على الاشخاص وممتلكاتهم

حين تغيب الدولة ويسود منطق الضواحي الراسبة

صادق علوية

حين حُدّدت التنظيمات الإدارية لدولة لبنان الكبير بموجب قرار المفوّض السامي رقم 336 تاريخ 1920/09/01، تقسّمت الدولة إلى أربع متصرفيات وبلديتين مستقلتين هما بيروت وطرابلس وضواحيهما وجُعِلتا مدينتين ممتازتين.

لذلك أعلن المفوض الفرنسي في عام 1941 قراره رقم 79 بشأن منح مدينة بيروت الممتازة امتيازاً إدارياً. كان الهدف أن تمارس لجنة المدينة الممتازة الاختصاصات المنوطة بالمجلس الإداري في مناطق الدولة اللبنانية الأخرى. إذ تخضع هذه المدينة الممتازة إدارياً إلى نظام إداري خاص، ولكن أهملت ضواحي هاتين المدينتين وأصبحت «منسية».

تعداد ضواحي بيروت

لم تأت التنظيمات الإدارية على ذكر الضواحي في بيروت، إلا عندما قررت منح امتياز للطاقة الكهربائية، فكان لا بد من تعداد القرى حفظاً لحقوق صاحب الامتياز. وذُكر ما يسمّى «ضواحي بيروت» في المادة الأولى من دفتر الشروط المختص بامتياز توليد القوة الكهربائية للتنوير وللقوة المحركة في مدينة بيروت الصادر عام 1931 (المرسوم رقم 7900). وشملت ضواحي بيروت وفق المرسوم القرى والمحلات الآتية: برج البراجنة والتحويطة وحارة حريك والشياح وبئر حسن والأوزاعي وفرن الشباك والحازمية وجسر الباشا والزعاتر وسن الفيل وبرج حمود والبوشرية.

> حين ينحسر العدل ويتلاشى الحكم وتضعف الاخلاق تصبح البلاد تحت حكم شريعة الظلم لا شريعة الغاب فحسب

إهمال الضواحي مقابل غضّ البصر

كانت الحكومات تنتهج، منذ العشرينيات، نهج الإهمال الإنمائي تجاه الضواحي، وتسمح بالمقابل لقاطني هذه الضواحي بمخالفة القوانين عبر غضّ البصر عنهم، وكانت المعادلة قائمة على المبدأ التالي: «مظاهر الدولة غير الحاضرة إنمائياً، تغيب أمنياً أيضاً». فتسمح لهم بالبناء عشوائياً، مثلاً، على قاعدة أن المناطق المحيطة لن تتضرّر بمخالفاتهم. وكان القاعدة الرعناء تنطلق من أن الصرف الصحي يُحوّل إلى البحر، والبحر يتّسع للجميع! تميّزت ضواحي المدن في لبنان، سابقاً، بأنها أحزمة بؤس. ولكن الواقع لم يعد كذلك، فبات البلد اليوم كلها بائسة، وأصبحت الضواحي مدناً قائمة بذاتها.

حين تطورت الضواحي وجرى إنماء الخدمات العامة فيها، بدأ قاطنوها يشعرون ببعض مظاهر الدولة الغائبة سابقاً، إلى أن شكّل الإنماء عدداً من الأحياء الراقية وأصبحت الضواحي تضمّ قسمين: الأول شبيه بالمدن، والثاني يتمثّل بالأحياء الشعبية التي تتميّز بغياب الدولة المطلق. بعد صدور قانون «تجريم إطلاق عيارات نارية في الهواء»، رقم 71 تاريخ 2016/10/27، استبشر قاطنو هذه المناطق خيراً، ولكنه لم يزهر رغم مرور سبع سنوات. ويعود ذلك إلى اعتقاد المشترعين أن إصلاح الحال يكون بوضع القوانين، في حين أن تطبيق قانون الأسلحة والذخائر وقانون العقوبات أو قانون الدفاع كان يمكن أن يصلح الحال.

قد لا تُلام أجهزة الدولة المركزية في الدول على غيابها عن أطرافها النائية حين تمتد على مساحات تصل إلى ملايين الكيلومترات، ولكن في لبنان تغيب الدولة عن الـ10452 كيلومتراً مربعاً وتحضر فقط أمنياً حيث تشاء.

رغم أن الأمن ليس المظهر الوحيد للدولة، إلا أنه أحد أهم مظاهرها، لا بل هو الضمانة لطمأنينة الأسر، والضمانة للاستثمار حتى اقتصادياً.

في خلاصة القول، يقتضي التأكيد أنه حين ينحسر العدل ويتلاشى سلطان الحكم وتضعف سطوة الأخلاق تصبح البلاد تحت حكم شريعة الظلم، لا شريعة الغاب فحسب.

(الضاحية الجنوبية. ارشيف ـ مروان طحطح)

نقاش

تربية مدنيّة مع وقف التنفيذ

«ثمة اكتشافان إنسانيان يحقّ لنا اعتبارهما من اصعب الاكتشافات، هما: فن حكم الناس وفن تربيتهم». يُصيب إيمانويل كانط في مقولته هذه الركيزتين الاساسيتين في بناء المجتمعات. فإلى جانب الاهل، من واجبات المؤسسات التربوية التعليمية تاهيل الفرد لاكتساب المهارات التي تمكّنه من عيش الحياة بكرامة، وان تنتهج منهجاً علمياً لعلاج حالات الانحراف والنزعات الإجرامية التي قد تظهر بين الطلاب. كما يقع على عاتق اساتذة مادة التربية المدنية العبء الاكبر في تثبيت ركائز هذين الفنين، لانّ من المفترض ان تُقدّم هذه المادة للناشئة واليافعين الف باء القانون والتربية المواطنية والتنشئة المدنية لنشر الوعي الامني والقانوني بغية فهم واضح لروح القانون وضرورة احترامه

(هيثم الموسوي)

فداء عبد الفتاح

ترافق مادة التربية الوطنية والتنشئة المدنية الطلاب منذ سنوات تعلمهم الأولى، فهي المادة التي تهدف إلى توعية الفرد على حقوقه وواجباته الإنسانية وإلى معرفة الذات وكيفية تعامله مع الآخرين، وإلى تأهيله ليتمكّن من فهم قضاياه ويصبح إنساناً مسؤولاً له دور فاعل في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

هذه العناوين وغيرها مما تحتويه أهداف تعليم مادة التربية هي الأهم منذ النشأة وحتى الكهولة، وهي المادة التي يفترض أن ترافق نموّنا البيولوجي والنفسي والعقلي والفكري خلال سنوات التحصيل العلمي وخلال حياتنا اليومية كدليل حياة يتطوّر ويكبر وفقاً لمراحل حياتنا.

لماذا يعاني معظم الطلاب من تقبّل مادة التربية المدنية؟

تحتوي مادة التربية في جميع مراحل التعليم (من الأساسي إلى الثانوي)، على كمّ هائل من المعلومات القانونية والتي تُقدّم إلى الطالب بأسلوب تلقيني يجهد الأساتذة لإيصال المحتوى إلى الطلاب بشكله النظري نتيجة بُعد الواقع عن معظم ما يرد في فصول هذه المادة. وإن أجرينا إحصاءً سريعاً ضمن محيطنا الشخصي وسألنا أطفالنا حول مقرر التربية المدنية فسيكون جواب 90% منهم أنه ممِلّ وغير محبوب، وفي أغلب الأحيان يكون أستاذ المادة هو السبب.

تستند معلومات المادة إلى القوانين لفهمها، والقوانين عامة هي نصوص جامدة جافة تتضمّن مصطلحات معقّدة قد لا يستسيغها الطالب في مراحل التدريس كافة، ويقدّمها العدد الأكبر من الأساتذة، غير المدرّبين بغالبيتهم على تدريسها، بأسلوب تلقيني يعتمد الحفظ البيّغائي في معظم الأحيان بحجة تأمين العلامة المطلوبة للنجاح، ما يزيد من تعقيدات هذه المادة «العبء» على الطالب والأهل.

حاول العديد من التربويين والمعنيين تطوير المناهج ووضع الإصبع على إشكاليات محتوى هذه المادة، بدءاً من مناهجها وأساليب تعليمها وصولاً إلى الغاية التي وُضعت من أجلها، محاولين معرفة كيفية تحويلها من مادة ثانوية مطلوب حفظها، لتعديل ميزان درجات النجاح في نهاية العام الدراسي، إلى مادة مركزية مشوّقة ممتعة مرتبطة بالحياة اليومية للفرد، يساهم تقييمها في تعديل ميزان الحياة، وتصبح المدخل الفعلي لتشكيل المواطن ومفهوم المواطنة. تجدر الإشارة إلى أن تعديل وتطوير محتوى المادة، وفقاً لرأي العديد من التربويين، لا يكفي لتحقيق الأهداف المطلوبة منها، لأن مدرس المادة سيشرحها ويُفسّر ما يرد فيها من مفاهيم وفقاً لنظرته ولخلفيته الفكرية. فهل نحن متفقون على تعريف مفهوم الحرية مثلاً، أو متفقون على تعريف المواطن، ومعنى الانتماء، وحق الشعوب في المقاومة، ومن هو العدوّ ومن هو الصديق.

عناوين عدة تطرحها هذه المادة، قد تفجّر أي نقاش مع أصحاب الاختصاص والأكاديميين، فكيف سنُناقش مع طلاب من خلفيات مختلفة مع مدرّس قد لا يمتلك خلفية ثقافية في الشأن السياسي أو ثقافة قانونية وسياسية بحدها الأدنى ليتمكن من خوض هكذا نقاشات.

وخاصة مع طلاب المرحلة الثانوية. لا يمكن إغفال أهمية إعداد المعلّمين، وأن يكون لديهم مفهوم شامل لخصائص الطلاب وللفروقات الفردية، كذلك لـ«جنوح الأحداث» والانحراف الذي ينطوي على مخالفات عدة قد تشمل القيم الأخلاقية والوطنية. وعليه، فإن التربية هي فنّ صُنع الإنسان، وإن كل مادة تعليمية معنية بالتربية المدنية ويتحقّق أهدافها، فمدرّس مادة الرياضيات، مثلاً، عليه أن يؤهل طلابه تربوياً ليتمكنوا من امتلاك مهارة التفكير المنطقي في حياتهم الذي يقيهم الانخراط في سلوكيات متهورة. وهذا المثال يبيّن مدى أهمية أن يكون المعلم متثقفاً وأن يتخطى دوره مهمة تعليم المادة وفقاً لمحتواها الأكاديمي حصراً، فكيف الحال إذاً مع مدرّس مادة التربية المدنية المسؤول عن تعليم مقرر يتضمن أسس بناء الإنسان الذي معه تُبنى الحضارات.

محتوى مادة التربية المدنية

يركّز محتوى مادة التربية خلال المرحلة الابتدائية على السلوكيات والأدبيات العامة والتي يجب أن تُقدّم للطالب بعيداً عن الأساليب التلقينية. لأنه من المفترض أن الطالب يرى هذه السلوكيات ويعيشها ضمن بيئته الصغيرة بين البيت والمدرسة. فالطفل يتعلّم من خلال القدوة، وهو يقلّد ما يراه أكثر مما يسمعه ويحفظه.

في هذه المرحلة، يشكّل دور الأسرة مع دور المدرسة تكاملاً عضوياً في العملية التربوية لا يمكن فك الارتباط بينهما للوصول إلى تحقّق الأهداف التربوية، ومكافحة الانحراف وجرائم العنف والتعصّب والتطرّف لدى الطلاب. فالعائلة لا تطلب من الطفل حفظ السلوكيات وتحليل خلفيتها، بل تطبيقها وممارستها، بهدف اكتسابها مسلكياً، على قاعدة أن جزءاً كبيراً من سلوكيات الإنسان مكتسبة بالتعوّد. ولذلك، نرى أن المؤسسة الدينية والأسر المتديّنة تحثّ أطفالها على أداء الطقوس الدينية والالتزام بها من عمر مبكر بهدف تدريبهم عليها، كالصلاة والصوم وغير ذلك، لأن الطفل في مراحل عمرية مبكرة لا يمكنه الغوص بماهية الأفكار المجردة والمعقدة إلا بما يتوافق مع نموّه المعرفي.

من هنا، يفترض أن يكون الهدف من التربية المواطنيّة والتنشئة المدنية صناعة جيل ملتزم بالقيم الإنسانية والأخلاقية والوطنية، الأمر الذي لا يتعارض مع انتماءاته الثانوية الدينية والثقافية، ولكنه يعني أن يكون الولاء للوطن وللحضارة الإنسانية هو الدافع والمحرك للطالب وليس ولاءاته الجزئية الضيّقة، كي نصل إلى جيل يربي أولاده لاحقاً على نفس القيم والمبادئ التي تضمن بناء وطن أكثر عدالة وإنسانية.

لا داعي لسرد محتوى المادة بمحاورها العصيّة على الفهم من حيث اختيار العناوين وطريقة توزيعها وفقاً للفئات العمرية، فما هي الأسس التي اعتُمدت لوضع درس عن الأمم المتحدة وطرق انتخابها وتشكّلها في الصف التاسع، أي لطلاب بعمر 13 عاماً؟ وما هي الأسس التي اعتمدها واضعو المنهج لحشو كتاب الأول ثانوي بمحاور تتضمّن عناوين لقضايا مهمة يُفترض أن تُوزّع على المراحل الثانوية الثلاث، ومن هذه العناوين: حقوق المواطن وواجباته ومسؤولياته السياسية، حماية حقوق الإنسان على الصعيدين الدولي والإقليمي، تنظيم الأسرة، النزاعات بين الأفراد وفي المجتمع، الملكيات والمرافق العامة، المشكلات الأساسية في العالم: فقر وجوع، سيدا ومخدرات، تلوث البيئة، التعصّب، العنف والحروب، التنازع على الطاقة والمياه..

فهل يلامس أساتذة المادة أن يقدّموا في سنة دراسية واحدة كل هذه العناوين وتحقيق كامل الكفايات المطلوبة في كل محور؟

المهمة المستحيلة

أمام أساتذة مادة التربية الوطنية والتنشئة المدنية مهمة تعجيزية في تدريس المحتوى، كونها مادة منفصلة عن الواقع وعصيّة على الفهم حتى لبعض الأساتذة الذين هم أبناء هذا الكيان. على سبيل المثال، في المحور الثالث من كتاب الصف التاسع، عنوان يتحدث عن «علاقة

> إن أي مادة تعليمية لا تحقق الأهداف المرجوّة منها لا قيمة لها، ولا بد من أن يواكب محتوى المادة تغيّر المجتمع وتبدّله

المواطن بالإدارة العامة»، بشكّل هذا العنوان عقوبة للمدرّس وللطالب، في هذا العمر تحديداً، إذ لا يحتك بأي إدارة ولا يستطيع فهم أي مسار من مساراتها مهما كان بسيطاً. فكيف يُطلب من طالب بعمر 13 عاماً أن يعرف كيف تُنجز أي معاملة وماهية الإنفاق العام وكيف يُراقب؟ وكيف بإمكان أستاذ المادة أن يقرّب هذا الدرس إلى فكر الطالب؟

يطرح المحور السادس من الكتاب نفسه موضوع الهوية العربية والمواطنة، كيف سيشرح أساتذة المادة هذا المحور، في الوقت الراهن، لهذه الفئة العمرية بالذات التي باتت بعيدة كل البعد عن هويتها العربية. إن لم يمتلك المدرّس حداً أدنى من المعرفة السياسية والقانونية ليتمكن من شرح الدرس من دون متاريس، فلن يتمكن من تحقيق أي نتائج، فهل تُلغى محاور الواقع محاور كتاب التربية، أم على كتاب التربية أن يلغي محاور الواقع؟ أم أن الحل بالحفظ البيّغائي و«يا دار ما دخلك شرّ»؟

أليس الحديث عن تقبّل الآخر وقبول الاختلاف ونبذ ورفض العنصرية، والتمسّك بالعادات والقيم الاجتماعية والحفاظ على العائلة، هي عناوين قد تؤسس لمواطن فعلي حقيقي يعرف ماهية هويته على أرض الواقع والممارسة عوضاً عن تلقينه عناوين لا وجود لها؟

تقييم المادة

إذا أردنا تقييم مادة التربية المدنية في مدارسنا لمعرفة مدى تحقّق الأهداف المرجوّة منها، نجد أن هذه المادة كانت من ضمن المواد التي استُغني عنها خلال فترة جائحة كورونا والتعليم عن بُعد في معظم المدارس وأوّلها المدرسة الرسمية الوطنية. كما وُضعت ضمن المواد الاختيارية في الشهادة الرسمية باعتبار أنها مادة غير أساسية بإمكان الطالب الاختيار بينها وبين مادة التاريخ التي بات محتواها هي الأخرى خارج التاريخ والجغرافيا والمنطق في نظام يختلف أركان السلطة فيه على كتابة تاريخنا الحديث.

إذاً، هل نحن متفقون على القواعد العامة التي تتشكل منها مادة التربية المدنية؟ وأي تنشئة نريد لهذه الأجيال، في ظل الانقسام اللبناني - اللبناني على أساسيات بناء المجتمع الذي يقف عائقاً أمام إحراز أي تقدّم في أي مجال، فكيف الحال في القضية التربوية؟

القوانين ليست نصوصاً أدبية تُطبّق عبر التلقين، ومنهاج مادة التربية المدنية الحالي بعيد عن الواقع ومنفصل عن احتياجات ومتطلبات المجتمع، وهذا ما يجعل هدف المادة معاكساً للمطلوب منها، فيصبح الطلاب أكثر نقمة على مفهوم الدولة ومؤسساتها وتترسّخ في أذهانهم قاعدة أن المنظومة التي نعيش فيها ليست جديرة بالولاء ولا بالالتزام بقوانينها، وعليه يلجأ الطالب إلى استيفاء الحق بالذات وإلى الحماية من أي جهة عدا مؤسسات الدولة.

في العمق

بداية المعالجة بإصلاح النظام التربوي
المدرسة أولى من المحكمة

لو كان النظام التربوي سليماً في لبنان، هل كنا بحاجة إلى الحديث عن فلتان الضواحي وازدياد معدلات الجريمة؟ هل كنا سنشهد هذا الاكتظاظ في السجون والنسبة العالية من الاحداث المتسربين من المدارس القابعين في مراكز التوقيف؟ «إذا كانت أزمة التربية هي أزمة الحضارة بكاملها، فإن التربية نفسها مسؤولة كل المسؤولية عن تلك الأزمة، وان من شأن الحل ان يتأتّى منها إلى حدّ كبير». هكذا عبّر الفيلسوف الفرنسي اوليفييه ريبول (1925 - 1992) عن الدور الاساس للتربية في حل الأزمات الامنية والاخلاقية التي تشهدها المجتمعات. ويشهدها لبنان اليوم اكثر من اي وقت مضى. فالى متى هذا الإهمال للمؤسسات التربوية والكوادر التعليمية؟

تقوم نظم التعليم والاسس الوطنية لاي بلد على العناصر الاكثر اهمية، وهي الطلاب. إذ تلتزم المدرسة، باعتبارها اول واهم مؤسسة تعليمية في كل دولة، بتزويدهم بالاستعدادات اللازمة والمفيدة، من خلال رفع مستوى المعرفة والوعي لديهم، لحمايتهم من السلوكيات المحفوفة بالمخاطر، وضمان عدم انخراطهم في البيئات غير الصحية، وذلك لاستدامة الامن وتطوّر البلاد. إذا لم تتخذ الدولة، اليوم، التدابير اللازمة لمنع ومكافحة وتقليل الاضرار الاجتماعية الناجمة عن خلل في الادارة التربوية والعدالة الاجتماعية والمنسحبة على جميع الإدارات العامة، فسنخسر بلا ادنى شك راس المال البشري والاجتماعي والاخلاقي، المرتكز على الطلاب والاجيال الجديدة

بشرى زهوة

العدالة الاجتماعية في التعليم والتربية يُفترض ان تؤخذ في الاعتبار في مرحلة الطفولة المبكرة، كرؤية وفلسفة يمكن أن تقود المقاربات التربوية. ومن الأمور المركزية في ذلك، التركيز على إنشاء مساحات أكثر إنصافاً وأخلاقاً حيث يمكن لجميع الأطفال المشاركة والتواصل بعضهم ببعض ومع مجتمعاتهم بطرق مدروسة رحيمة وعادلة.

تكمن أهمية العدالة الاجتماعية بانها أسس بعيدة المدى، وذات صلة بالسياقات التعليمية وما يليها، وهي جزء كبير من الحياة التي نعيشها جميعاً. وإنشاء رؤية للعدالة الاجتماعية والحفاظ عليها وتطبيقها يمكن أن يخدم المعلّمين في فهم جميع فروقات الأطفال ورغباتهم ودعمهم وإنشاء خطط لهم للتعلّم والازدهار. تكريس مفهوم العدالة مهم بشكل خاص للمعلّمين الذين قد يتعاملون مع قضايا الانصاف أو الظلم في مرحلة الطفولة المبكرة، والتي قد تشمل أسئلة الأطفال وفضولهم للمعرفة والاستكشاف، أو للعمل مع أفراد الأسرة لمتابعة الطالب، أو التعامل مع القضايا الناشئة في المركز أو المدرسة أو المجتمع الأوسع.

لا تستطيع المدارس وحدها تغيير العوامل الهيكلية التي تؤدي إلى سوء توزيع الثروة ولا يمكنها القضاء على العنصرية والتمييز على أساس الجنس وأشكال أخرى من الإقصاء الاجتماعي والقمع الثقافي. ومع ذلك، ووفقاً لبيتر ماكينيرني في بحثه «إعادة اكتشاف خطابات العدالة الاجتماعية: تحويل الأمل إلى واقع عملي» (2012)، «يمكن للمدرّسين جنباً إلى جنب مع اولياء الأمور ونقابات المعلّمين والجمعيات المجتمعية أن يلعبوا دوراً نشطاً في الطعن في سياسات وممارسات التعليم غير العادلة، والدعوة إلى نظام تمويل أكثر عدلاً للمدارس المحرومة، وتطوير مناهج أكثر عدلاً اجتماعياً وتعزيز الشعور بالتفاؤل والانتماء والثقة بين الطلاب».

> هادي (9 اعوام): بيحبّوا الشاطرين بس، وبس إرفع إيدي ما بيشوفوني، طب انا بقلهم يساعدوني بس ما بدهم

العدل والانصاف وفقا لمزاج المعلّم

في دراسة حملت عنوان: «استكشاف عمل العدالة الاجتماعية لمعلّمي الطفولة المبكرة» أجراها باحثون في نُظم التعليم في أستراليا عام 2016، هدفت إلى إبراز أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل لتعلّمه وتطوّره، وضرورة أن يكون معلّمو الطفولة المبكرة مهنيين ماهرين يتمتّعون بفهم عميق للعدالة الاجتماعية ويؤمنون بقدرة جميع الأطفال على النجاح رغم ظروف حياتهم أو ببيئاتهم أو قدراتهم المختلفة. واستندت الدراسة إلى دليل واضح، نتج عن دراسات سابقة، بأن السنوات الأولى من حياة الأطفال لها تأثير عميق على نموّهم ورفاههم وتعلمهم، والاستثمار الجيّد في هذه السنوات يُخلّف نتائج تدوم مدى الحياة.

«منعرف إنك شاطرة، بس كرمال الطلاب الباقيين مضطرين نضربك معهم»، ترنّ هذه الجملة في رأس سمر (30 عاماً) عندما يُذكر أمامها مفهوم «العدل والإنصاف». مرّ على الحادثة أكثر من عشرين عاماً ولكنها محفورة في ذاكرتها: «كنت عاقلة كتير والأولى عالصف وأوّل مرة بنسى أعمل تمارين لمادة التربية الوطنية، وقّفوني بالملعب حد المشاغبين والمهملين وبلّش الناظر ومعلمة التربية ضرب فينا بالمسطرة». وتضيف: «أي عدالة؟ نسفولي العدل والإنصاف من صغري، ما كان في عدل، لا بهيدي الحادثة ولا بغيرها بالسنين يلي بعدها، وعندي نقمة كبيرة على نظام التعليم». وتسأل سمر التي حفظت عناوين بعض الدروس في محاور كتاب التربية الوطنية والتنشئة المدنية للسنة الثالثة من التعليم الأساسي (من حقي الرعاية والحماية، والحياة المشتركة مع الرفاق، وأشارك الآخرين أفراحهم وأحزانهم): «الحماية بتكون بالضرب؟ ومشاركة رفاقي المهملين بالعقاب بميزان عدل مكسور؟ وهيك بتكمّل مواساتي لهم بالحزن؟» تنهي سمر بانه لا يزال الخوف من استمرار هذا الأسلوب الرجعي في التربية يرافقها وتحرص على ألّا ينسى ابنها فروضه المدرسية كي لا يتعرّض لأي نوع من العنف «حسب مزاج المعلمة، يا بتكون رايقة أو بتفش خلقها فيه، الناس جيّت بهالوضع وما عدنا نتوقع تصرفاتهم».

وفي دراسة أجرتها باحثة في جامعة أم القرى - السعودية عام 2016، تحت عنوان: «درجة تطبيق المدرسة لقيمة العدل كما يراها طلاب المرحلة الثانوية بمكة المكرمة»، هدفت إلى توضيح مكانة قيمة العدل في التربية والكشف عن درجة تطبيقه. أشارت الباحثة، وفق تحليلها، إلى أنه على رغم أن الإجابة عن محور تطبيق المدير لقيمة العدل مع الطلاب قد تركزت في الدرجة المتوسطة، إلا أن هذا الأمر لا يعني أن الإدارة المدرسية تجتهد فعلاً في تطبيق قيمة العدل وتحرص عليه. فقد أتت النتيجة بالنسبة إلى محور تطبيق المعلّم بأن هناك نسبة من عدم حرص بعض المعلّمين على العدل بتطبيق مبدأ الثواب والعقاب بين الطلاب. كما أن بعضهم لا يعطي جميع الطلاب فرصاً متساوية للمشاركة في حرية التعبير عن آرائهم عند طرح أي قضية للمناقشة. وخلصت الدراسة إلى أن تقويم بعض المعلّمين للطلاب من حيث وضع الأسئلة ومراعاتهم لفروقات الطلاب الفردية عند وضعها وتصحيح الإجابات تفتقر إلى الموضوعية، وهذا ما يُحدث خللاً في تحقيق العدل بين الطلاب. وتعزو الباحثة ذلك إلى أن بعض المعلمين لا يزالون يستخدمون الطرق التقليدية للتقويم المرتكزة على قياس مهارات الحفظ والتذكر من دون الاهتمام بمهارات التحليل والنقد والإبداع، مما يُشعر الطلاب بالظلم.

«إنتو كلكم فُقرا، وإلا ليش أهلكم حطوكم بمدرسة رسمية»، تروي رلى (21 عاماً) ما قالته لها مدرّسة مادة التربية قبل سبعة أعوام، الأمر الذي خلق لديها «عقدة نقص، مع إنو ما كنا فقرا، بس ضليت حاسة فيها لحد ما سجّلني بيّي باخر سنتين ثانوي بمدرسة خاصة». تشرح رلى كيف أصبحت هذه الكلمات من مدرّسة «التربية» عبئاً عليها، جعلها غير متقبّلة للواقع الذي تعيشه «كنت ضل إبكي وقول ما في عدل، وطلع عنجد ما في عدل، لا بالمدرسة ولا بالجامعة».

أمّا بالنسبة لهادي (9 أعوام)، فإن جميع المعلّمين غير عادلين «بيحبّوا الشاطرين بس، وبس إرفع إيدي ما بيشوفوني، طب أنا بقلهم يساعدوني بس ما بدهم». بالنسبة إلى هادي فإن المدرسة باتت مكاناً غير مُفرح، وهو لا يزال في بداية مشواره الدراسي، فعلى من تقع المسؤولية؟

دور المناهج التربوية

«تنبع أهمية المناهج من أهمية وحجم الآثار المترتّبة أو الناتجة عن وجودها، حيث يتجلّى ذلك وينعكس على المؤسسات التعليميّة بكل عناصرها (المعلّم، والطلاب، والمنهج، والبيئية التعليمية..) بشكل مباشر، وعلى المجتمع بكل مكوّناته (الأفراد، والمؤسسات، والأسر الاجتماعية، والدولة..)»، كما يشير مدير تطوير المناهج في مركز الأبحاث والدراسات التربويّة الأستاذ الجامعي عباس كنعان، في أطروحته حول «التربية الأخلاقية وبناء المنهج التعليمي في لبنان» (2016). ويضيف أن المنهج «يمكن أن يُتصوّر على مستوى السلوك الأخلاقي، والوعي العام، والتقدّم الحاصل في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية». كما يلفت إلى أن المناهج التربوية عامةً، والأخلاقية خاصةً، تكشف «عن الفلسفة القيميّة التي يحملها المجتمع التي صاغها (..) وما يختزنه ذلك المجتمع الأخلاقي من ثروات ثقافية، وفكرية، وتربوية واجتماعية، تُعبّر عن العمق الأخلاقي لأي مجتمع من المجتمعات البشرية، ومدى اهتمامها بالحصانة الأخلاقية لأفرادها، بكل مكوّناته البشرية، ومستوياته العمرية».

وحول أهمية تعديل المناهج التربوية وتطويرها وفق النظم الأخلاقية لقدرتها على مواكبة الضغوط الخارجية والداخلية للفرد، يؤكد كنعان أن «وجود المنهج التعليمي المُشبع بالقيم الأخلاقية» يُمكّن الإدارات التربوية من متابعة المتغيّرات السلوكية الأخلاقية لدى المتعلّمين ومواكبتها. وبالتالي «يُصبح المنهج عاملاً ناظماً للقيَم الأخلاقية والسلوكية في المجتمعات البشرية، ومقوّماً لها». وهذا بدوره سينعكس إيجاباً على الحياة الفردية والمجتمعية، «كون المنهج له علاقة وثيقة بالحياة».

وتجدر الإشارة إلى أن المتابعة تُعدّ إجراءً مهماً عندما يتعلق الأمر بتحديد الطلاب المتعثّرين المعرضين لخطر التسرّب أو الجنوح.

وفي مقابلة مع «القوس» يشير كنعان إلى أن العدالة في المناهج هي «قيمة إنسانية أخلاقية جوهرية تتحكم إليها باقي القيَم الأخلاقية، وفي حال أردنا إنشاء تراتبية أو منظومة للقيَم، ستكون العدالة على رأسها».

من جهة أخرى، يؤكد أن «العدالة هي طرح أخلاقي ثابت وموجود في الديانات السماوية كلّها على المستوى اللبناني كمكوّنات اجتماعية تلتزم بدياناتها، فتشترك العدالة في الطروحات القيميّة الدينيّة للمجتمع اللبناني على المستوى المكوّن أو الانتماء الديني». مبيّناً أن الدستور اللبناني والمنهج التعليمي (على مستوى الغايات) قد صرّحا عن هذا الطرح، لكن «إشكالية المنهج التعليمي تكمن في التطبيقات التي لها علاقة بالحلقات التعليمية، إذ إنّ هذه القيمة لم تظهر بالشكل الكافي في المنهج التعليمي ممّا أوجد التباسات مفهومية أو سلوكية عند المتعلّمين».

بالعودة إلى الأمر الواقع، يُطرح سؤال بديهي: هل التربية الأخلاقية ممكنة؟

يأتي جواب ريبول واضحاً ومختصراً بأن التربية الأخلاقية ليست إلا فرعاً من فروع التربية (أي التنشئة والتنمية والتحسين) التي تتحمّل مسؤوليته الأسرة أولاً والمدرسة ثانياً، ثم تكاملهما معاً. ويقول: «حسبنا أن نُفكّر لكي ندرك أن التربية الأخلاقية ليست في الأساس غير التربية نفسها» (فلسفة التربية، ص. 126).

تلازم العلم والسلوك الاخلاقي

«الحياة التي لا تكون قائمة على المحاسبة والمساءلة في المبادئ والقيَم والأخلاق ليست جديرة بأن تحيا»، تستشهد الاختصاصية في الأخلاقيات الأحيائية والمديرة المؤسسة لبرنامج سليم الحص للأخلاقيات الأحيائية والاحتراف في الجامعة الأميركية، تاليا عراوي، بفكرة سقراط التي عدّتها أساس كل ما يتعلّق بالفلسفة والأخلاق. في ورقة بحث نُشرت في الكتاب السنوي الثالث للهيئة اللبنانية للعلوم التربوية عام 2001، تحت محور «تجارب»، تشرح عراوي تفاصيل تجربتها في تدريس الفلسفة الأخلاقية في مدرسة «الانترناشيونال كولدج». تعرض الورقة لمحة موجزة عن أهمية دور الفلسفة الأخلاقية في التربية وكيفية تطبيقها على أرض الواقع. وحول تجربتها تقول عراوي: «تمحورت الفكرة الأساسية في هذه التجربة حول آلية استخراج القيَم من المناهج، فكان الهاجس الذي يشغلني هو تحديد نقاط معيّنة أستطيع بها الوصل بين البرنامج المقرّر والقيَم التي أردت استنباطها. وكان تركيزي بشكل خاص على القيَم الأساسية كالصدق والأمانة واحترام الآخر والمساهمة والعمل على تقليص التصرفات غير المسؤولة».

من أسس التربية الرائدة: الحوار البنّاء والجدل الموزون والانفتاح الفكري، كما تشير عراوي، وتضيف أن «للتربية قوة خاصة ومميّزة ترفض بها أسلوب التلقين البَغائي الآلي، وتنشد أسلوباً تثقيفياً شقّاقاً ومرناً مع تكريس جذري للقيَم الأخلاقية بكل ما فيها من تفهّم وقبول للآخر، إذ يصبح التطوّر جوهراً يتدرّج بانتقال متقن من الحيّز الفكري إلى الحيّز العملي، إذ إن الرؤية السليمة تقود إلى ممارسات سليمة». (راجع «القوس»، 27 آب 2022، «مشكلة عدم تقبّل الآخر»)

وطريقة التعليم المثلى بنظر عراوي هي التي «من خلالها تحصل التغيّرات في الأحاسيس أو في الأخلاق أو في التفكير». وتلفت إلى أن «التعليم يساعد على تغيير بعض المشاعر تجاه مسألة ما، كما يساعد على تكوين الشخصية الأخلاقية (Moral Character)».

وأشارت إلى أنه يفترض أن يتخلل كل مقرّر أو برنامج «إشباع للطالب بأفكار العدل والتسامح ومبادئ احترام حقوق الغير واللا عنف وغيرها من الموضوعات الأخلاقية بغية تهذيب شخصيته. فهذه الأمور تبقى راسخة على مرّ الزمن ويكون لها الأثر الأكبر في تصرفاته إذا ينخرط في معترك الحياة مواطناً فعّالاً».

> السنوات الاولى من حياة الاطفال لها تاثير عميق على نموّهم ورفاههم وتعلمهم والاستثمار الجيّد في هذه السنوات يُخلّف نتائج تدوم مدى الحياة

ماذا عن القوانين غير العادلة؟

«تجربتي في تدريس المفاهيم السياسية والقضايا المتعلقة بالدولة أثبتت عمق تفكير الطالب عندما يكون موجّهاً بالاتجاه الصحيح»، تجد عراوي نفسها غير مقتنعة بنظرية الفيلسوف اليوناني أرسطو التي طرحها في بداية كتابه «الأخلاق» حيث قال «إن المواضيع المتعلقة بالأخلاق والسياسة يجب ألّا تُدرّس للطالب الشاب، إذ تنقصه التجربة والاتّزان العاطفي والجدية العميقة». لكن تجربة عراوي خلال ثلاث سنوات كانت إثباتاً واضحاً أن اعتقاد أرسطو ليس في محلّه. فتذكر على سبيل المثال: «مسألة الدولة وواجب احترام قرارات الدولة من أهم المواضيع التي طُرحت ولا زالت تطرح في فلسفة السياسة (Political Philosophy)، فهل يجب الانصياع للقانون حتى لو كان ضد قناعات الشخص مثلما حصل مع سقراط؟ أم هل يجب أن يتّبع الإنسان ما يمليه عليه ضميره حتى لو كان مغايراً لقانون الدولة كما في فكر الفيلسوف الأميركي ثورو (Henry David Thoreau)»؟ يُذكر أن فلسفة ثورو ونظريته حول المقاومة اللا عنفية تجاه القوانين غير العادلة كانت مصدر إلهام لحركة غاندي وكفاح مارتن لوثر كنغ الابن.

تجربة شخصية

15 دقيقة تُحدث فرقاً كبيراً

قد تكون خبرتي في التعليم لا تتعدى السنتين، لكنني حرصت خلال تدريسي لمادة علوم الأحياء في مدرستَين مختلفتَين، على تخصيص وقت مدته 15 دقيقة في بداية كل حصة أتناول فيها حادثة معيّنة حصل فيها سلوك غير أخلاقي وأترك للطلاب، بمختلف أعمارهم ومراحلهم (من الرابع ابتدائي إلى الثاني ثانوي)، حرية التعبير عن نظرتهم تجاه هذا السلوك وكيفية تصويبه (على أن يكون السلوك موافقاً للنمو المعرفي والإدراكي لكل مرحلة عمرية). أجمع الكل -ولا أبالغ في قول «الكل»- على استنكار السلوكيات اللا أخلاقية، وهذا ما يؤكد أن الطلاب رغم خلفياتهم الثقافية والطائفية والمناطقية المختلفة، إلا أنهم في أصل فطرتهم السليمة يعلمون معنى الأخلاق وقادرون على إيجاد حلّ في حال كانوا أمام معضلة أخلاقية، لكن تنقصهم المتابعة الدقيقة والتوجيه السليم في بيئتهم المحيطة، لأن القدرة على التمييز بين الخير والشر فطرية، ووفقاً لكانط فإن الإنسان قادر بنفسه على أن يبلغ «القانون الأخلاقي» (Moral Law)، لأن هذا القانون هو الضمير الذي أطلق عليه كانط في كتابه «نقد العقل العملي» (1788) اسم «القانون الأخلاقي في داخلي».

مع مرور الوقت، انعكست هذه الدقائق القليلة إيجاباً على طريقة تواصلي مع الطلاب، وبخاصة الذين كانوا موضوعين على اللائحة السوداء، أو كما أطلق عليهم اسم «مش طالع من أمرهم شي». إذ بدأت تختفي تدريجياً «المشاغبة» أثناء الحصة، ثم انسحب الأمر إلى ارتفاع درجاتهم في اختبارات المادة. كنت أعلم بأن محاولتي هذه قد لا تجدي نفعاً، ولن ترسخ في عقول الطلاب إذا لم يرافقها تشارك مع الزملاء المدرّسين والنظام التعليمي ككل.

فطوال ثمانية أشهر كنت أرى نفس الطلاب الذين يتحسّن تحصيلهم العلمي والأخلاقي في مادة علوم الأحياء، تتراجع علاماتهم في مادة التربية الوطنية والتنشئة المدنية وتسوء سلوكياتهم خلال الحصة. أليس من الأجدر تربية المدرّسين أولاً؟ من هنا، يبرز دور المدرّس أو المربّي الحقيقي، إذ بحسب عراوي «الأخلاق والعلم حقيقتان متلازمتان وحيويّتان. فالعلم دون توجيه أخلاقي عميق يقلب المعرفة البشرية إلى مجموعة رذائل»، وتؤكد ضرورة اهتمام المعنيين بالشأن التربوي بتعليم الأخلاق في المدارس، وتشدّد على قدرة المربّي المؤهّل أخلاقياً على خلق الحوافز الفكرية وابتعاده عن أسلوب التلقين لإجبار الطلاب على الخروج من خمولهم الفكري وتطوير مهاراتهم التحليليّة في إطار علمي أخلاقي.

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون، بشرى زهوة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان

alqaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com